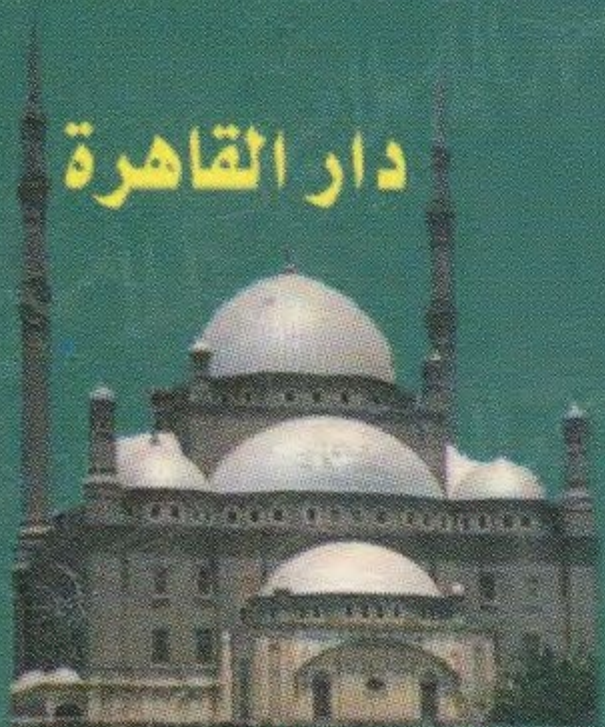


الأسلحة عبر العصور الإسلامية

الكتاب الأول

الأسلحة الدفاعية أو الجنز الواقية الدروع والتروس

في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية



دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤٠ ت

دكتور/ عبد الناصر ياسين

الأسلحة عبر العصور الإسلامية

الكتاب الأول

الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية

(الدروع والتروس)

في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية

الدكتور

عبد الناصر ياسين

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٩٢٩١٩٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

ياسين، عبدالناصر
الأسلحة عبر العصور الإسلامية
/ عبدالناصر ياسين. - القاهرة:
دار القاهرة، ٢٠٠٦
٢ مج ؛ سم.
تدمك ٢ - ٤١ - ٦٠٤٨ - ٩٧٧ (مج ١)
تدمك ٤ - ٤٠ - ٦٠٤٨ - ٩٧٧ (مج ٢).
١ - العسكرية
٢ - الآثار الإسلامية
أ - العنوان
٣٥٥,٨٢

اسم الكتاب : الأسلحة عبر العصور الإسلامية

الكتاب الأول (الأسلحة الدفاعية)

اسم المؤلف : د. عبدالناصر ياسين

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٧

رقم الإيداع : ١٥٤٩٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N

977 - 6048 - 40 - 4

اسم الناشر : دار القاهرة

العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد

البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

صدق الله العظيم

(١) الآية رقم ٢٧ من سورة الأنفال.

إهداء

إلى روح الشهيد عبد المنعم رياض
مثال التضحية والفداء ..

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

تمهيد ٩

المبحث الأول

الدروع

الفصل الأول:

أسماء الدروع وصفاتها عبر العصور الإسلامية ٢٧

الفصل الثاني:

رسوم الدروع على الفنون والعمائر الإسلامية ٢١٥

المبحث الثاني

التُروس

الفصل الأول:

أسماء التروس وصفاتها عبر العصور الإسلامية ٢٤٧

الفصل الثاني:

رسوم التروس على الفنون والعمائر الإسلامية ٢٧١

المصادر والمراجع ٣٢٣

اللوحات ٣٥٣

تعیین

تمهيد

باكورة هذا الكتاب كان بحث بعنوان: الأسلحة الدفاعية "الجُنن الواقية" في العصر الإسلامي (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر)^(١)، وأثناء إعدادي لذلك البحث، وجدت ثمة اعتراض على كوني قد اعتبرت أن "الجُنن الواقية" من دروع وتروس تُعد من باب الأسلحة شأنها في ذلك شأن السيوف والخناجر، والرماح، والقصي وما شابه! ورغم أن قراءاتي حينئذ لم تجعلني أشك في صحة توجهي؛ وأدرك أنه لا لبس في ذلك عند المتخصصين في مجال الأسلحة، فوجدت أنه من المفيد توطئة الدراسة بتوضيح الأسباب التي دعّنتي أن أطلق لفظة الأسلحة على الدروع والتروس.

وقد اعتمدت آنذاك في معالجة هذه النقطة على ما تيسر من المصادر المتخصصة في السلاح، وأثناء معالجة البحث المنوه إليه عاليه؛ ليكون ذلك الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، تزودت بقدر أكبر من المصادر المتخصصة في السلاح، كما اقتحمت مجالاً معرفياً جديداً يُعد كنزاً بلا شك في ميدان الأسلحة، وهو مجال الشعر العربي، وفي ضوء هذا وذاك وجدت مئات الإشارات التي تدعم صحة توجه كوني "الجُنن الواقية" من دروع وتروس تُعد من الأسلحة، غير أنني لا أرى ضرورة ملحة تقتضي تزويد الكتاب بأكثر مما تطرقت إليه عند معالجاتي الأولية لهذه القضية، طالما أن ما أثبتته كان كافياً وأزال أي لبس قد يستشعره البعض.

وطالما أنني قد أشرت إلى أهمية ما في الشعر العربي من معلومات ثرية عن

(١) نُشرت هذه الدراسة في كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار

الوطن العربي (٣) الندوة العلمية الرابعة، ١٣-١٤ شعبان ١٤٢٣هـ / ١٩-٢٠ أكتوبر

٢٠٠٢م، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص. ص ٥٥١-٦٠٨.

الأسلحة، فأود التأكيد على المشتغلين في ميدان الحضارة الإسلامية، ألا يغفلوا دور هذا المجال المصدري المهم المبرز لكثير من النواحي الحضارية الإسلامية، وإذا كنت قد أدركت في إحدى دراساتي مدى أهمية الشعر العربي في تزويدنا بما ضنت به علينا المصادر الأخرى، فأعتقد أن الدراسة التي بين أيدينا تؤكد هذا الأمر، ولا شك أن القراء -خاصة الملمين منهم بميدان الأسلحة- سيدركون مدى أهمية ما أقول.

وأكتفي للدلالة على أهمية ما وقفت عليه في الشعر العربي عن الأسلحة الدفاعية الدروع، والتروس - أنه بينما كانت المصادر المتخصصة في الأسلحة، تكتفي بمجرد سرد لأسماء وصفات بعض هذه الأسلحة وأجزائها، مُعَرِّفة لقليل منها في مجرد كلمة أو فقرة في أحسن الأحوال - فقد كان الشعراء لا يثبتون مجرد أسماء وصفات هذه الأسلحة فحسب، بل وكانوا في أكثر الأحيان يصفونها وصفاً دقيقاً، ومسهباً، وذلك بلا شك أمر سيجب لنا مجالات معرفية مهمة عن هذه الأسلحة.

وعلاوة على ذلك، فسيلحظ القارئ أن الدراسة التي بين يديه قد أضافت إلى قائمة أسماء وصفات الأسلحة الدفاعية -المنبثقة في المصادر والمراجع المتخصصة في الأسلحة- عشرات من الأسماء والصفات الأخرى، والحق أن الفضل الأول في ذلك يرجع إلى ما وقفت عليه في الشعر العربي، ولكن كيف تحقق لي هذا الأمر؟

وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي أولاً الإشارة إلى أنني كنت بادئ ذي بدئ أبحث في الشعر العربي عن مجالات معرفية أخرى تتخطى مجرد حصر لأسماء وصفات الدروع والتروس التي وردت في المصادر والمراجع المتخصصة في الأسلحة - وأثناء ذلك وقفت على كثير من المصطلحات التي بعد إخضاعها للقياس مع ما ورد عن أسماء وصفات الدروع والتروس في المصادر والمراجع المتخصصة في السلاح، تبين أنها هي الأخرى أسماء وصفات للدروع والتروس،

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية اتضح أنها بالفعل أسماء وصفات للدروع والتروس.

وفي هذا المقام أجد أنه من الضروري التنويه إلى أنني استهللت تناول كل اسم أو صفة للدروع والتروس، بتعريف لها من خلال المعاجم اللغوية، وهو الأمر الذي اتبعته بالطبع مع ما وقعت عليه من أسماء وصفات جديدة استخرجتها من الشعر العربي، لذا فقد يبدو أن الفضل في إخراج هذه الأسماء والصفات الجديدة، يرجع إلى المعاجم اللغوية، والحق أن الفضل في ذلك يرجع إلى الشعر العربي، فهو الذي وقفت فيه على ذاك الاسم أو تلك الصفة، وأفادتنا المعاجم في تعريفنا بها، مؤكدة صحة توجهنا.

* * *

على أية حال فـ "الجُنن الواقية" مصطلح واسع المدلول؛ يُقصد به كل ما يتَّقَى أو يُستتر به^(١)، ويعني من أمر هذه "الجُنن الواقية" نوعان رئيسان، هما:

(١) الجُنّة: لفظة مشتقة من "الاجتنان" أي الاختفاء. و"الجُنن الواقية" تشمل كثيرًا من الأدوات، والمعدات، والمواد، والأساليب التي تُستخدم للوقاية من الأخطار، منها -على سبيل المثال- كسوة الأبراج والدبابات ونحوهما، بأنواع معينة من "الخيش الواقية" وهو أسلوب استخدمه الموحدون لستر أبراجهم ودباباتهم. راجع، محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص ١٧٧. ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين -أثناء إحدى حروبهم مع صلاح الدين الأيوبي- كانوا قد تفتنوا في وقاية وستر أبراجهم؛ التي أرهقت الجيش الأيوبي، حتى تمكن أحد نحاسي دمشق من عمل تركيبة كيميائية خاصة، أدت إلى حرقها. راجع، الأصفهاني، العماد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق، محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص. ص ٣٦٧ - ٣٧١. وللاستزادة عن مصطلح "الجُنن الواقية" واستعمالاتها. راجع، ابن منكلي، محمد بن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق، نبيل عبد العزيز، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص. ص ٣١٩ - ٣٢٤.

الدروع والتروس^(١)؛ اللذان يُعدان بلا شك من أهم أنواع "الجُنن الواقية"، حيث كانا يُستخدمان لوقاية الجسم وحمايته من خطر التعرض لإصابة أكثر أنواع الأسلحة الهجومية، كالسيوف، والخناجر، والقسي وغيرها.

وإذا كنا في غير حاجة للتدليل على "دفاعية" هذه "الجُنن الواقية"، فهل يجوز لنا اعتبارها من قبيل الأسلحة، كما هو الحال بالنسبة للسيوف، والخناجر، والبلط، والرماح، والقسي وما شابه ذلك؟

الحق أنه من خلال استعراضنا لأكثر المصادر التي تناولت الحديث عن السلاح بوجه عام، سواء أكانت هذه المصادر متخصصة في السلاح أم غير ذلك، هذا بالإضافة إلى المصادر اللغوية، والأدبية، قد تبين أن السائد فيها عدُّ هذه "الجُنن" ضمن الأسلحة.

ونذكر تدليلاً لما تقدم، أنه ورد في "كتاب السلاح" لابن سلام (ت ٢٢٤هـ)، اثنان وثلاثون باباً تناول فيها كل ما يتعلق بالسلاح وأدواته، والقتال وأنواعه، وفيه أبواب تحدث فيها عن: السيوف، والرماح، والقسي، والسهام، والسياط، والعصي وغيرها، وقد خصص في هذا الكتاب باباً تحت عنوان: "الدروع والبيض"، وباباً آخر تحت عنوان: "أسماء الترس"^(٢)، أي أنه عدّ معدات الوقاية من دروع وتروس؛ بمثابة أسلحة شأنها في ذلك شأن السيوف، والرماح، والقسي

(١) قد يستخدم البعض أيضاً لفظة "الدرع" للدلالة على "الترس". راجع، Dozy, R., Supplément aux Dictionnaires Arabes, Paris, 1927, Tom Premier, p. 144, Tome Second, p. 41. ونظراً للرغبة في عدم حدوث لبس بين الدرع الذي يلبسه المحارب على بدنه، والدرع الذي يحمله في يده، فقد استخدمت للتعبير عن الأداة التي يحملها بالأيدي لفظة "ترس"، خاصة أن المصادر المتخصصة في السلاح يغلب عليها استعمال هذه اللفظة للدلالة على هذه الآلة.

(٢) راجع، ابن سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م، ص ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

وغيرها.

كما أننا نجد في "كتاب السلاح" لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، ذكر مفصل للأسلحة^(١) من سيوف، ورماح، وقسي وغيرها، وقد خصص فيه موضوعاً تحت عنوان: "أسماء الدروع وصفاتها"، وموضوعاً آخر تحت عنوان: "التراس"^(٢)، وقد زخر هذان القسمان بكثير من الإشارات التي تدل على اعتباره أن "الجَنَن الواقية" من دروع وتروس بأنواعهما المختلفة - تدخل ضمن نطاق الأسلحة، فقد ذكر - على سبيل المثال - أن البصيرة، هي: الدرع، وقيل ما ليس من السلاح فهي بصائر السلاح"^(٣)، كما قال: إن القُرْذُمَاتِي: ضرب من الدروع، وهي "سلاح كانت الأكاسرة تدخره في خزائنها"^(٤)، وذكر أيضاً أن المَهْلَهة: "الدروع والجوشن - من السلاح"^(٥). وبالإضافة إلى ذلك فقد أورد في كتابه هذا موضوعاً تحت عنوان: "أصوات السلاح"، أشار فيه إلى أن "القعقة"، هي: حكاية أصوات الترسية ونحوها، وأن "النشْنة"، هي: صوت الدروع^(٦).

وعلاوة على ما تقدم فنطالع في كتاب "الاعتبار" لابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ)، أمر أحد القادة لأتباعه قائلاً: "البسوا سلاحكم"، قاصداً بذلك لبس الدروع، التي هي من أهم أنواع "الجَنَن الواقية"^(٧)، وورد به في موضع آخر عما أخذ من الفرنج: "وغنم الناس منهم سلاحاً كثيراً من الزرديات والسيوف والقنطاريات والخوذ

(١) راجع، ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، الجزء الثاني، السفر السادس، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٤) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٥) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٦) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٧) راجع، ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، الاعتبار، تحقيق وتقديم، قاسم السامرائي، مؤسسة دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧م، ص ١٢٢، ١٢٣.

والكلسات الزرد"^(١)، وبخلاف السيوف والقنطاريات، فجميع ما ذكره من السلاح هنا يُعد من "الجَنّ الواقية".

كما ورد في كتاب "الفروسية" لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي)، سأل عمرو بن معدي كرب^(٢) (١٠٠ق. هـ - ٢١١هـ) يوماً عن السلاح، فسأله عن الرمح، والترس، والنبال، والدرع، والسيف^(٣)، مما يشير إلى اعتبارهم أن التروس والدروع من السلاح، شأنها في ذلك شأن الرماح، والنبال، والسيوف.

ونطالع في كتاب "التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية" لابن منكلي (ت ٧٧٨هـ)، أن من لوازم الجندي والأمير في الحروب: أن يتخذ عنده من اللباس الواقى وغيره مع القدرة فإن [خرج]^(٤) السلطان لطلب عدو فليستصحب السلاح الخفيف كالزرديات والكبر، والبيض الخفاف^(٥)، والزرديات، والكبر، والبيض جميعها من "الجَنّ الواقية" كما سيتبين في الدراسة.

(١) ابن منقذ، ص ١٦٧. والكلسات: واحدها كلسة: وهي غطاء عظم الساق للفارس. ابن منقذ، ح ٣٦٨.

(٢) أسلم في سنة تسع أو عشر للهجرة. للاستزادة عنه. راجع، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، خيرى سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ٤، ص. ص ٢٣٦ - ٢٣٨؛ ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله، الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٤٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، الفروسية، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٠٢.

(٤) هنا بياض في الأصل، أعتقد أن مكانه كلمة "خرج"، أو نحو ذلك، وقد أثبت هذه الكلمة حتى يستقيم المعنى للقارئ.

(٥) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق، صادق محمود الجميلي، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م، ص ٣٦٥.

كما أنه في كتاب "آثار الأول" للحسن بن عبد الله (ت ٨٠٧ هـ) باب كامل خُصص للأسلحة واستعمالاتها في الحرب، تضمن الحديث عن القسي، والسيوف، والتروس، والرماح^(١)، مما يدل على اعتباره أن الترس من الأسلحة، كالقوس، والسيف، والرمح.

ومن ناحية أخرى؛ فمن المعروف أن "خزائن السلاح"، التي كانت من مرافق الدولة الأساسية في العصر الفاطمي، وأطلق عليها في عصري الأيوبيين والمماليك اسم "السلاح خاناه"، أي "بيت السلاح"، كانت تحتوى على أنواع عديدة من الأسلحة الهجومية، كالسيوف، والرماح، والقسي، والمنجنوقات، والدبابيس، والبلط وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى الأسلحة الدفاعية أو "الجُنن الواقية" بأنواعها المختلفة^(٢)، أي أن ما بداخل "السلاح خاناه" من أدوات حربية، سواء أكانت هجومية أم دفاعية "جُنن واقية"، تدرج تحت باب الأسلحة. وعلاوة على ذلك فيلاحظ أن "السلاح خاناه" كان يُطلق عليها كذلك اسم "الزردخاناه"، أو "بيت الزرد"^(٣)، رغم أنها قد تضمنت إلى جانب الزرد أي الدروع التي تُعد من أهم أنواع "الجُنن الواقية" - سائر أنواع الأسلحة الأخرى.

وإلى جانب ما تقدم، فقد أقرت كثير من المصادر اللغوية أن "كل عُدّة للحرب فهو سلاح"^(٤)، وأن "السلاح: اسم جامع لآلة الحرب"^(٥)، و"الجُنن الواقية" من

(١) الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب، ج١، بولاق، ١٢٩٥ هـ، ص. ص ١٥٨ - ١٦٣.

(٢) راجع، مؤلف مجهول، خزائن السلاح، تحقيق: نبيل عبد العزيز، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٥، ٦.

(٣) مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥، ٦.

(٤) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، سلسلة ذخائر، العدد (٩٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٤٥٣.

(٥) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، مج ٢، ص ٥٧٣. ويستدل أيضاً على ذلك بقوله: الترس من السلاح. ابن منظور، مج ٦، ص ٣٨.

دروع وتروس؛ تُعد من عدد وآلات الحرب.

وفي ضوء ما سبق، فيمكن القول إنه لا غبار على استعمال لفظة "السلاح"، للدلالة على "الجُنَن الواقية"، وإن كان يُلاحظ في الوقت ذاته أن النويري (ت ٧٣٣هـ)، أفرد في "تهاية الأرب" عنواناً، تناول فيه: "ذكر ما قيل في السلاح وأوصافه"، وقد استهله قائلاً: "والسلاح ما قُتل به. والجُنَّة اسم لما اتقى به كالدرع والترس ونحوهما"^(١)، مما يفهم منه اعتباره أن الدروع والتروس ليسا من قبيل الأسلحة كالسيف، والرمح، والقوس التي تُستخدم في القتل - خاصة أنه ختم حديثه عن هذا الموضوع قائلاً: "هذا شيء مما قيل في السلاح فلنذكر الجنين"، وأفرد لها موضوعاً تحت عنوان "ذكر ما قيل في الجُنَّة"، ذكر فيه أن الجُنَّة: "ما اتقى بها كالترس، والبيضة والدرع"^(٢).

وأيًا كان الأمر فاستخدام مصطلح "الأسلحة الدفاعية" للدلالة على "الجُنَن الواقية" أو معدات وقاية الجسم، أمر واقع في أكثر المصادر - كما سبقت الإشارة - كما أنه أمر مسلم به بين كثير من العلماء والباحثين، سواء في مجال التاريخ الحربي الإسلامي، أو في ميدان الفنون الإسلامية، ونذكر - على سبيل المثال - أن أحد المتخصصين في مجال التاريخ الحربي الإسلامي، أفرد في دراسة له، موضوعاً تحت عنوان "أسلحة وقاية الجسم"، عرفها قائلاً: "وهي تلك التي يمكن تسميتها بالأسلحة الدفاعية، أو التي تُستخدم لوقاية الجسم، وتفادي الإصابة بضربات العدو. وقد جاء استعمالها بعد الأسلحة الهجومية، لأن الدفاعية تأتي للحد من إصابات الأسلحة الهجومية"^(٣).

(١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٦م، ص ٢٠٠.

(٢) النويري، السفر السادس، ص ٢٣٩.

(٣) محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣١٥.

أما فيما يتعلق بميدان الفنون، فقد درج القاسم الأعظم من العلماء والباحثين -المهتمين بمجال الأسلحة الإسلامية- على تقسيم هذه الأسلحة إلى قسمين رئيسيين، أسلحة هجومية وأخرى دفاعية^(١)، والأسلحة الهجومية تتمثل في السيوف، والخنجر، والرماح، والبُلط، والدبابيس، والقسي، والمنجنيقات. أما الأسلحة الدفاعية، فهي تتمثل في التروس، والدروع، سواء أكانت دروعاً للمحاربين، أم دروعاً للخيل.

ومما يجدر ذكره أنه رغم الواقعية -إلى حد كبير- في تقسيم الأسلحة إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية، على اعتبار أن الأصل في الأسلحة الهجومية؛ هو استخدامها من قبل الإنسان للهجوم على غريم له، أو على حيوان، أو على طائر مصطاد، وأن الأصل في الأسلحة الدفاعية؛ هو استعمالها بغرض حماية أجسام المحاربين، والخيول في المعارك وغير ذلك -كما سنتبين فيما بعد- فيجب أن نأخذ في عين الاعتبار حتمية تبادل الأدوار بين كلا النوعين من السلاح في بعض الأحيان، وإمكانية هذا التبادل في أحيان أخرى، إذ أن الأسلحة التي تُستعمل في الهجوم تُستعمل كذلك في الدفاع عن النفس، كما أنه ليس هناك ما يمنع أن تُستعمل بعض الأسلحة الدفاعية في الهجوم كذلك، فربما يستعمل محارب ترسه في الهجوم على غريم له، خاصة إذا فقد سلاحه الهجومي!

(١) قام حسين عليوه في رسالته للدكتوراه بتخصيص باب كاملاً لدراسة أسلحة الهجوم المعدنية التي استخدمت في عصر المماليك، وهي السيف، والرمح، والخنجر، والطبر، والدبوس، كما خصص باباً آخر لدراسة أسلحة الدفاع، وهي الدروع والواقيات الملحقة بها، الخوذة، والترس. راجع له، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٥، وانظر أيضاً في الرسالة نفسها، عن أسلحة الهجوم، الباب الثاني، ص. ٢١١ - ٣٠٤، وعن أسلحة الدفاع، الباب الثالث، ص. ٣٠٥ - ٤١٥. وعن تقسيم الأسلحة إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية، راجع كذلك، ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٧٦، ١٨٦.

على أية حال فقد تمكن الإنسان على مر العصور من ابتكار عديد من أنواع الأسلحة الهجومية؛ وتفنن في أشكالها، ومواد صناعتها؛ بحيث تضمن له أن تؤدي الغرض المنوط منه خير قيام، وفي المقابل فقد كان يحاول جاهداً العمل على إبطال تأثير هذه الأسلحة، أو على الأقل الحد من خطورتها، فهداه تفكيره إلى استعمال أنواع مختلفة من الأسلحة الدفاعية أو "الجَنَن الواقية"؛ التي يستطيع عن طريقها حماية جسمه من خطورة فتك تلك الأسلحة الهجومية.

وإذا كانت الغلبة في استعمال الأسلحة الدفاعية أو "الجَنَن الواقية"؛ هي حالة الحرب عند لقاء الأعداء، فقد استعملت على مر التاريخ الإسلامي من قِبَل الإنسان في حالات عدة أخرى، كاستعمالها من قِبَل أفراد حراسة الخلفاء، والسلاطين، والملوك وغيرهم، ولعل الغرض من استعمالها في الحالة الأخيرة إلى جانب غرض الوقاية - هو إضفاء جو من المهابة على مجالس، ومواكب، واحتفالات هذه الشخصيات المهمة.

كما استعملت الأسلحة الدفاعية كذلك - في بعض الأحيان - من قِبَل أفراد الشرطة وبعض المسئولين؛ الذين كانوا يرتدونها لتفادي أسلحة اللصوص الهجومية^(١).

وعلاوة على ذلك فقد استعملت الأسلحة الدفاعية أيضاً من قِبَل الصيادين، خاصة إذا كان مصطادهم من الحيوانات المفترسة؛ إذ من خلالها يُمكن وقاية أجسامهم إذا ما تعرضوا لهجوم تلك الحيوانات الضارية.

(١) حدث ذلك - على سبيل المثال - بدمشق؛ عندما قام مجموعة من اللصوص بالسطو على أحد الأسواق، وكان سلاحهم هو النشاب، وقتلوا به جماعة من العسس، "فركب نائب الغيبة وأتى إليهم لابسا زردية، ووقع في ترسه نحو ست رميات نشاب". ابن طولون (شمس الدين محمد)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، تحقيق: محمد مصطفى، القسم الأول، من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١ هـ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٢٦.

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد وظّفت الأسلحة الدفاعية كذلك كأسلوب من أساليب الحرب النفسية، إذ استُخدمت أحياناً بغرض إظهار قوة الجيش ومنعته، ولإدخال الرعب في قلوب الأعداء أو المنافسين، فيعلموا أنه لا طائل لهم من المقاومة، فيجتاحون للسلم أو التسليم^(١).

وما قيل بالنسبة لاستعمال الإنسان للأسلحة الدفاعية، فإنه ينطبق كذلك -إلى حد كبير- على الخيول، إذ كان من المألوف بالإضافة إلى تجهيزها بالمعدات الواقية عند الحروب، أن تُجهز بها كذلك أثناء الموكب والاحتفالات التي يشهدها الخلفاء، والسلاطين، والملوك.

إن الأسلحة الدفاعية أو "الجُنن الواقية" الخاصة بالإنسان؛ تتمثل في كثير من الأدوات والمعدات، فمنها ما يلبسه على بدنه: ويُقصد بذلك الدروع بأنواعها المختلفة. ومنها ما يضعه على رأسه: وهذه تتمثل في الخوذ، وهي على نوعين: فإما تكون بيّض فقط، أو بيّض مزودة بتسبيغات أي رفاف، وفي بعض الأحيان يكون تحت البيضة على الرأس - مغفر. ومنها كذلك ما يحمله بيده: وهي تتمثل في التروس، بأشكالها وأنواعها المتعددة.

أما بالنسبة لجُنن أو معدات وقاية الخيول، فقد كان من الشائع أن تكون الخيول في الحرب "ملبسة آلة الحرب"، وكان من بين هذه المعدات ما يقي جسم الفرس، أو أجزاء معينة منه، خاصة الوجه، والساقين.

والأسلحة الدفاعية أو "الجُنن الواقية"، التي يستعملها الإنسان، أو تُجهز بها الخيول؛ كانت تُصنع من أجناس شتى وجواهر مختلفة، مثل: الحديد، والنحاس، والخشب، والجلود، والقرون، والعقب، والشعر، والوبر، والصوف، والقطن،

(١) جذير بالذكر أن رسولنا الكريم ﷺ؛ استخدم هذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية يوم دخوله مكة (المكرمة)، راجع، ابن هشام (أبي محمد عبد الملك)، السيرة النبوية، تحقيق، لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٢٦، ٢٧، وسوف نشير إلى ذلك عند تناول الدروع.

والقز، والخز، والإبريسم^(١). وقد أشارت المصادر المتخصصة في شؤون الحرب وال سلاح إلى مادة صناعة كل نوع من أنواع الجتن الواقية^(٢)، وسنذكر ما يعيننا منها كل في حينه.

وعلى الرغم من شيوع استعمال الأسلحة الدفاعية أو "الجنن الواقية" للمقاتلين والخيول على مر التاريخ الإسلامي، فمما يؤسف له أنه لم يصلنا منها غير نماذج قليلة ترجع إلى أقطار بذاتها ومن عصور بعينها، ولعل أهمها تلك التي وصلتنا من العصر المملوكي^(٣)،

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٣٢٠. ويُؤخذ في عين الاعتبار أن الأسلحة سواء الدفاعية أو الهجومية، كانت تصنع أحياناً من المعادن الثمينة، وترصع بالجواهر، ولكن الغرض منها ليس الأمور الحربية، بل للإهداء إلى كبار القوم في مناسبات معينة، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ نذكر منها أنه عندما ولد للملك "الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي"، مولوده "العزيز غياث الدين"، سنة ٦١١هـ، أمر أن يصنع له كثير من الأدوات، منها: درعين كان في كل درع أربعين جوهرة كقدر بيض الحمام، مفصلاً بالياقوت البهرمان، وصنع له كذلك بركستوان جميعه من اللؤلؤ كبير الحجم. الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٧٩.

(٢) للاستزادة راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) راجع، عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج ٢، من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠ - ١٨٠٧م)، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٣، ٣٩؛ ولنفس المؤلف، ملابس الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٤؛ حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، شكل ١٩٦. وبالطبع فالمرجع الرئيس لدراسة ما وصلنا من الأسلحة المملوكية سواء الدفاعية أو الهجومية، هي رسالة "عليوه"، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك، وعن الدروع التي وصلتنا من العصر المملوكي. أنظر بها، ص ٣٠٨، وعن التروس. انظر، اللوحات ١٣٣ - ١٣٩، وعن واقيات الساعدين. انظر، اللوحات ٩٥، ٩٦، ٩٨، وعن واقيات الفخذ والركبة. انظر. اللوحتان ٩٩، ١٠٠، وعن واقيات الساق والقدم. انظر، اللوحة ١٠١، وعن واقيات جبهة الفرس، انظر، اللوحة ١٠٢.

والعثماني^(١)، والصفوي^(٢)، بيد أنه من حسن الطالع، فما حوته زخارف الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية منها كثير؛ ولعل أهميتها ترجع إلى كونها تغطي معظم فترات التاريخ الإسلامي، كما أنها نفذت على مواد فنية من أقطار شتى.

ولا شك أنه بدراسة الأسلحة الدفاعية أو "الجُنن الواقية" المنفذة على الفنون والعمائر الإسلامية؛ سوف تُسد ثغرة ملموسة في ميدان دراسة المعدات الحربية الإسلامية من ناحية، ناهيك عما تشكله من أهمية خاصة بالنسبة لمجال دراسة الفنون الإسلامية من ناحية أخرى.

وقد قسمت الدراسة إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول للدروع، وهو يشتمل على فصلين، الفصل الأول، بعنوان: أسماء الدروع وصفاتها عبر العصور الإسلامية، وقد استمدت مادته من خلال المصادر المكتوبة. أما الفصل الثاني، فبعنوان: رسوم الدروع على الفنون والعمائر الإسلامية، واستخلصت مادته من خلال رسوم الدروع التي وصلتنا منفذة على الفنون والعمائر الإسلامية.

أما المبحث الثاني، فقد خصصته لدراسة التروس، وهو ينقسم أيضًا إلى فصلين، الفصل الأول بعنوان: أسماء التروس وصفاتها عبر العصور الإسلامية، ومادته مستمدة من خلال المصادر المكتوبة. أما الفصل الثاني، فبعنوان: رسوم التروس على الفنون والعمائر الإسلامية، وقد استخلصت مادته من خلال رسوم التروس المنفذة على الفنون والعمائر الإسلامية.

وعلى الله قصد السبيل

(١) راجع، محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٥٢؛ خليفة، ص ١٨٦، ١٩٤؛ الباشا، مدخل إلى الآثار، شكل ١٩٧؛ Zsigulski, Zdzislaw, Jr., Ottoman Art in the Service of the Empier, New York University, 1992, p. 136, pl. III. 51.

(٢) راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص. ص ١٩٧ - ٢٠٠.

المبحث الأول المدّور

الفصل الأول
أسماء الدروع وصفاتها
عبر العصور الإسلامية

عرّف اللسان الدَّرْعُ بأنها: لبُوسُ الحديد، تُذَكَّرُ وتؤنث، والجمع في القليل: أَدْرُعٌ، وأذراعٌ، وفي الكثير دُرُوعٌ، وتصغير درع: دُرَيْعٌ^(١). وقوله إنها: لبُوسُ الحديد، فيه تجاوز إذ إن لدينا كثير من الدروع كانت تُصنع من الجلد كذلك.

على أية حال فالدروع عبارة عن معدات كانت تُرتدى بشكل رئيس من قبل العسكريين عند المعارك، لوقاية أجسامهم من خطر الأسلحة الهجومية، وعن ذلك يقول الطرسوسي: "الدروع: جُنَّةُ المقاتل وحصنه، عند المباشرة للمحارب والمخاتل"^(٢) وكافيته شفار المناضل، وحاميته من أسنة الرماح، والرافعة عنه شر السلاح في وقت الكفاح،...^(٣).

ولا شك أن للأسلحة بوجه عام أهميتها للمحاربين، غير أن للدروع أهمية خاصة بالنسبة لهم، لذا فقد تميزت بملازماتها لهم، وعدم إمكانية الاستغناء عنها أثناء القتال، وتبدو أهميتها بالنسبة لسائر أنواع الأسلحة الدفاعية الأخرى، بأنه يمكن للمدرب أن يستغني -مثلاً- عن ترسه، ويكتفي بالدرع الذي يرتديه، كما يتميز الدرع عن الخوذة، بأن الخوذة معرضة للفقد أثناء القتال^(٤)، وهو ما لا يمكن بالنسبة للدرع؛ وذلك بحكم ارتداء المحارب له وصعوبة خلعه عنه^(٥).

ولعل أهمية الدرع بالنسبة للمقاتل، تتبين من وقعة حدثت لعنترة بن شداد

(١) ابن منظور، مج ٨، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) التَّخَاتُلُ: التَّخَادُعُ، ويُقال للصائد إذا استتر بشيء ليَرْمِيَ الصيد تَرَى وَخَلَّ للصيد. ابن منظور، مج ١١، ص ٢٣٩.

(٣) الطرسوسي، مرضي بن علي، موسوعة الأسلحة القديمة، الموسوم: تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأنواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كارين صادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٥١.

(٤) عن مثل ذلك راجع، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، مج ٣، ص ٧٢، ٧٣.

(٥) حسين عليوه، السلاح المعدني، ص ٣٣٨.

(٢٢ ق. هـ)، حين تعرضت إبل كان يرعاها لإغارة قوم، فقاتلهم حتى كُسر رمحها: غير أنه لم يقو عليهم، وطردها إبله وذهبوا بها، فالتمس العذر في غلبتهم عليه، إذ كان حاسراً لا درع له، فقال^(١):

فَلَوْ لَاقَيْتَنِي وَعَلَيَّ دِرْعِي، عَلِمْتَ عَلَامَ تُحْمَلُ الدَّرُوعُ

والمعنى: لو لاقيتني وقد لبست درعي، لمنعتك من الغارة على إبلي، ولعلمت أن لا لبس الدرع لا يهضم ولا يدرك منه مطلوب.

إن المرء حين يتأمل أكثر المصادر والمراجع المتخصصة في السلاح والتي تعرضت للدروع، قد يتراءى له بأن ما ذكرته كاف لما ينبغي معرفته عنها، غير أنه قد تبين لي أن ما في هذه المصادر لا يمثل إلا قدرًا بسيطًا مما يجب أن نعرفه عن هذه الدروع! إذ يلحظ أن ما ورد ذكره عنها في هذه المصادر والمراجع؛ هو مجرد رصد لأهم أسمائها وصفاتها، وقد يُزاد فيعرف قليل منها، في كلمة أو فقرة على أحسن الأحوال.

وأهم مصدر من هذه المصادر "كتاب السلاح" لابن سيدة، وقد رصد لنا واحد وثلاثين إسمًا وصفة للدروع^(٢)، ويليه ما خصصه النويري عن السلاح في كتابه "تهاية الأرب"، حيث رصد منها خمسة وعشرين إسمًا وصفة، وإن كان ذكر أنها أسماء لها^(٣)، والأوقع أنها أسماء وصفات.

وعلاوة على هذين المصدرين، فقد رصد "تبيل محمد عبد العزيز" في دراسته التي قدم بها لكتاب "خزانة السلاح" خمسة وأربعين إسمًا وصفة للدروع، وذكر أيضًا كالنويري - أنها أسماء للدروع، وهي أسماء وصفات كذلك^(٤).

(١) ديوان عنتره، ص ٦٦.

(٢) انظر ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) النويري، السفر السادس، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٤) لعل ذكر النويري، وتبيل عبد العزيز أنها أسماء للدروع؛ يرجع إلى أن صفات الدروع أصبحت أسماء لها.

ومما لا شك فيه أن مجرد عمل رصد أو حصر لأسماء الدروع وصفاتها هو في حد ذاته عمل مهم، غير أن الأكثر أهمية هو أن نلصق بمعلومات عن هذه الأسماء والصفات، ولكن من أين لنا أن نستقي هذه المعلومات وقد ضلت بها علينا المصادر المتخصصة في السلاح؟!

كان من الطبيعي لباحث في مجال الحضارة والآثار الإسلامية أن يُبذل وجهه شطر المصادر التاريخية، لعله يخرج منها بما قد يسهم في التعرف بشيء من التفصيل عن أسماء هذه الدروع وصفاتها، غير أن النتيجة المتوقعة، أن هذه المصادر لا تقدم شيئاً ذا أهمية عن ذلك الأمر.

فاستدعت الذاكرة الشعراء الفوارس الأقدمين الذين كانوا يفخرون دائماً بصولاتهم وجولاتهم في ساحات الوغى، وقد تضمنت قصائدهم مختلف أنواع الأسلحة التي كانوا يستعملونها، فوجدت في أشعارهم من المعلومات عن أسماء الدروع وصفاتها، ما يفوق التوقع!

وأعتقد أن أكثر الباحثين تخصصاً في ميدان الأسلحة، سيدهشون ليس من قدر المعلومات التي أضافها لنا الشعر عن أسماء الدروع وصفاتها فحسب، بل ولما زودنا به هذا الشعر من أسماء أخرى للدروع وصفاتها، وهي لم ترد لا في المصادر ولا في المراجع المتخصصة في السلاح.

على أية حال، فسوف أتناول أهم ما وقفت عليه من أسماء الدروع وصفاتها، متتبعها فيما تيسر من المصادر -خاصة الشعرية- مع الأخذ في عين الاعتبار، أن الشاعر قد يُشير في بيت واحد إلى عدة أسماء أو صفات للدرع، مما يستلزم تكرار هذا البيت عند تناول كل اسم أو صفة، وهو أمر مهم لتتبع وجود ذلك الاسم أو هذه الصفة في الفترات الزمنية المختلفة، آخذين في عين الاعتبار أننا لا نقوم بمجرد حصر أو سرد لأسماء الدروع وصفاتها، بل هي دراسة متكاملة لها. وأهم ما وقفت عليه من أسماء الدروع وصفاتها، هي:

١- البَتْرَاءُ:

الدرع البتراء^(١): هي الدرع القصيرة التي تُصنع بلا أكمام، وتصل في طولها إلى أسفل الركبة أو فوقها بقليل، ومن ميزات هذه الدرع أنها كانت توفر للمحارب حرية في الحركة أكثر من الدروع السابغة - أي الطويلة الفضفاضة - وإن كانت لا توفر له الحماية التي توفرها الدرع السابغة^(٢). جدير بالذكر أنه كانت للرسول ﷺ عدة دروع منها درع اسمها "البتراء"، وعن ذلك يقول ابن منظور: كان لرسول الله ﷺ غ يقال لها البتراء، سُميت بذلك لقصرها^(٣).

٢- البَدَنُ:

قيل إنه الدرع ما كانت^(٤)، وقال ابن منظور: البدن: شبه درع إلا أنه قصير^(٥) قدر ما يكون على الجسد فقط قصير الكمّين، وإن كان في الوقت نفسه لم ينف القول بأن البدن: هي الدروع عامة، وأنه بذلك فسر البعض قوله تعالى: ﴿فَآلَيْوَمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾^(٦)؛ أي: بِدِرْعِكَ، وذلك أنهم شكوا في غرقه - أي غرق فرعون

(١) الأصل في الشيء الأبتَر: هو المقطوع الذنب. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، انقاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٩٤.

(٢) بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ، ص ٣٤.

(٣) ابن منظور، مج ٤، ص ٤٣.

(٤) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٥) كما أشار الرازي، إلى أن البدن: الدرع القصيرة. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٤٤.

(٦) سورة يونس: الآية ٩٢. وعن تفسير هذه الآية. راجع ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، مركز الحرمين التجاري بمكة، دار الغد العربي بالقاهرة، د. ت، ج ٢، ص ٤٤١.

موسى - فأمر الله (سبحانه) البحر أن يقدِّفه على دكة في البحر بدرِّعه، فاستيقنوا حينئذ أنه قد غرق. وأستشهد ابن منظور مدلاً على أن البدن: هي الدرع عامة، بما ورد في حديث علي عليه السلام: لما خطب فاطمة عليها السلام، قيل ما عندك؟ قال: فرسي وبدني؛ البدن: الدرع من الزرد^(١).

على أية حال، فقد كان البدن محل إشارة من بعض شعراء العرب الفوارس، وسوف يتبين من خلال قول بعضهم أنه لا مجال للشك أن البدن: هي الدروع عامة، إذ منهم من وصفها بأنها سابغة، أي طويلة فضفاضة، وهو ما ينتفي معه كونها الدرع القصيرة.

وقد ورد ذكر البدن في قول عمرو بن كلثوم (؟ - ٣٩ ق. هـ) ^(٢):

أَخَذَنَ عَلَى فَوَارِسَهْنَ عَهْدًا إِذَا لَاقُوا فَوَارِسَ مُعَلِّمِينَا ^(٣)
لَيْسَتَلْبِسَنَّ أَيْدَانَا وَبَيْضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا ^(٤)

كان الشاعر قبل هذا البيت قد أشار إلى اصطحابهم نسائهم في الحروب^(٥)، وهنا يقول: إنهن - أي هؤلاء النساء - عاهدن فوارسهن - في رواية أخرى

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) شعراء تغلب في الجاهلية، أخبارهم وأشعارهم، ج ٢، الديوان، صنعة، علي أبو زيد، السلسلة التراثية (١٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م، ص ٨١. ووردت هذه الأبيات في ديوان عمرو بن كلثوم مع قراءة مختلفة لبعض الكلمات. انظر ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦٨. وعن عمرو بن كلثوم. انظر، ابن قتيبة، ص ١٤١.

(٣) في الديوان، "فوارسهن" وردت "بُعُولَتِهِنَّ". "فوارس" وردت "كَنَاتِب".

(٤) في الديوان، "وَبَيْضًا" وردت "وَبَيْضًا". "أَيْدَانَا" وردت "أَفْرَاسَا".

(٥) هي عادة معروفة عند العرب، حيث كانوا يصطحبون نساءهم خلف جيوشهم ليقاتل الرجال ذباً عن حرمها فلا تفشل مخافة العار بسبي الحرم. للاستزادة راجع، عبد الناصر ياسين، وسائل السفر عند المسلمين (تاريخها وآثارها) دراسة عن الهودج وشاكلته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٥م، القسم الأول، ص ٣٣، ٣٤.

يُغُولَتِهِنَّ - إِذَا قَاتَلُوا فَوَارِسَ مِنَ الْأَعْدَاءِ قَدْ عَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ بَعَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ بِهَا فِي الْحُرُوبِ أَنْ يَثْبَتُوا فِي حِمَاةِ الْقِتَالِ وَلَا يَفْرَوُا، وَيَسْتَلْبِنُ مِنْهُمْ دُرُوعَهُمْ وَخُوذَهُمْ وَأَسْرَى مِنْهُمْ قَدْ قُرِنُوا فِي الْحَدِيدِ.

كما ورد ذكر البدن في قول علقمة بن عبدة (؟ - ٢٠ ق. هـ) ^(١):

تَخَشَّشُ أَيْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَمَا خَشَخَشَتْ يُبْنَسُ الْحِصَادِ جَنْوَبُ ^(٢)

قال المحقق: الخشخشة: صوت الثوب الجديد إذا لبس. البدن: الدرع من الزرد ^(٣)، والمعنى: إن لدروعهم أصواتاً - خشخشة - تشبه أصوات الحصاد اليابس، حين تحركه ريح الجنوب.

وورد ذكر البدن في قول أمية بن أبي الصلت (؟ - ٥٥ هـ) ^(٤):

وَيَلْقَى قِرْنَ قِرْتَهُ مَشَى الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
بِزُهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنِ وَرَامِحِ

وقوله: وبين ذي بدن ورامح: أي بين لابس الدرع، وضارب بالرمح.

كما نجد ذكر البدن في قول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ) ^(٥):

عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَيْدَانُ سَابِغَةٌ يَقَحْمُونَ كَأَنَّ الْقَوْمَ فِي رَهَجٍ

(١) الضبي، المفضل بن محمد بن محمد بن يعلى، المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ديوان العرب (١)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، د. ت، ص ٣٩٥. وعن علقمة بن عبدة. انظر، ابن قتيبة، ص ١٣٠.

(٢) الجنوب: من الرياح حارة، وهي ريح تُخَالِفُ الشَّامَلَ تَأْتِي عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ.

(٣) المفضليات، ح ٣٣، ص ٣٩٥.

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه، سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣٧. وعن أمية بن أبي الصلت. انظر، ابن قتيبة، ص ٣٠٥.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٣٦. وعن عامر بن الطفيل. انظر، ابن قتيبة، ص ٢١٢.

أي: وعليهم خوذ، ودروع طويلة فضفاضة، يَحْمِلُونَهَا على دخولِ الرهج
واقترام القوم. ويلاحظ أنه وصف الأبدان بأنها سابغة، مما يدل على أن هذه
الأبدان لم تكن قصيرة.

وجاء ذكر البدن أيضًا في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ—/
٢١هـ) (١):

أَعَاذِلْ، شِكَّتِي يَدَيَّ وَرُمَحِي وكل مُقَلَّصٍ سَلَسِ الْقِيَادِ (٢)

أي: واعلم أيها العاذل إنما سلاحي عند اللقاء، درع ألبسه، ورمح أحمله،
وفرس جيد، متمرس على القتال.

وقال كذلك (٣):

أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَغَةً وَعَدَاءً عَكَدِي
نَهْدًا وَذَا شَطْبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا

ويقول في البيت الأول: لقد هيأت لنواب الدهر -أي لدفعها- درعا سابغة،
وفرسًا ضخماً جيد العذو كثيرة. ويقول في البيت الثاني: أعددت فرسًا غليظًا،
وسيفًا ذا شطب: أي ذا طرائق. يقد: أي يقطع طولاً، الخوذ، والدروع.
وقال أيضًا (٤):

وَسَعَتْ نَسَاوَهُمْ بِكُلِّ مَفَاضَةٍ جَدَلَاءَ سَابِغَةٍ وَبِالْأَبْدَانِ

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، جمعه ونسقه، مطاع الطرابيشي، مكتبة المؤيد، الرياض، مكتبة
دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٩٩٤م، ص ١٠٦؛ ابن موسى، أبي عبيد الله محمد بن عمران،
معجم الشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر،
العدد ٩٣، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٦.

(٢) كلمة "شكّتي" وردت في رواية أخرى "عدّتي". انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٤،
ص ٢٣٨. والشكّة: السلاح. فرس مقلّص: طويل القوائم متّصم البطن.

(٣) ديوان عمر بن معدي كرب، ص ٨٠.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٧٣.

والأبدان: جمع بدن، وهي الدروع، وإن كان محقق الديوان ذكر: هي الدروع القصيرة^(١)، أما المفاضة، والجدلاء، والسابغة: فهي أسماء وصفات للدروع كل سنشير إليه في حينه.

كما ورد ذكر البدن في قصيدة نظمها ضرار بن الخطاب الفهري (? - ١٣ هـ) يوم الخندق (٥ هـ) - كان حينئذ لم يزل مشركاً - حيث قال^(٢):

تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْتَبَغَاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَكَبَ الْحَصِينَا^(٣)

أي: وتُشاهد هؤلاء الأبطال لابسين دروعاً طويلاً فضفاضة، وكذا دروعاً أخرى حصينة من الجلد.

وجاء ذكر البدن في قول شاعر من هوازن حين مسيرهم إلى الرسول ﷺ يوم حنين (٨ هـ)، وذلك في قوله^(٤):

حَتَّى لَقُوا النَّاسَ حِينَ الْبَاسِ يَقْدُمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ وَالْدُرُقُ

أي: ويضعون على رؤوسهم خوذاً، ويلبسون على أبدانهم دروعاً، ويحملون في أياديهم درقاً.

وورد ذكر البدن كذلك في قول كعب بن زهير (? - ٢٦ هـ)^(٥):

(١) ديوان عمرو بن معدى كرب، ج ٢٠، ١٧٣.

(٢) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، جمعه وحققه وشرحه، فاروق أسيلم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٩٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٥٤. وعن ضرار بن الخطاب، انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٨.

(٣) اليلب: نوع من الدروع والدُرُق، سنتناوله بالتفصيل في موضعه.

(٤) ابن هشام، ج ٤، ص ٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم، وعلى نجيب عطوي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٨م، مج ٢، ج ٤، ص ٣٣٣.

(٥) ديوان كعب بن زهير، قرأه، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ١٨. وعن كعب بن زهير. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٤، ص. ص ٤١٤ - ٤١٦؛ ابن قتيبة، ص ٨٤، ٨٥.

وَيَصُولُ بِالْأَبْدَانِ كُلِّ مُسَفَّرٍ مِثْلَ الشَّهَابِ إِذَا تَوَقَّعَ بِالْغَضَا

وَيَصُولُ بِالْأَبْدَانِ: أَي يَصُولُ بِالْأَدْرُوعِ. وَالْمُسَفَّرُ: الَّذِي يَفْدُ عَلَى الْمُلُوكِ وَيُصْلِحُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ بِسَفَارَتِهِ. الْغَضَا: شَجَرٌ عَظِيمٌ، خَشْبُهُ مِنْ أَصْلَابِ الْخَشَبِ، وَهُوَ حَسَنُ النَّارِ وَيَبْقَى جَمْرُهُ طَوِيلًا.

وورد ذكر البدن في قصيدة نظمها كعب بن مالك (؟ - ٥٠ هـ) على مجلس الأنصار في مسجد النبي ﷺ لما قُتل عثمان بن عفان ؓ (٣٥ هـ)، حيث قال^(١):

فَمَتَّعْتُمُوهُ أَوْ قَتَلْتُمْ حَوْلَهُ مُتَلَبِّينَ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَا

أي: وكان ينبغي عليكم أن تحموه - يقصد سيدنا عثمان ؓ - أو تقتلون دفاعًا عنه وأنتم متلبين البيض، لابسين الدروع.

٣- البصيرة:

تُطْلَقُ عَلَى مُخْتَلَفٍ مَا يُكْبَسُ مِنْ أَسْلِحَةٍ دِفَاعِيَّةٍ أَوْ جَنْنٍ وَاقِيَّةٍ، كَالدَّرْعِ^(٢) وَالتَّرْسِ^(٣)، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْبَصِيرَةُ: الدَّرْعُ، وَكُلُّ مَا لُبِسَ جُنَّةً بَصِيرَةً. وَالبصيرة: الترس، وكل ما لبس من السلاح فهو بصائر السلاح^(٤)، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَرَأَيْتَ عَلَيْكَ ذَاتَ الْبَصَائِرِ - أَي الدَّرْعِ - وَأَنْشَدَ لِلْكَمَيْتِ (٦٠ - ١٢٦ هـ)^(٥):

وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمَنْكَ فِي الْ- مَهْدِ النُّهَى ذَاتَ الْبَصَائِرِ

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق وشرح، مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٩٩. وعن كعب بن مالك. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٤، ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٢) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٣) انظر، الفيروز آبادي، ج ١، ص ٥٠٢.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص ٧٨.

(٥) الزمخشري، ج ١، ص ٤٩.

وبخلاف ما تقدم، فلم أقف على ذكر للبصائر، وإن كان لكعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يوم أحد (٣ هـ) قصيدة منها^(١):

وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدَةٌ يَذَرُ عَلَيْهَا السَّمُ سَاعَةً تُصَنَعُ^(٢)
تُصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةٌ تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تَقَعُّعُ

ويُشير الشاعر في البيت الأول إلى السهام، ويقول في البيت الثاني، إنها تارة تقع بأبدان الرجال، وتارة أخرى تمر بأعراض البصار، فتحدث صوتاً. قال محقق الديوان: البصار جمع بصرة وهي الحجارة، أو جمع بصيرة وهي الدروع أو الترس^(٣)، وأرى أنه لا محل لكونها الحجارة، وأميل إلى أن القصد بها بصائر السلاح، دروع أو تروس، وربما كانت تعني التروس تحديداً، إذا كانت الأبدان إشارة إلى الدروع. فيصير المعنى: وتقع هذه السهام تارة على دروع المحاربين، وتارة أخرى بأعراض تروسهم، فيسمع قعقتها!

٤- البيضاء:

تُوصف الكتاب بكثير من الصفات المستمدة من لون حديدتها، فيقال: كتيبة شهباء، وكتيبة جأواء، وكتيبة بيضاء: والأخيرة هذه هي التي عليها بياض الحديد^(٤)، أي ترتدي دروعاً من حديد أبيض، ربما لأنه من جيد الحديد وخالصه، أو كما قيل: هي الدروع التي لم يعطها الصدأ^(٥).

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٦١.

(٢) المنجوفة: السهام المثقفة. حرمية: نسبة إلى حرم مكة. صاعدية: نسبة إلى صاعد صانع سهام معروف وقيل: نسبة إلى صعدة وهي قرية باليمن. يذر: يثر، يرش.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ح ٤، ص ٦١.

(٤) ابن منظور، مع ٧، ص ١٣٧.

(٥) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م،

ح ١٤، ص ٩٦.

وقد ورد ذكر الدروع البيضاء في قول أوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ) (١):

وَبَيْضَاءِ زَغَفٍ نَثْلَةٍ سَلْمِيَّةٍ لَهَا رَفْرَفٌ فَوْقَ الْأَنَامِلِ مُرْسَلٌ
وَأَشْبَرَتِيهِ الْهَالِكِيُّ كَأَنَّهُ غَدِيرٌ جَرَّتْ فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسَلٌ

والمعنى في البيت الأول: لقد كانت هذه الدرع بيضاء: أي من حديد خالص أو لا يعلوها الصدا. زغفة: أي لينة. نثلة: أي واسعة فضفاضة. سلمية: منسوبة إلى سليمان بن داود. ولها رفرف: أي طويلة سابغة، تفضل على لابستها حتى تقع على أنامله. أما في البيت الثاني فيقول: لقد أعطى لي هذه الدرع الحداد، التي بدت متألثة كأنها غدير ضرب الريح متنه فصار كالسلسلة.

كما قال كذلك (٢):

سَرَابِيلُنَا فِي الرَّوْعِ بَيْضٌ كَأَنهَا أَضَا اللَّوْبُ هَزَّتْهَا مِنَ الرِّيحِ شَمَالٌ (٣)

والسراويل - كما سيمر بنا - هي الدروع، والمعنى: ونلبس عند القتال دروعاً بيضاء، تبدو كمياه مجمعة في أرض ذات حجارة سود، تهزها ريح الشمال. كما ورد ذكر الدروع البيضاء في قول ثعلبة بن عمرو العبدي (٢ - ؟) يصف درعاً (٤):

بَيْضَاءٌ مِثْلَ النَّهْيِ رِيحٌ وَمَدَّةٌ شَائِبٌ غَيْثٌ يَحْفَشُ الْأَكْمَ صَائِفٌ (٥)

والمعنى: وأجيب من استغاث لابساً درعاً، بيضاء، تُشبه مياه الغدير، حين تصيبه الريح - حيث يكون صافياً - وتسقط عليه دفعات المطر، ولعل المقصود من

(١) ديوان أوس بن حجر، ص ٩٦.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٩٠. ولم أقع على هذا البيت في ديوان أوس.

(٣) الأضياء: المستنقع من سيل وغيره. اللوب: الأرض التي قد ألبستها حجارة سود.

(٤) المفضليات، ص ٢٨٢.

(٥) النهي: الغدير. الشائب: ج شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. يحفش: يقشر. الأكْم: ج أكمة. صائف: في الصيف.

المعنى الأخير تشابه ما يحدث من دوائر بالماء مع المطر، بحلقات الدروع المزردة^(١).

كما ورد ذكر الدروع البيضاء في قول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣ ق. هـ) بقصيدة يذكر فيها ملاح من قوة جيش، وبعد إشارته إلى خيول حربها، يقول^(٢):

عَلَيْهَا أَسْوَدُ ضَارِيَاتٍ لَبُوسُهُمْ سَوَابِغُ بَيْضٍ لَا تُخَرِّقُهَا النَّبْلُ

أي: ويمتطي صهوة هذه الخيول فرسان كالأسود الضارية، يلبسون دروعاً سابغة بيضاء -صقيلة لا تصدأ- منيعة لا تتمكن السهام من اختراقها.

ونجد ذكر الدروع البيضاء في قول الأعشى (؟ - ٧ هـ)^(٣):

وَبَيِّضَاءٍ كَالنَّهْيِ مَوْضُونَةٍ لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَنْبِ الْبَدَنِ

والشاعر هنا يقول: ودرع بيضاء تترقق كأنها ماء الغدير، قد نسجت حلقتين حلقتين، واتصل بآخرها غطاء للرأس.

كما أنه يصف جيشاً ويقول عن دروع مقاتليه^(٤):

سَوَابِغُهُمْ بَيْضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِنْ الْبَيْضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ

أي: وكانت دروعهم فضفاضة طويلة تغطي جسداهم، وهي دروع بيضاء،

(١) جدير بالذكر أن كثيراً من الشعراء قد درجوا على تشبيه الدروع بمياه الغدران وهي تصفقها الرياح، وفي المقابل نجد بعض الشعراء يشبهون الغدران -وهي تصفقها الرياح- بالدروع، قال ابن المعتز: فَإِذَا الْغُدْرَانُ بِالرَّيْحِ أَحْسَتْ، * خَلَّتْهَا يُلْقَى عَلَيْهِنَّ الدَّرُوعُ. ديوان ابن المعتز، شرح وتقديم، ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٧٠. ويشبه ظافر الحداد ما تحدثه الرياح في المياه بحلقات الدروع، ويقول: والماء تكسوه أنفاس الصُّبَا زَرْدًا * مقترافيه مسرود ومنفصم. ديوان ظافر الحداد، ص ٢٨٢.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٦٠.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٧٥.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣١١.

وخفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بيض -خوذات- لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وورد ذكر الدروع البيضاء في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ) -
٢١هـ) (١):

صَبَحَتْهُمْ بِيضَاءُ يَبْرِقُ بَيْنُضْهَا إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعَيُونَ ازْمَهَرَتْ

والمعنى في الشطر الأول: صبحتهم: أي جئتهم بالكتيبة صباحًا. بيضاء: يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد. والأصل: ببيضاء؛ حذف حرف الجر فنصب ما بعده. يبرق بيضها: أي تلمع خوذاها. أما في الشطر الثاني، فيقول: إِذَا نَظَرْتُ الْعَيُونَ إِلَى هَذِهِ الْكُتَيْبَةِ، احمرت.

كما قال أيضًا (٢):

وَكُلُّ مُقَاضَةٍ بِيضَاءٍ زَغَفٍ وَكُلُّ مُعَاوِدٍ الْغَارَاتِ يَخْذِي

أي: وكل درع واسعة بيضاء لينّة، وكل فرس معاود الغارات يُسرّع.

كما ورد ذكر الدروع البيض في قول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟- ٢٠٠هـ) (٣):

وَنَسَجُ دَاوُدَ مِنْ بِيضٍ مُضَاعَفَةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَبَعْدَ الْحَيِّ مِنْ إِرَمَ

ونسج داود: أي دروع جيدة محكمة النسج، تُنسب إلى داود (عليه السلام) الذي اشتهر بعمل الدروع المحكمة. من بيض: أي من حديد أبيض. مضاعفة: أي منسوجة حلقتين حلقتين. من عهد عاد... وإرم: كناية عن قدمها.

كما ورد ذكر الدروع البيض في قول لبيد بن ربيعة (؟- ٤١٠هـ) (١):

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٧٠.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٥.

(٣) ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م،

وَجَوَارِنَ بَيْضٍ وَكُلُّ طِمْرَةٍ يَغْذُو عَلَيْهَا الْقَرَّتَيْنِ، غُلامٌ^(٢)

والجوارن - كما سيمر بنا - هي الدروع، جمع: جارنة، وبيض صفتها.

وأورد ابن هشام مما قيل من الشعر يوم أحد (٣هـ-)، قول هبيرة بن أبي وهب - أحد كفار قريش - وقد وصف فيه سلاحه، وعن درعه يقول^(٣):

هَذَا وَبَيْضَاءُ مِثْلَ النَّهْيِ مُحْكَمَةٌ نَيْطَتْ عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا^(٤)

وبيضاء مثل النهي، أي درع بيضاء تشبه مياه الغدير الصافية، محكمة: أي

متقنة متينة الصنع،

ولكعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠هـ) قصيدة يوم الخندق (٥هـ) وصف

فيها دروع المسلمين بأوصاف عدة منها أنها بيضاء، حيث قال^(٥):

بَيْضَاءُ مُحْكَمَةٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَذَقُ الْجَنَادِ ذَاتُ شَكٍّ مُوثِقٍ

والجناد: جمع جندب، وهي الجراد^(٦)، فالشاعر في هذا البيت يشبه قتيّر -

أي رؤوس مسامير - هذه الدروع البيضاء بعيون الجراد، وهو شيء متواتر في كثير من الأشعار التي بين يدينا^(٧).

(١) ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ١٦٠؛ ابن منظور، معج ١٣،

ص ١٠٣. وعن ليبيد ابن ربيعة. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٤، ص.

ص ٤٤٥ - ٤٤٧؛ ابن قتيبة، ص ٧١

(٢) الطمرة: الفرس المشرفة. القرنين: الغداة والعشي.

(٣) ابن هشام، ج ٣، ص ٦٩.

(٤) نيطت: أي علقت.

(٥) ابن هشام، ج ٣، ص ١٥٨؛ وانظر ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٧٦.

(٦) الفيروز آبادي، ج ١، ص ١٣٨.

(٧) تشبيه رؤوس مسامير الدروع بعيون الجراد تكرر لدى كثير من الشعراء، نذكر من ذلك مثلاً

قول الأبيوردي: تَخَالَهُمْ أَرَأَقَمَ فِي دُرُوعٍ * تُحَدِّقُ مِنْ مَطَاوِيهَا الْجَرَادُ. ديوان الأبيوردي،

تحقيق، عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥٢٠

كما أن لعباس بن مرداس (؟ - ١٨ هـ) يوم حنين (٨ هـ) قصيدة، ذكر فيها المسلمين واصفاً دروعهم ويقول^(١):

مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سَلِيمٍ فَوْقَهُ بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقُونَسُ^(٢)

وقوله: فوقه ببيضاء محكمة الدخال: أي لابسا درعا ببيضاء محكمة النسج، أما القونس: فيقصد بها البيضة أي الخوذة.

ونجد ذكر الدروع البيض في قصيدة كعب بن زهير (؟ - ٢٦ هـ) المشهورة التي مدح فيها رسول الله ﷺ، والتي يقول فيها^(٣):

شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبَوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(٤)
بَيْضُ سَوَابِغٍ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ^(٥)
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبُ إِذَا عَرَدَ التَّنَابِيلُ^(٦)

وهو في البيت الأول يُشير إلى عزة وكرامة المسلمين، ويذكر دروعهم، ويقول في البيت الثاني: إن دروعهم هذه كانت ببيضاء سابغة، ويُشبهه حلق هذه الدروع بحلق نبت القفعاء الذي يُشبهه الخواتم. أما في البيت الأخير، فيقول: وهم يمشون في هذه الدروع كأنهم الجمال البيض، يمنعهم ضرب إذا فر السود

(١) ابن هشام، ج ٤، ص ٦٩. أسلم هذا الصحابي قبل فتح مكة بيسير. للاستزادة عنه انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٥٥ - ١٥٧؛ ابن قتيبة، ص ١٨٨.

(٢) الدخال: أي النسج. القونس. أعلى الخوذة.

(٣) ديوان كعب بن زهير، ص ٩١، ابن هشام، ج ٤، ص ٩٥؛ القرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٢٨٧؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥٣.

(٤) شم العرانيين: الشمم حدة في طرف الأنف مع تشمير. العرانيين. الأنوف. كناية عن العزة والكرم.

(٥) القفعاء: نبات ينبسط على وجه الأرض، له حلق كالخواتم.

(٦) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عرَد. فرَّ. التنايل: مفردا تنبال وهو القصير.

وقال في قصيدة أخرى^(١):

ويبيض من النسيج القديم كأنها نهاء بقاع ماؤها مترايع
تصفقها هوج الرياح إذا ضفت وتعبها الأمطار فالماء راجع

وفي أول هذين البيتين يشير الشاعر إلى أن هذه الدرع بيضاء، ويشبهها في صفائها بماء الغدير المتزايد، وفي البيت الثاني يواصل تشبيهها بما تحدثه الرياح والأمطار في مياه الغدير.

٥- التَّبَعِيَّةُ:

دروع تُنسب إلى تَبَع، قال ابن منظور: "التَّبَاعَةُ ملوك اليمن، واحدُهم تَبَع، سموا بذلك لأنه يَتَّبِع بعضهم بعضًا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعًا له على مثل سيرته، وزادوا الهاء في التَّبَاعَةِ لإرادة النسب؛ وأنشد بيت لأبي ذؤيب الهذلي (؟ - ٢٧هـ) يذكر فيه الدروع:

وعليهما ماذيتان قضاها داود، أو صنع السوابغ تبع

وشرحه وقال: لقد "سمع أن داود، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كان سخر له الحديد فكان يصنع منه ما أراد، وسمع أن تبعًا عملها وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده لأنه كان أعظم شأنًا من أن يصنع بيده"^(٢)، وخلاصة الأمر أن العرب كانوا ينسبون الدروع المحكمة الصنع إلى داود، أو إلى تبع ملك حمير^(٣).

جدير بالذكر أن بيت أبي ذؤيب سابق الذكر، ورد برواية أخرى، تقرأ^(٤):

(١) ديوان كعب بن زهير، ص ١٣٢.

(٢) ابن منظور، مج ٨، ص ٣٦.

(٣) القرشي، ح ٩، ص ٢٤٧.

(٤) المفضليات، ص ٤٢٨.

وعليهما مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُودُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تَتَعُّ

و"مَازِيَّتَانِ" في القراءة الأولى، أو "مَسْرُودَتَانِ" في القراءة الثانية: إشارة إلى الدروع كما سيتبين عند تناول الماذية، والمسردة.

على أية حال فكما سبقت الإشارة فقد وصلتنا الإشارة إلى الدروع التبعية في كثير من الأشعار، من ذلك قول امرئ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ) (١):

وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تَبِيعَةٌ وَأَبْيَضٌ قَضَابًا أَحَدٌ كَفَانِي

أي: ودرع مسفوحة: واسعة. فضفاضة، كريمة تنسب إلى تبع، وسيف لطيف

دقيق

كما ورد ذكر الدروع التبعية في قول النابغة الذبياني (؟ - ١٨ ق. هـ) (٢):

وَكَلَّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تَبِيعِيَّةٍ، وَنَسَجُ سَلِيمٍ كُلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ

والصموت، والنثلة، والقضاء، والذائل، جميعها صفات وأسماء للدروع،

(١) ديوان امرئ القيس، وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥هـ، دراسة وتحقيق، أنور عليان أبو سويلم، محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠م، مج ٢، ص ٧٤٥. جدير بالذكر أنه وصلتنا إشارة تفيد أن امرأ القيس كان يملك في وقت من الأوقات مائة درع، أودعها لدى السموأل، حين خرج إلى قيصر يستنجد به على بني أسد بن خزيمة، فلما هلك امرئ القيس بلغ الحارث بن أبي شمر الغساني خبر الدروع، فأتى السموأل في جيش، فتحصن منه السموأل، وأخذ الحارث ابنا له، وهدد بضرب عنقه إن لم يدفع له الدروع، فنظم السموأل في ذلك شعرا، منه: وَقَيْتُ بِأَنْزَعِ الْكَتْدِيِّ إِنْسِي * إِذَا مَا نُمُّ أَقْوَامٍ وَقَيْتُ/ بَنَى لِي عَادِيَا حَصِينًا حَصِينًا * وَمَاءُ كُلِّمَا شَبْتُ اسْتَقَيْتُ/ وَقَالُوا: إِنَّهُ كَنْزُ رَغِيْبَةٍ * فَلَا حَوْلَ اللَّهِ - أَخْذَرُ مَا مَشَيْتُ. ديوان السموأل، صنعه أبو عبد الله نفطويه، تحقيق وشرح، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦١، ٦٢. وعن قصة هذه الدروع، راجع، ابن قتيبة، ص ٦١، ٦٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت، ص ١٤٦؛ وانظر، ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢. وعن النابغة الذبياني، انظر، ابن قتيبة، ص ٨٧.

سنتناول كل منها في حينه. وقوله: "ونسج سلّيم" أراد دروعًا من نسج سليمان، وأراد بسليمان داود؛ لأنه - كما سيتبين فيما بعد - أول من عمل الدروع المحكمة، فنُسبت إليه، كما نُسبت الدروع التَّبَعِيَّة إلى تَبَع.

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟ - ؟) ^(١):

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيٍّ مَالِكٌ لَا نَرَى لَكَ الدَّهْرَ إِلَّا هَمٌّ حَرْبٍ تَسْعَرُ
عَتَاكَ مِنْهَا لَأَمَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمَغْفَرُ

واللأمة - كما سيمر بنا - هي الدرع، والمعنى: وعَتَاكَ درعًا تَبْعَةً، وسيف من ماء الحديد، ومغفر.

وقول مزرد بن ضرار الذيباني (؟ - ١٠ هـ) ^(٢):

وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَآهَا الْقَتِيرُ تَجْتَوِيهَا الْمَعَابِلُ ^(٣)

وهنا يقول إنها درع واسعة، فضفاضة، تُنسب إلى "تبع" ملك اليمن، تُشددُها المسامير، ومن حسن صنعها أن السهام الطوال عريضة النصل تنبو عنها، ولا تؤثر فيها.

وقول عباس بن مرداس يوم حنين (؟ - ١٨ هـ) ^(٤):

كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبَّنَا بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٌ وَمَقْتَعٌ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخِيرُ سَرْدَهَا دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتَبَعَ

أي: وكانت إجابتنا لداعي ربنا - أي الرسول ﷺ - بالحق، في كل وضع،

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٧٠.

(٢) المفضليات، ص ٩٨. وعن مزرد بن ضرار. انظر، ابن قتيبة، ص ١٩٩.

(٣) مسفوحة: الدرع المصبوبة. يُريد أنها متينة أو واسعة. القتير: المسامير، وآها: شددتها. المعابل: سهام طوال عراض النصال. تجتويها: تكرها، يريد أنها تنبو عنها.

(٤) ابن هشام، ج ٤، ص ٦٦. وعن عباس بن مرداس. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٥٥.

سواء كنا حاسرين من لبوس الحرب، أو لابسوها كاملة فلا يظهر منا غير عيوننا، فنلبس دروعاً طويلة واسعة، تخير نسجها سيدنا داود، أو تبع، أي هي دروع جيدة كريمة.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧هـ) (١):

وَتُبِعَ وَسْرَابِيلُ الْحَدِيدِ لَهُ أَزْمَانٌ يُنْسَجُ فِي أَزْمَانِهِ الزَّرْدُ

وسرابيل الحديد: هي الدروع، وهي دروع كريمة مما كانت تُنسج قديماً في أزمان تُبع ملك اليمن.

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) (٢):

تَضِيقُ الدُّرُوعُ التُّبَعِيَّاتُ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ رَحْبِ الْبَاعِ سَبْطُ الْأَنَامِلِ (٣)

أي ويلبس هؤلاء الكرام، دروعاً كريمة تبعية،

وقول أبو عبد الله محمد بن الفخار (؟ - ٥٣٩هـ) (٤):

أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تُبَعِيَّةٌ وَسِيفِي صَدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانُ

أي: ودرعي واسعة، كريمة تُنسب إلى تبع، وسيفي صدق

٦- الجارنة:

قال ابن منظور: الجارنة: "اللينة من الدروع. أبو عمر: الجارنة المارنة. وكلُّ ما مَرَنَ فَقَدْ جَرَنَ". وأنشد بيتاً للبيد بن ربيعة (؟ - ٤١هـ) يصف الدروع،

(١) ديوان بشار بن برد، قرأه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٢.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب، العدد ٣٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، مج ٣، ص ١٨٦٥.

(٣) رحب الباع: كريم مقتدر. سبط الأنامل: سخي.

(٤) الحجاري، أبا عبد الله محمد بن إبراهيم وآخرون، المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق

عليه، شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، د. ت، ج ١، ص ٤٣٢.

ويقول^(١):

وَجَوَارِينِ بَيْضٍ وَكُلِّ طِمْرَةٍ يَغْدُو عَلَيْهَا الْقَرَّتَيْنِ، غُلَامٌ^(٢)

٧- الجُبَّةُ:

في اللسان^(٣): الجُبَّةُ: ضَرْبٌ مِنْ مَقْطَعَاتِ الثِّيَابِ تُلْبَسُ، وَجَمْعُهَا جُبَبٌ وَجِبَابٌ. وَالْجُبَّةُ: مِنْ أَسْمَاءِ الدَّرْعِ، وَجَمْعُهَا جُبَبٌ. وَأَنشَدَ الرَّاعِي النَّمِيرِي (؟- ٩٦- ٩٧هـ)^(٤):

لَنَا جُبَبٌ، وَأَرْمَاحٌ طَوَالٌ، بِهِنَّ نُمَارِسُ الْخَرْبَ الشُّطُونَا

كما ورد ذكر الجُبَبِ بمعنى الدروع في قول مهلهل بن ربيعة (؟- ٩٤ق. هـ)^(٥):

خَذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمَرِي بَتْرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
وَهَجَرِي الْغَائِيَاتِ وَشَرِبَ كَأْسٍ وَلُبْسِي جُبَّةٌ لَا تُسْتَعَارُ
وَكَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ

٨- الجدلاء:

قيل: هي الدرع إذا كانت منسوجة، نحو الدرع الموضونة^(٦)، أي لطيفة الجلد^(٧).

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص ١٠٣؛ وعن هذا البيت انظر، ديوان لبيد، ص ١٦٠.

(٢) الطمرة: الفرس المشرفة. القرَتَيْنِ: الغداة والعشي.

(٣) ابن منظور، مج ١، ص ٢٩٥.

(٤) انظر، ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه، راينهرت فايبيرت، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٧٢.

(٥) ديوان مهلهل بن ربيعة، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٤.

(٦) مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦٠.

(٧) ديوان الحطينة، برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦- ٢٤٦هـ)، تحقيق، نعمان محمد أمين

طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٢٨.

أو محكمة^(١) النسج، وقد وردت الإشارة إلى هذه الدروع في قصيدة للشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري (؟ - ؟)، وصف فيها أنواع عدة من سلاحه، ويهمننا ما قاله في درعه^(٢):

وَمُطَرِدِ الْكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عَاتِرٌ وَذَاتُ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمٌ
مُضَاعَفَةٌ جَدَلَاءُ أَوْ حُطْمِيَّةٌ تَغْشَى بَنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمَ

ويشير الشاعر في الشطر الأول من البيت الأول إلى الرماح، أما في الشطر الثاني، فالقتير: هي رؤوس مسامير الدرع، ويقصد بذات قتير: الدرع. في مواصلها: أي ما يتصل بالحلقتين، درم: أي استواء. أما في البيت الثاني فيصف هذه الدرع ويقول: إن هذه الدرع كانت مضاعفة: أي منسوجة من حلقتين حلقتين. جدلاء: أي محكمة. حطمية: منسوبة إلى حطم، وهي درع سابغة: أي طويلة فضفاضة، لذا فهي تغشي بنان المرء وكفه وقدمه.

كما ورد ذكر الدرع الجدلاء في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ) — /
٢١هـ) (٣):

وَسَعَتْ نَسَاؤُهُمْ بِكُلِّ مُقَاضَةٍ جَدَلَاءُ سَابِغَةٍ وَبِالْأَبْدَانِ
وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ) (٤):
جَدَلَاءُ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْتَقٍ
أي: ودرع جدلاء، تدفعها حميلة سيف مهند،
وقول الحطيئة (؟ - ٤٥هـ) (٥):

فِيهِ الرَّمَاحُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَدَلَاءُ مَبْهَمَةٍ مِنْ صَنْعِ سَلَامٍ

(١) الزمخشري، ج ١، ص ١١١.

(٢) المفضليات، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٧٣.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٧٦؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٥٨.

(٥) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

ويقصد بالسابغة دروع تتميز باتساعها وطولها، قال ابن السكيت: جدلاء: طيفة مجدولة. مَبْهَمَةٌ: لا تستبين فيها أطراف حلقها، يُقال قد أَبْهَمَ عَلَى الأَمْرِ: يَ لَيْسَ فِيهِ فُرْجَةٌ أَعْرِفُهَا، وَحَائِظٌ مَبْهَمٌ: لَيْسَ فِيهِ بَابٌ. وَسَلَامٌ: أَرَادَ سَلِيمَانُ ابْنَ أَوْدَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ^(١).

كما قال الحطيئة ^(٢):

وَكُلُّ مُفَاضَّةٍ جَدَلَاءُ زَغَفٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَبْيَضٌ مَشْرِفِي

ويقصد بالأبيض المشرفي: السيف، أما مفاضة، وزغف، ومضاعفة، فجميعها صفات للدرع.

كما قال كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ) ^(٣):

بِأَيْدِيهِمْ خَطِيَّةٌ وَعَلَيْهِمْ سَوَابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٍ جُدَلَتْ جَدَلًا

أي: ويحمل فرساننا في أيديهم رماحًا خطية، ويلبسون على أجسامهم دروعًا فرعونية ^(٤)، جدلت جدلا: أي حُبَكْ مِنْهَا الزَّرْدَ حَبَكًا مُحْكَمًا.

وقال أيضًا ^(٥):

فَمَا زِلْتُمْ بِالنَّاسِ حَتَّى كَانَتْهُمْ مِنْ الْخَوْفِ طَيْرٌ أَخَذَتْهَا الْأَجَادِلُ ^(٦)
طِعَانٌ يَقْضُ الْحَدْلَ عَنْ أَنْفِ الشُّبَا وَضَرَبَ بَبِيضٍ أَخْلَصَتْهَا الصِّيَاقِلُ ^(٧)

(١) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

(٢) ديوان الحطيئة، ص ١٨٠.

(٣) ديوان كثير عزة، شرح، قدري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢١٦.

(٤) الدُرْعُ الْفِرْعَوْنِيَّةُ قِيلَ: كَمَا سَيَمُرُ بِنَا - هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى فِرْعَوْنَ مُوسَى، وَقِيلَ: الْفِرْعَوْنُ بِلُغَةِ الْقِبْطِ التَّمْسَاحُ.

(٥) ديوان كثير عزة، ص ٢٣٩.

(٦) الأجادل: الصقور.

(٧) أنف: أتوف. الشبا: الرمح. البيض: السيوف. الصياقل: ج صَيَقْلٌ، وَهُوَ صَاتِعُ السِّيفِ وَصَافِلُهُ.

ويقول في البيت الثاني: لكم طعانٌ بالرماح يُقْلُ حديد الدروع المجدولة،
وضرب بالسيوف اللماعة التي أحسنَ صقلها الصياقل.

٩- الجِنَّةُ:

الجِنَّةُ: الدَّرْعُ وكل ما وقاك جِنَّةً^(١). وقد ورد ذكر الجِنَّة بمعنى الدرع، وذلك
في قول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٢):

وأعلمُ أنني لا أسربلُ جِنَّةً من الموتِ معقوداً عليّ تَمِيمُها

أي: إني على يقين من أن الموت قادمٌ فلا درع تقيني منه، ولا تميمة تنفع
في رده عني.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ)^(٣):

بَحِيثُ لا غوثَ إلا صارمٌ ذكراً، وَجِنَّةٌ كحَبَابِ الماءِ تَغْشَانِي

وقوله كذلك^(٤):

وفارسٍ أُغْمِدَ في جِنَّةٍ يُقَطِّعُ السِّيفَ إذا ما وَرَدَ
كَأَنَّمَا ماءٌ عَلَيْهَا جَرَى حَتَّى إذا ما غَابَ فِيهِ جَمَدٌ

١٠- الجَوْشَنُ:

قال الزمخشري: ضرب جَوْشَنٌ وجَوْشَنَةٌ أي صدره. وخرجوا عليهم الجواشنُ
وهي الدروع جمع جَوْشَنٍ^(٥)، ومن المتعارف عليه أن الجوشن هو درع يقي

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ ابن منظور، مج ١٣، ص ١١٢.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ٣٣٦.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ٣٧٣.

(٤) الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى، كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم،
تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة،
القاهرة، منتصف أغسطس ٢٠٠٤م، ص ١٢٥.

(٥) الزمخشري، ج ١، ص ١٤١.

منطقة الصدر^(١)، ويؤكد ذلك قول ابن منظور: الجَوْشَن من السلاح زَرَدٌ يلبسه الصدرُ والحِزوم^(٢)، كما قيل عن مواصفات الجوشن: أن يكون بغير ظهر^(٣)، أو كما قيل "صدرية - بلا ظهر"، تُصنع من ألواح صغار من الحديد أو القرن أو الجلود، وتكسى بالثياب^(٤).

وقال الفيروز آبادي الجَوْشَن: الصَّدْرُ، والدرْعُ، وأشار إلى أنه إلى عمل الجواشن - الدروع - ينسب بعض الأشخاص، وأن من يقوم بعملها يسمى: الجَوْشَنِي^(٥)، وذكر أن ذا الجَوْشَن: شَرَحْبِيلُ بن قُرْطِ الْأَعْوَرِ الصَّحَابِيُّ، سمي بذلك لأنه أوَّلُ عربيٍّ لبَّسَهُ، أولُ لَأَنَّهُ كَانَ نَاتِي الصَّدْرِ، أو لأن كِسَرَى أَعْطَاهُ جَوْشَنًا^(٦).

ولا شك أن هذا النوع من الدروع يستمد اسمه من معناه، فالجوشن: الصدرُ، قال زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣٠ ق. هـ) يصف خيلاً^(٧):

قَدْ عَلِيَتْ فَهِيَ مَرْفُوعَ جَوَاشِنِهَا عَلَى قَوَائِمِ عَوَجٍ لَحْمُهَا زَيْمٌ

وقوله "مَرْفُوعَ جَوَاشِنِهَا" أي إن صدورها عالية مشرفة، وهو أمر محمود في

(١) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج ١، من الفتح العربي حتى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٩٣.

(٢) ابن منظور، مج ١٣، ص ١٠٥. الحزيم، والحيزوم: وسط الصدر وما يضمُّ عليه.

(٣) ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، اعتنى بطبعه، لوي سي، المطبعة المشرقية، لصاحبها بول جيتنار، بالباريز، ص ٧٦؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم، الحيل في حروب دولة المماليك، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م، ح ١، ص ١٢.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٠. وعن كيفية عمل الجواشن من الجلود خاصة. راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٢٢٨.

(٥) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥٥٩.

(٦) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥٥٩.

(٧) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٩٢.

الخيـل.

وقول ذو الرمة (٧٧ - ١١٧هـ) يصف ثوراً طعن كلاباً بروقيه في صدرها^(١):

فَكَرَّ يَمْشُقُ طَعْنًا فِي جَوَاشِينِهَا كَأَنَّهُ الْأَجْزَ فِي الْإِقْبَالِ يَحْتَسِبُ
على أية حال فالجوشن يُعد من أكثر الدروع ذكراً في المصادر المكتوبة،
والجدير بالذكر أنه وصلنا ما يُفيد أن درع سيدنا علي عليه السلام كانت صدرًا لا ظهرَ
لها -أي جوشنًا- فقليل له في ذلك: فقال: إذا استمكن عدوِّي من ظهري فلا
يُبْقِي^(٢).

وقد وصلنا ذكر الدروع الجواشن في قول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٣):

بَاتَتْ خَلَاتِقُهُمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَكَأَنَّهُنَّ جَوَاشِينُ وَدُرُوعُ

وقول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦هـ)^(٤):

كَأَنَّهُ فِي جَوْشَنِ مُزَرَّرٍ، ذِي مُقَلَّةٍ تَسْرَحُ فَوْقَ الْمَحْجَرِ

ومما وصلنا عن الجواشن، أن "أبا العشائر" أخرج للمتنبّي (٣٠٣ -
٣٥٤هـ) درعًا حسنًا في ميفارقين، فقال مترجلاً^(٥):

(١) ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تحقيق، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م، مج ١، ص ٧٩؛ ابن منظور، مج ١٣، ص ١٠٥. وعن ذي الرمة. انظر، ابن فتيبة، ص ٣٥٧.

(٢) ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، العقد الفريد، حققه وشرحه وعرف أعلامه، محمد التونجي، دار صائر، بيروت، ٢٠٠١م، مج ١، ص ١٨٧.

(٣) ديوان البحتري، دار صائر، بيروت، د، ت، مج ١، ص ٣٢٠.

(٤) ديوان ابن المعتز، ص ٢١٧.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبّي، تحقيق، عبد المنعم خفاجي وآخرون، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص ٢١٥.

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شَقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهَا الْحَتُوفُ
فَذَعَةُ لَقَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِنِهَا الْأُسْنَةُ وَالسُّوفُ

وللمنتبى كذلك في وصف قوة الرماح التي تنفذ من الدروع والجواشن،
قوله^(١):

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجَ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدَرْنَقِ^(٢)
وبعد بيت آخر يقول:

تَقَدُّ عَلَيْهِمْ كُلُّ دِرْعٍ وَجَوَاشِنِ وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلُّ سَوْرٍ وَخَنْدَقِ
والمعنى في البيت الأول: إن الرماح إذا وقعت في دروع الأبطال خرقتها كما
تخرق نسيج العنكبوت. أما في البيت الثاني، فيقول: تقد عليهم الدروع
والجواشن، وتقطع الأسوار والخنادق التي حولها.

ويصف ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢ هـ) ملابس جيش فيقول^(٣):

لَبَوسٌ تَكْفُ الْمَوْجَ وَهِيَ غُطَامِطٌ وَتَدْرَأُ بِأَسِّ الْيَمِّ وَهُوَ شَدِيدٌ^(٤)
فمنها دروع فوقها جواشن ومنها خفاتين لها وبُرود^(٥)

كما قال ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ)^(٦):

فَوَارِسُ أَفْذٍ أَقْبَلَتْ فِي جَوَاشِنِ مِنْ الرِّقْمِ، لَمْ تَخْلُقْ لَهَا الْبَيْضَ وَالسَّمَرَ^(١)

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٢٢٠. جدير بالذكر أنه وصلتنا إشارات كثيرة عن الرماح التي
تخرق الدروع والجواشن، وسوف نشير إليها بشيء من الإسهاب، عند تناول الرماح في
دراسة أخرى عن الأسلحة الهجومية.

(٢) قواض: قوائل، والضمير للقنا. مواض: نوافذ. الخدرنق: العنكبوت.

(٣) ديوان ابن هاني الأندلسي، دار صائر، بيروت، د. ت، ص ١٠٠، ١٠١.

(٤) الغطامط: البحر العظيم الأمواج. تدرأ: تدفع دفعا شديداً.

(٥) الخفاتين: ج الخفتان، نوع من الدروع. ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ١، ص ١٠١.

(٦) ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له، إحسان عباس، دار صائر، بيروت، د. ت، ص ١٧٧.

والمعنى: إن هؤلاء الفوارس أقبلوا مسرعين، لايسين جواشن قوية، لا تستطيع السيوف والرماح النيل منها. والجدير بالذكر أن هذا البيت ورد لابن حمديس في قصيدة عن الصيد، وسوف يمر بنا أنه كان ينبغي على الصائدين ارتداء الدروع عند الصيد؛ خشية أن تهجم عليهم الوحوش الضارية.

١١- الحَصْدَاءُ:

في اللسان "الحَصْدُ": هو اشتداد الفتل واستحكام الصناعة في الأوتار والحبال والدروع. وقال الليث: الحَصْدُ مصدر الشيء الأخَصْدُ، وهو المحكم فتله وصنعتة من الحبال والأوتار والدروع^(١)، وفي المحيط، درع حَصْدَاءُ: ضَيْقَةُ الحَلْقِ، مُحْكَمَةٌ^(٢).

وقد ورد ذكر الدرع الحصداء في قول سعد بن مالك بن ضبيعة (? - ٩٥ ق. هـ)^(٣):

وَالنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ وَالـ بَيْضُ المَكَلِّ والرَّمَاخُ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)^(٤):

وَكَانَ الشَّلِيلَ والنَّثْرَةَ الحَصْنَ دَاءً مِنْهُ عَلَى سَكِيلٍ غَرِيفٍ^(٥)

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ)^(٦):

(١) أَفْدَ: ج أَفْد، وهو المستعجل المسرع.

(٢) ابن منظور، مج ٣، ص ١٨٧.

(٣) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٤٠٧.

(٤) ديوان الحارث بن حنظلة يليه شعر بكر وأخبار حرب البسوس، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار

صادر، بيروت، ١٩٩٦م؛ ص ٨٤.

(٥) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٣٠٨.

(٦) السليل: الولد. الغريف: الشجر الكثير الملتف.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص ١٦٤.

وحصداً فولاذية النسيج لم تزل من الهمز الوقاد مطفئة وقد

١٢- الحصين، والحصينة:

الحصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه. ودرع حصين وحصينة: أي مُحْكَمَةٌ^(١)، وهو ما في اللسان وزاد قول ابن الأحمر (؟-؟):

هم كانوا اليد اليمى وكانوا قوام الظهر والذرع الحصينا

كما أنشد قول الأعشى (؟- ٧هـ) ^(٢):

وكل دلاص كالأضائة حصينة ترى فضلها عن ربها يتدبذب

وذكر أن شمر قال: الحصينة من الدروع الأمانة المتدانية الحلق التي لا يحيك فيها السلاح، وأنشد قول عنبرة بن شداد (؟- ٢٢ ق. هـ):

فلقى التي بدنا حصينا وعطط ما أعد من السهام

وعن قوله تعالى في قصة سيدنا "داود" (عليه السلام): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾^(٣)؛ قال الفراء: قُرئ لِيُحْصِنَكُمْ وَلِتُحْصِنَكُمْ وَلتُحْصِنَكُمْ، فمن قرأ لِيُحْصِنَكُمْ فالتذكير لللبوس، ومن قرأ لِتُحْصِنَكُمْ ذهب إلى الصنعة، وإن شئت جعلته للدرع لأنها هي اللبوس وهي مؤنثة، ومعنى لِيُحْصِنَكُمْ لِيَمْنَعَكُمْ وَيُخْرِزَكُمْ، ومن قرأ لِتُحْصِنَكُمْ، بالنون، فمعنى لِتُحْصِنَكُمْ نَحْنُ، الفعلُ لله عز وجل^(٤).

والجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب (رضي) كان قد سأل عمرو بن معدي

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥٦؛ وانظر، خزائن السلاح، ص ٦١.

(٢) انظر هذا البيت في ديوان الأعشى الكبير، ص ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) ابن منظور، مع ١٣، ص ١٤٤.

كرب (١٠٠ - ق. هـ / ٢١ هـ) يوماً عن كثير من أنواع السلاح، وحين سأله عن الدرع، قال ابن معدي كرب: متعبة للراجل، مشغلة للراكب، وإنها لحصن حصين^(١).

وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر الدرع الحصينة في مواضع عدة، ومن ذلك أنه روي عن الرسول ﷺ أنه قال قبل غزوة أحد (٨ هـ): "إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرًا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتا المدينة"^(٢).

وقد ورد ذكر الدرع الحصينة في قول المختار بن أبي عبيد الثقفي (؟ - ؟)^(٣):

تسربت من همدان درعاً حصينة تردّ العوالي بالأنوف الرواغم

وقول منعة بن مالك الضبي (؟ - ؟)^(٤):

كفاني من الدنيا دِلاص حصينة وأجرد خوَار الغنان نجيبُ

وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٥):

على ابن أبي العاصي دِلاص حصينة أجاد المُسدي سَرَدَها وأذالها^(٦)

يؤودُ ضعيفَ القوم حَمَلُ قَتِيرِها ويستضلعُ الطَّرْفُ الأشمُ احتمالها^(٧)

والمعنى: وقد اتخذت يا ابن الأصل الكريم - يقصد ممدوحه الخليفة عبد الملك

(١) ابن قيم الجوزية، الفروسية، ص ١٠٢.

(٢) ابن هشام، ج ٣، ص ١٨.

(٣) المرزباتي، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء، سلسلة النخائر، العدد (٩٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٣٦.

(٤) المرزباتي، ص ٤٤٩.

(٥) ديوان كثير عزة، ص ٢٣١.

(٦) يقصد بابن أبي العاص: الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فمن جدوده أبو العاص.

(٧) يؤرد: يَهْدُ ويَبْهَظ. قَتِيرها: مساميرها. يستضلع: يستقل. الطَّرْف: كريم الأبوين. الأشم: المترفع العزیز.

بن مروان - درعاً براقاً ليناً محكمة، أجاد صانعها نسجها وأطال فيه. وإن درعك هذه؛ يصعب على الضعيف حملها، ويستثقلها حتى الطرف الشجاع الكريم.

١٣- الحُطْمِيَّةُ:

قيل: هي دروع تُنسب إلى "حطم" أحد ملوك اليمن^(١)، وقيل: بل منسوبة إلى شخص يُسمى "حطمة بن محارب" وكان يَعْمَلُ الدُّرُوعَ. وعلاوة على ذلك فقيل: إنها الدروع التي تُحْطَمُ السيوف، أو الثقيلة العريضة^(٢).

وقال صاحب اللسان: الحُطْمِيَّةُ: درع تنسب إلى رجل كان يعملها، وكان لعليّ عليه السلام، درع يُقال لها الحُطْمِيَّةُ. وفي حديث زواج فاطمة عليها السلام: أنه قال لعليّ أين درعك الحُطْمِيَّةُ؟ هي التي تُحْطَمُ السيوف أي تكسرهما، وقيل هي العريضة الثقيلة، وقيل هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يُقال لهم حُطْمَةٌ ابنُ محارب كانوا يعملون الدروع^(٣).

وقد وردت الدروع الحطمية في قصيدة للشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري (؟-؟)، وصف فيها أنواع عدة من سلاحه، ويهمنها ما قاله في درعه^(٤):

مُضَاعَفَةٌ جَذَلَاءُ أَوْحُطْمِيَّةٌ تُغْشِي بَنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمَ

كما جاء ذكرها في قصيدة لجريز (٣٣- ١١٤هـ) يرثي شخصاً، ويقول^(٥):

إِذَا لَفَّ عَنْهُ مِنْ يَدَيِ حُطْمِيَّةٍ وَأَبْدَى ذِرَاعِي بِاسِلٍ قَدْ تَخَدَّدَا^(٦)

(١) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٤٤٤؛ ديوان جريز، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ح ٤، ص ٩٤.

(٢) المفضليات، ح ٨، ص ٣٠٩.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص ١٦٢.

(٤) المفضليات، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) ديوان جريز، ص ٩٤.

(٦) تخددا: ذهب لحمها.

قيل: إن الحَلَقَةَ: اسم لجُمْلَةِ السِّلَاحِ كله^(١)، وأن الدُرُوعَ تُسمى حَلَقَةً^(٢)؛ وذكر ابن منظور إنما ذلك يرجع لمكان الدروع، وغلبوا هذا النوع من السلاح أعني الدروع، لشده غنائه، وبذلك على أن المراعاة في هذا إنما هي للدروع أن النعمان قد سمى درعه حَلَقَةً. وفي صلح خيبر: ولرسول الله ﷺ الصفراء، والبيضاء، والحَلَقَةُ؛ الحَلَقَةُ، بسكون اللام: السلاح عامًّا، وقيل هي الدروع خاصة؛ ومنه الحديث: وإن لنا أغفال الأرض والحَلَقَةَ^(٣).

وقد ورد ذكر الحَلَقَةِ بمعنى الدرع في قول الأخطل (١٩ - ٩٠ هـ)^(٤):

وَوَقَّعَ الْمَشْرِقِيَّةَ فِي حَدِيدٍ لَهْنٌ وَرَاءَ حَلَقَتِهِ صَلِيلٌ

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ)^(٥):

هُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبِشَ يَبْرِقُ بِيضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالُ فِي حَلَقِ شُهْبٍ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)^(٦):

وَعَلَى خَيْلِهِ أَسْوَدٌ، عَلَيْهَا حَلَقٌ يَذْرَأُ السِّلَاحَ مَدَارُهُ

جدير بالذكر أنه وصلتنا كثير من الإشارات عن حلق الدروع، من ذلك - على

سبيل المثال - وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)^(٧):

(١) الزمخشري، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) الرازي، ص ١٤٩؛ الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٦٣؛ ابن منظور، مج ١٠، ص ٧٧؛ مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦٠.

(٣) ابن منظور، مج ١٠، ص ٧٧.

(٤) ديوان الأخطل، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٢١.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٢٦.

(٦) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١١٨.

(٧) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ١٢٠.

أَيْدٍ فِي السِّلَاحِ تَبْهَى عَلَيْهِ حَلَقُ الدَّرْعِ مُحْكَمًا وَقَتِيرَةٌ

وقول علي (رضي) ردًا على قول لعمر بن العاص في صفين (٣٦هـ) (١):

لَأَصْنَحَنَّ الْعَاصِيَّ بْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي

مُجَنَّبِينَ الْخَيْلَ بِالْقِلَاصِ مُسْتَحْقِبِينَ حَلَقِ الدَّلَاصِ

كما أن لدينا كثير من الإشارات عن حلق الحديد - أي حلق الدروع - كقول
امرؤ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ) (٢):

قَوْمٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ بَتَّ يَصْنُطُلُونَ بِنَارِهَا

كَالْأَسَدِ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ لَدَى انْبِثَاطِ غُبَارِهَا

وقول مهلهل بن ربيعة (؟ - ٩٤ ق. هـ) (٣):

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ جُرْبُ الْجَمَالِ طُلَيْنَ بِالْقَطِرَانِ

وقول ربيعة بن مقروم الضبي (؟ - ١٦هـ) (٤):

وَشَهِدْتُ مَعْرَكَةَ الْفَيْوَلِ وَحَوْلَهَا أَبْنَاءُ فَارِسَ بَيْضَتِهِمْ كَالْأَعْبَلِ (٥)

مَسْرَبِلِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ جُرْبُ مُقَارَفَةٍ عَنِيَّةٍ مُهْمَلِ (٦)

وعلاوة على ما تقدم فقد وردت كلمة "الحلق" كإشارة إلى حلق الدروع وذلك

(١) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص ٧١.

(٢) ديوان امرئ القيس مج ٢، ص ٦٩٣، ٦٩٤.

(٣) ديوان مهلهل بن ربيعة، ص ٨٧.

(٤) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، جمع وتحقيق، تناصر عبد القادر، دار صادر، بيروت،

١٩٩٩م، ص ٤٤. وعن ربيعة بن مقروم. انظر، ابن قتيبة، ص ٢٠٢.

(٥) معركة الفيول: وقعة في عقب القادسية وكانت العجم جاءت بالفيول فيها. الأعبَل: حجارة بيض شبهة البَيْض بها.

(٦) العنية: أبوال الإبل، يؤخذ معها أخلاط فتخلط ثم تحبس زمانًا في الشمس ثم تُعالج بها الإبل الجرباء.

في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١ هـ) ^(١):

إذا الرجالُ عضُّهم نابُ الفرقِ
وَجَدْتَنِي بالسيفِ هَتَّاكَ الحَلَقِ ^(٢)

والحق أنه يصعب الجزم ما إن كانت هناك علاقة بين "الحلقة" كإسم للدرع،
والحلق الذي تُنسج منه الدروع، وربما يضعف هذه العلاقة ذلك القول الذي يُفيد
أن الحلقة: اسم لجُملة السلاح كله!

١٥- الخدباء:

قيل: هي الدرع اللينة ^(٣)، أو الدرع الواسعة ^(٤)، وفي اللسان: درع خدباء:
واسعة، وقيل: لينة، قال كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يصف درعاً ^(٥):
خدباءٌ، يحفرها نجادٌ مهتدٌ، صافي الحديد، صارمٌ، ذي روثقٍ ^(٦)

١٦- الخرنق:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ ^(٧)، ولم أقف على معنى الخرنق هنا
تحديداً، وإن كنت أعتقد أنها إشارة إلى نعومة ملمس هذه الدرع، فمن معان

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٨٥.

(٢) أي: وإذا الرجال عضُّهم ناب الخوف، كنت أنا بسيفي هتاك لحلق الدروع.

(٣) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٠.

(٤) الفيروز آبادي، ج ١، ص ١٥٤.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص ٤٠٦.

(٦) كلمة "خدباء" وردت في الديوان "جدلاء". ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٧٦.

(٧) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار التقوى

للتراث، القاهرة، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٥٣. ووردت هذه الكلمة برسم آخر "الخرنق". انظر،

مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤.

الخرنق: ولد الأرنب، الذي يكون له ملمسًا ناعمًا، قال الشاعر^(١):

لَيْتَهُ الْمَسُّ كَمَسِّ الْخَرْنَقِ

ومن الجدير بالذكر أنه سيمر بنا أن بعض الشعراء كانوا يفخرون بنعومة وليونة دروعهم ويُسبِّهونها بالخرنق: أي ولد الأرنب.

١٧- الخفتان:

لابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) قصيدة وصف فيها ملابس جيش بقوله^(٢):

فمنها ذُرُوعٌ فوقها وجَواشِنٌ ومنها خَفَاتَيْنِ لها وبُرود

قال محقق الديوان: الجواشن، الواحد جوشن: زرد كالدرع يلبسه الصدر. الخفاتين، الواحد خفتان: نوع من الدروع^(٣). وإن كان لم يتوافر فيما بين يدي من المصادر أو المراجع ما يُشير إلى أن الخفتان: نوع من الدروع!

١٨- الداودية:

نسبة إلى داود الطيِّل^(٤)؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أنِ أَعْمَلَ سَبِغَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ^(٥)، وفي هذه الآية يقول "سبحاته": إنه قد ألان لنبيه "داود" الطيِّل^(٤) الحديد، وعلمه كيف يصنع منه الدروع متقنة سابغة، أي واسعة فضفاضة. حيث كانت الدروع قبله تُصنع من صفائح ثقيلة، وغير سابغة، وكان "داود" الطيِّل^(٤) أول

(١) انظر، ابن منظور، مج ١٠، ص ٩٤.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) ديوان ابن هاني الأندلسي، ج ١، ص ١٠١.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٠.

(٥) سورة سبا: الآية ١١.

من سردها، وحلقها فجملت بين الخفة والتحسين^(١)، ومن ثم فتنسب الدروع
الفائقة إلى نسج سيدنا "داود"^(٢).

وقد وردت الإشارة إلى الدروع المنسوبة إلى سيدنا داود عليه السلام في قول
الحسين بن حمام المري (؟ - ١٠٠ ق. هـ) ^(٣):

صَفَائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مِنْهُمَا

وهو يُشير في الشطر الأول إلى سيوف مصنوعة في بصرى، أخلص صناعاتها
في عملها فجاءت بها خالصة من العيوب. أما في الشطر الثاني فيقول: ودروع
من نسج داود - مطردة - أي متتابعة، لا فتق فيها ولا ثلم ولا خرق.

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول الأعشى (؟ - ٧٧ هـ) ^(٤):

وَذُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْحَرِّ بِ وَسُوقٍ يُخْمَلْنَ فَوْقَ الْجِمَالِ ^(٥)
مَلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الْكَرَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدى وَالطَّلَلِ ^(٦)

ويفخر الشاعر في البيت الأول بأن الفرسان - كان أشار إليهم من قبل -
يلبسون دروعاً محكمة تنسب إلى داود. أما في البيت الثاني، فهو يُشير إلى
شيء مهم عن الدروع بوجه عام، حيث يقول: وهذه الدروع دُهنت بالزيت، وذُرَّ
فوقها البعر، حتى لا يصيبها الصداً من الندى والطلل.

وورد ذكر الدروع المنسوبة إلى داود عليه السلام أيضاً في قول عمرو ابن معدي

(١) سعد بن عبد الله الجنيد، معجم التراث، السلاح، إصدارات دار الملك عبد العزيز، الرياض،
١٤١٧ هـ، ص ١٠، ١١.

(٢) القلقشندي، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) المفضليات، ص ٦٦؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٠٢.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ٦١.

(٥) وسوق: ج وسق، وهو الحمل.

(٦) الكرة: البعير. الطلل: ج ظل، وهو المطر الضعيف.

كرب (١٠٠ق. هـ / ٢١هـ) (١):

أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ مُطَرِّدًا لَدُنَ الْمَهْزَةِ غَيْرَ ذِي وَصْمٍ
وَمُفَاضَّةً كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةً مِنْ صَنْعِ دَاوُدَ أَبِي سَلَمٍ

أي: وقد أعددت لنوائب الدهر، رمحاً مستقيماً ليناً، ليس به عقد. كما أعددت درعاً واسعة، تشبه في صفائها وملاستها مياه الغدير، وهي من صنع داود، أبي سلم: أي أبي سليمان.

وقول لبید (؟ - ٤١هـ) (٢):

وَمَا نَسَجْتُ أَسْرَادَ دَاوُدَ وَابْنِهِ مُضَاعَفَةً مِنْ نَسْجِهِ إِذْ يُقَابِلُ (٣)
وَكَانَتْ تَرَاتُّبًا مِنْهُمَا لِمُحَرِّقٍ طَحُونٌ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهَا الْأَعَابِلُ (٤)
وقوله كذلك (٥):

وَتَزَعْنُ مِنْ دَاوُدَ أَحْسَنَ صَنْعِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِقُوَّةٍ وَتَعِيمُ
صَنْعَ الْحَدِيدِ لِحِفْظِهِ أَسْرَادَهُ لِيَتَالَ طُولَ الْعِشِ، غَيْرَ مَرُومٍ

وقول كعب بن زهير (؟ - ٢٦هـ) (٦):

شُمُ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
وقول الحطيئة (؟ - ٤٥هـ) (٧):

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٦٤.

(٢) ديوان لبید، ص ١٣٥.

(٣) يقابل: يسدي ويلحم.

(٤) محرق: لقب عمرو بن هند، ولقب الحارث بن عمرو من آل جفنة. الأعابل: الحجارة البيض الضخام.

(٥) ديوان لبید، ص ١٨٩.

(٦) ديوان كعب بن زهير، ص ٩١.

(٧) ديوان الحطيئة، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

والمُشْعِلُونَ ضِرَامَ الحربِ إِن لَقِحتْ
يَمْشُونَ فِي نَسِجِ دَاوُدَ مُضَاعَفَةٍ
يَوْمًا إِذَا ازْوَرَّ عَنْهَا مَنْ يُغَالِيهَا
بُزْلٍ طَلَّى أَدْمَهَا بِالزَّفْتِ طَالِيهَا
وقول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) (١):

مَفْرَشِي صَهْوَةِ الحِصَانِ وَلَكِنْ
لَأَمَّةٌ فَاضَّةٌ أَضَاءَ دِلَاصٍ
قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ
أَحْكَمَتْ نَسِجَهَا بِدَا دَاوُدَ

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) يصف دروع جيش من
الفرسان (٢):

وَتَخْضِبُ الحَلْقَ المَازِي مِنْ عَلَقِي
كَأَنَّمَا صَاغَهَا دَاوُدُ مِنْ ذَهَبٍ (٣)
وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧هـ) يصف درعاً (٤):

وَفَضْفَاضَةً خَضِرَاءَ ذَاتِ حَبَائِكِ
لَهَا لَيْنٌ لِمَسٍ لَا يَخَافُ خَشُونَةً
إِذَا لُبِسَتْ فَاضَتْ عَلَى بَطَلٍ كَفُو
تَشَافَهَا مِنْ حَدِّ ذِي شُطْبٍ مُهُو (٥)
أَدَقَّ عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْ أَثَرِ الرِّفْوِ
عَلَى أَنَّهَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ نَثْرَةً

١٩- الدِّخَاسُ:

الدِّخِيسُ: هو العدد الجَمُّ. وعددٌ دَخِيسٌ ودِخَاسٌ: أي كثير (٦). ودرعٌ دِخَاسٌ:
أي متقاربة الحَلَقِ (٧).

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥١.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ٥٦.

(٣) والحلق المادي: إشارة إلى الدروع، وسوف نتناولها بالتفصيل، عند الحديث عن المانية.

(٤) ديوان ابن حمديس، ص ٥٢١.

(٥) لمس، في رواية أخرى "سرد". مهو: منقض.

(٦) ابن منظور، مج ٦، ص ٩٣.

(٧) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ الفيروز آبادي، ج ١، ص ٧٤٧؛ ابن منظور،

مج ٦، ص ٩٣؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤١؛ مؤلف مجهول، خزنة السلاح، ص ٦٠.

٢٠- الدَرَمَة:

يُقَال: مكان أدرم: أي مستوٍ أملس، ودرع دَرَمَة: أي ملساء، قد ذهبَت خَشُونَتُهَا وَقَضَضُ جَدَّتْهَا وانسحقت، قال الراجز^(١):

يا قائدَ الخيلِ، ومُجَبَّ كتابَ الدَّلَاصِ الدَّرِمَة

وفي المحيط: درع دَرَمَة: ملساء، أو لَيِّنَة^(٢)، وفي اللسان: قال شمر: والمدَرَمَة من الدروع اللينة المستوية، وأنشد^(٣):

هاتِكَ تَحْمِلُنِي وتَحْمِلُ شِكَّتِي، ومُفَاضَّة تَغْشَى البَتَانَ مَدْرَمَة

وعلاوة على ما تقدم فلابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ) بيت شعر يقول فيه^(٤):

يَخْضُنْ دُرْمًا كالأُكْرَ كَأَنَّهُ إِذَا وَكَّرَ

وهو في هذا البيت يُشَبِّه بِيض النعام بالدرع الدَرَمَة، أي الدرع الملساء^(٥).

٢١- الدَّلَاصُ:

الدَّلِيسُ: البريق. والدَّلِيسُ والدَّلِصُ والدَّلَاصُ والدَّلَاصُ: الشيء اللَّيِّنُ البَرَّاقُ الأملس. والدَّلَاصُ من الدُّروع: اللينة. ودرع دِلَاصٍ: برّاقة ملساء لينة بَيِّنَة الدَّلَاصِ، والجمع: دُلُصٌ^(٦)، يُقَال: أدرُع دُلُص، وقيل دِلَاص الواحد والجمع سواء،

(١) الزمخشري، ج ١، ص ٢٦٩.

(٢) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٤٥٨.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص ٢٢٩.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، سمعه وشرحه، أبو العلاء المعري، حققه محمد أسعد طلس، ج ١، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٥.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ح ٧، ص ١٥.

(٦) ابن منظور، مج ٧، ص ٤١؛ وانظر، الزمخشري، ج ١، ص ٢٧٨؛ الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٤٢.

كما قال عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ / ٢١١هـ) (١):

أعددتُ للحربِ فضفاضةً دِلاصًا تنثني على الراهِشِ

كما قال الإمام علي بن أبي طالب (رضي) (٣٢ق. هـ / ٤٠هـ) (٢):

لأوردن العاصي ابن العاص سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحلقين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص

أو كما ورد في رواية أخرى (٣):

لأُصْبِحَنَّ العاصِي ابنَ العاصي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي
مُجَنَّبِينَ الْخَيْلَ بِالْقِلَاصِ مُسْتَحْقِينَ حَلَقَ الدَّلاصِ

أو كما روى أبو العلاء المعري (٤):

مُسْتَلْثِمِينَ حَلَقَ الدَّلاصِ

كما قال أبو دَهْلِيلِ الجُمَحِيُّ (؟ - ٦٣هـ) (٥):

دِرْعِي دِلاصًا، شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ، وَجَوَّبَهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ
وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةَ (٤٠ - ١٠٥هـ) (٦):

على ابن أبي العاصي دِلاصًا حصينةً أجاد المُسدِّي سرزدها وأذالها

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٣٣.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، دار المنار بالقاهرة، مكتبة فياض بالمنصورة، د. ت، ص ٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص ٧١. وأورد أبو العلاء المعري هذه الأبيات، نسبة إلى رجل من أصحاب علي (رضي). راجع، ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ١٦٦.

(٤) انظر، ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ١٦٦.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص ٩٥٢.

(٦) ديوان كثير عزة، ص ٢٣١.

وقال ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ) (١):

وإذا بدا أفدي الزمان به، وسط الخميس، كأنه دُلص

وقال البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٢):

كأن النجوم المستسرات، في الدجى، سِكاك دِلاصٍ، أو عيون جرّاد

ويلاحظ أنه في هذا البيت يُشبه النجوم المتلألئة في ظلمة الليل، بمسامير الدروع الدلاص، أو بعيون الجرّاد.

كما ذكر ذات الدروع الدلاص في قوله (٣):

بَسْطَةٌ فِي السِّلَاحِ يَعْجِزُ عَنْهَا سَابِغُ السَّرْدِ زَغْفَةٌ، وَدِلَاصَةٌ

وقال ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ) في الحرب وذكر القائد (٤):

مَقْلَكٌ تَحْتَ أَظْلَالِ الْعَوَالِي وَبَيْتُكَ فَوْقَ صَهَوَاتِ الْجِيَادِ (٥)

تَبَخَّرُ فِي قَمِيصٍ مِنْ دِلَاصٍ وَتَرْفُلُ فِي رِدَاءٍ مِنْ نِجَادٍ (٦)

كَأَنَّكَ لِلْحُرُوبِ رَضِيعٌ ثَذِي غَذَّتْكَ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ (٧)

وقوله: "تَبَخَّرُ فِي قَمِيصٍ مِنْ دِلَاصٍ" أي وهو في الحرب، يزهو متبخترًا في درع برّاقة ملساء ليّنة.

وقال ابن هاتى الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢ هـ) (٨):

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٢٥٤.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٤٣٤.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١٢٨.

(٤) ابن عبد ربه، مج ١، ص ١٢٨.

(٥) المقيّل: مكان النوم وقت الظهيرة.

(٦) النجاد: حمائل السيف.

(٧) النّاد: الداهية.

(٨) ديوان ابن هاتى الأندلسي، ص ٩٢.

وكلّ درع دِلاصٍ المَتَنِ سابغٍ تطوى على كل ضافي النسيج مسرود
وقال الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) ^(١):

أَسْحَبُ ذَيْلِي فِي الْهَوَانِ وَأَسْرَتِي تَجُرُّ إِلَى الْعِزِّ الدَّلَاصِ الْمُسَرَّدَا
وقال ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧ هـ) يصف جيشاً ^(٢):
وباعثها خضراء كالبحر مَوْجُهَا دِلاصٌ وَعَسَالٌ وَعُضْبٌ وَأَجْرَدُ
كما قال يصف كتيبة ^(٣):

بِكَتَابٍ كَتَبَ الْإِلَـهَ أَمَامَهَا فَتَحًا وَنَصْرًا
مَنْ كُلُّ مُتَشَجِّعٍ عَلَى بَحْرِ الدَّلَاصِ الزُّغْفِ نَهْرًا
وقال ابن سهل الأندلسي (٦٠٥ - ٦٩٤ هـ)، يمدح الشيخ أبا فارس الفتح
ابن فارس بن أبي حفص والي أشبيلية سنة ٦٤٣ هـ ^(٤):

تَهَشُّ إِلَى الْأَقْرَانِ حَتَّى كَأَنَّمَا تُلَاقِي لَدَى الرَّوْعِ الْحَبَائِبَ لَا الْعِدَا
يَمِينًا لَأَنْتَ اللَّيْثُ لَوْلَا حَزَامَةٌ تُرِينَا بِعِطْفِيكَ الدَّلَاصِ الْمُسَرَّدَا
والمعنى: إنه كالليث في صفاته، لولا أن الحزم يُحتم عليه أن يلبس الدرع
المسرودة، فهو يلبس الدرع يفترق عن الأسد.

٢٢ - الدَّلَامِصُ:

الشيء الدَّلَامِصُ: هو البراق ^(٥). والدَّلَامِصُ: الدرع البراقة ^(٦).

(١) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) ديوان ابن قلاقس، تحقيق، سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨م، ص ٢٦٢.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص ٤٤٤.

(٤) ديوان ابن سهل الأندلسي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٠٧.

(٥) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٤٢؛ ابن منظور، مج ٧، ص ٤١.

(٦) النويري، السفر السادس، ص ٢٤١؛ خزائن السلاح، ص ٤١.

٢٣- ذات الحرابي:

الحرباء: مسنار الذرع، وقيل: هو رأس المسنار في حلقة الذرع. والحرابي: مسامير الدروع^(١). ويقصد بذات الحرابي: الذرع، قال الحطينة (٤٥ - ٤٦)^(٢):

كالهتدواني لا تنني مضاربه ذات الحرابي فوق الدارع البطل

وعن شرح هذا البيت قال ابن السكيت: ذات الحرابي: الذرع، والحرابي: المسامير التي تجمع طرفي الحلق، واحدها حرباء^(٣).

٢٤- ذات الحواشي:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ^(٤). ولعلها سُميت بذلك لطول حواشيها، أي جوانبها وأطرافها^(٥)! وهو ما يمكن أن نستشفه من قول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢) يمدح الأميرين طاهراً وأبا عبد الله الحسين ابني الإمام المنصور بالله وهما أخوا المعز لدين الله، ويقول^(٦):

تطلع الأقمار من تيجانهم وعليهم سابغات كالآد^(٧)
كل رقاق الحواشي فوقهم كعيون من أفاع أو جراد

والسابغات - كما سيمر بنا - هي الدروع الطويلة الفضفاضة، وقد نعتها الشاعر هنا بأنها رقاق الحواشي، وشبهه مسامير حلقاتها بعيون الأفاعي أو عيون

(١) راجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦؛ ابن منظور، مج ١، ص ٣٦١.

(٢) ديوان الحطينة، ص ١٨٥.

(٣) ديوان الحطينة، ص ١٨٥.

(٤) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٥٣.

(٥) الحاشية: جانب الثوب. الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٦٧٣.

(٦) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ١١٥.

(٧) الدآدي: اللبالي الشديدة الظلمة، شبه حلق الدروع بسوادها.

الجراد، التي تتميز بشدة لمعانها.

٢٥- ذات الفضول:

الفضل: ضد النقص، والفضل والفضلة: البقية من الشيء، أو ما زاد فيه. وكل درع زيد فيها، فهي ذات فضول. قال ابن منظور: ذات الفضول اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ، وقيل: ذو الفضول لفضلة كان فيها وسعة^(١)، وقد كانت درعه ﷺ هذه من حديد^(٢).

جدير بالذكر أنه وصلتنا غير إشارة عن الدروع التي لها فضول، ومن ذلك قول البحري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٣):

وإن مشى في فضول الدرع قلصتها مَجَلَّ بَيْنَ تَشْمِيرٍ وَإِسْبَالٍ^(٤)
وقوله كذلك^(٥):

رَفِيعُ الْبَاعِ، يَرْفَعُ مَتَكِبَاهُ فَضُولَ الدَّرْعِ عَنْهُ، وَالشَّلِيلِ
وقوله أيضاً^(٦):

عَظِيمُ كَرَادِيْسِ الْمَتَاكِبِ، قَادِرٌ عَلَى الدَّرْعِ أَنْ يَغْتَالَ عَنْهُ فَضُولُهَا

٢٦- ذات الوشاح:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ^(١). والوشاح في الأصل: كلة حلي النساء،

(١) ابن منظور، مج ١١، ص ٦٢٧. وعن درع الرسول المسماة "ذات الفضول". راجع، مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٥٢.

(٣) ديوان البحري، ط دار المعارف، مج ٣، ص ١٧٢٣.

(٤) قلص: شمر ورقع.

(٥) ديوان البحري، ط دار صادر، مج ١، ص ٥٩.

(٦) ديوان البحري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١٢٦.

ومنه اشتق تَوَشَّحَ الرجل بثوبه. وفي الحديث أنه كان يتوشح بثوبه أي يتفشى به والأصل فيه من الوشاح^(٢).

٢٧- الذائلة:

يقال: درع ذائلة: أي الطويلة الذيل^(٣)، وقيل: المذالات: الدروع الطويلة - السابغة - من أزال الرجل ثوبه أو درعه أطال ذيلها، قال الشاعر^(٤):

وأرعن ملموم الكتائب خيله مَضْرَجَةً أَعْرَافُهَا وَنَحُورُهَا^(٥)
عليها مَذَالَاتُ الْقِيُونِ كَأَنَّهَا عِيُونُ الْأَفَاعِي سَرْدُهَا وَقَتِيرُهَا

وقال ابن منظور: ودرع ذائلة وذائل ومذالة: طويلة. والذائل: الدرع لطويلة الذيل؛ وأنشد للنابغة (٢- ١٨ ق. هـ)^(٦):

وكل صَمْوَتٍ نَثْلَةٌ تَبْعِيَّةٌ، ونَسَجُ سَلِيمٍ كلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٧)
عَلَيْنَ بِكَدِّيُونٍ، وَأَبْطُنٌ كَرَّةٌ فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَايِلِ

و"الصَمْوَت" و"النَثْلَةُ" و"التَّبْعِيَّةُ" و"نَسَجُ سَلِيمٍ"، جميعها أسماء أو صفات للدروع كل يتم تناوله في حينه. ولكن في البيت الثاني ملح مهم يخص هذه الدروع، فقوله -كما ذكر الأصمعي: عَلَيْنَ بِكَدِّيُونٍ، أي جعل على ظواهر هذه

(١) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٥٣؛ ابن منظور، مج ٢، ص ٧٥١.

(٢) ابن منظور، مج ٢، ص ٧٥٠، ٧٥١.

(٣) التويري، السفر السادس، ص ٢٤١؛ الزمخشري، ج ١، ص ٣٠٨؛ مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦١.

(٤) التويري، السفر السادس، ص ٢٤٤.

(٥) الأرعن: الجيش المضطرب لكثرته.

(٦) ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢، وانظر، ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦؛ وراجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٧) يعني بـ "سليم" سيدنا "سليمان بن داود" عليه السلام.

الدروع دُرْدِي الزيت، لئلا تصدأ فيحصل بعضه بعضاً. والكُرَّة: البعر والرماد، وقيل: هي ما طُلِيتْ به من دُهن أو نَسَم. والوِضَاء: وضئ، وهو النقي الصافي. وقوله "صافيات الغلال"، يعني الدروع صافية، فغلالها صافيات، لصفائها، لأن الدروع إذا كانت صافية لم تَدنس الغللة تحتها، وقال بعضهم الغلال: مسامير الدروع، واحدتها غلالة^(١).

كما ورد ذكر الدروع المذالة في قول كثير عزة (٤٠ - ١٠٤هـ)^(٢):

إذا أخذوا أنراغهم فتَسْرَبُوا مَقْلَصَ مَسْرُودَاتِهَا وَمَذَالِهَا^(٣)

أي: إذا ارتدى فرسانك الدروع -المسرودة- طويلها وقصيرها ...

٢٨- الرَبُوضُ:

الرَبُوضُ: هي الواسِعة من الدُرُوع^(٤).

٢٩- الزَّرْدُ:

الزَّرْد -كما في المخصص- اسم من أسماء الدروع، وعرفه عن صاحب العين قائلًا: الزَّرْد: حَلَقُ الدَّرْع والجمع زُرُود والزَّرَاد -صانعها، وقيل: الزاي في ذلك بدل من السين في السَّرْد^(٥)، وذكر الرازي أن الزَّرْد: كالسَّرْد وزُنَا وَمَعْنَى وهو تَدَاخُلُ حَلَقِ الدَّرْع بعضها في بعض. والزَّرْد بفتحين الدَّرْع المزُرْدَة، والزَّرَاد

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٧.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ٢٢٩.

(٣) المقلص: القصير.

(٤) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٧٠؛ ابن منظور،

مج ٧، ص ١٦٩؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦١.

(٥) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ ابن منظور، مج ٣، ص ٢٣٩. ويُؤخذ في عين

الاعتبار أن هناك من اعتبر أن الزَّرْدَة: هي حلقة الدرع، والسَّرْد: ثقبها.

بتشديد الرء صَانِعُهَا^(١)، وقال الزمخشري: زَرَدُ الدَّرْع: سردها لأنها حَلَقَ فِيهِ ضَيْقٌ. وَيُقَال: لبسوا الزَّرْدَ والزَّرْدَ تسمية بالمصدر وفعل بمعنى مفعول^(٢).

والدروع المزرودة: هي بمثابة قمصان؛ تصنع من حلقات الحديد الصغيرة المشدودة إلى بعضها^(٣)، وقيل: إن هذه الزَّرَدِيَّات تأخذ هيئة شبكية أو مخططة كالتي تغطي الحمار الوحشي^(٤)، ومنها ما هو قصير ومنها ما هو طويل، والآخر هذا كان منه ما يسترسل إلى الأرض ويطلق عليه "زَّرَدِيَّات سَابِلَة" أو "زردية مسبلة"، كانت تغطي ساقى الفارس^(٥).

وقد وردت الإشارة إلى الزرد أي الدروع وذلك في قول البحتري (٢٠٦-٢٨٤هـ)^(٦):

يَمْشُونَ فِي زَرْدٍ كَأَن مَتَوْنَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتَوْنُ نِهَاءِ
بِيض تَسِيلُ عَلَى الْكُمَاةِ فُضُولُهَا سَيْلُ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بَيِّدَاءِ

٣٠- الزَّغْفَةُ:

الزَّغْفُ والزَّغْفَةُ: هي الدِرْعُ اللَّيْتَةُ الواسِعَةُ الْمُحْكَمَةُ، وقيل: هي الدِرْعُ الرَّقِيقَةُ الْحَسَنَةُ السَّلَاسِلُ^(٧)، قال الشاعر^(٨):

-
- (١) الرازي، ص ٢٧٠.
(٢) الزمخشري، ج ١، ص ٣٩٧. وعن الزرد ومعانيه. راجع أيضًا، ابن منظور، مج ٣، ص ٢٣٩؛ الفيروز آبادي، ج ١، ص ٤١٧.
(٣) محمد مصطفى نجيب، تنظيم الجيش المملوكي في عهد السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ) / (١٥٠١-١٥١٦م)، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٢.
(٤) Dozy, R., Tome Premier, p. 585
(٥) ماير، ل. أ، الملابس المملوكية، ترجمة، صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٦٧.
(٦) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٣٨٤؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢.
(٧) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٠٨٨.
(٨) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

تَحْتِي الْأَغْرَ، وَفَوْقَ جِلْدِي نَشْرَةٌ زَغَفٌ قَرْدُ السِّيفِ، وَهُوَ مِثْلُ

أي: وأمتطي فرسي المسمى الأغر، وألبس درعاً لينة واسعة محكمة، لا يستطيع السيف أن ينال منها، ثلوا أصابها سيئتكم.

وورد في اللسان، أن ابن الأعرابي قد أنكر تفسير الزغفة بالواسعة من الدروع وقال: هي الدروع الصغيرة الحلق، وقال ابن شميل: هي الدقيقة الحسنة السلاسل؛ ومنه قول الربيع بن أبي الحقيق في الزغف:

رُبَّ عَمٍّ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ حَسَنَ الْمِشْيَةِ فِي الدَّرْعِ الزَّغَفِ

وقال ابن السكيت الزغف: الدرع الواسعة الطويلة، أظنه من قولهم زغف لنا فلان، وذلك إذا حدث فزاد في الحديث وكذب فيه^(١).

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قصيدة للحارث بن حنظلة اليشكري (؟ - ٥٤ ق. هـ) يمدح فيها الملك قيس بن شراحيل ويصف جوده ويقول^(٢):

وإلى ابن مارية الجوادِ وهلْ شَرَوَى أَبِي حَسَّانَ فِي الْإِنْسِ^(٣)
يَحْبُوكَ بِالزَّغَفِ الْفَيْوُضَ عَلَى هِمَيَاتِهَا، وَالْدُّهْمَ كَالْغَرَسِ^(٤)

وهو في البيت الأول ينسب الملك قيس إلى أمه، ويقول إنه كريم وهل مثله أحد؟! أما في البيت الثاني، فيقول: وهو يُعطيك الدرع الزغف: أي اللينة المحكمة. الفيوض: أي السابغة؛ على المنطقة التي تشدها، ويُعطيك خيلاً دهم، تشبه النخيل في طولها.

كما ورد ذكر الدرع الزغف في قول أوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ)^(٥):

(١) ابن منظور، مج ٩، ص ١٦٣.

(٢) ديوان الحارث بن حنظلة، ص ٥٦؛ المفضليات، ص ١٣٣.

(٣) الشروى: المثل.

(٤) الهميان: المنطقة أو شيء يشد به الدرع.

(٥) ديوان أوس بن حجر، ص ٩٦.

وَبَيْضَاءِ زَغَفٍ نَثْلَةٍ سَلْمِيَّةٍ لَبَا رَقْرَفٍ فَوْقَ الْأَنَامِلِ مُرْسَلُ
كما يصف الشاعر الجاهلي يزيد بن الخُدَّاقِ (؟ - ؟) الدروع التي يُعدوها
للحرب ويقول^(١):

نَعْدُ لِيَوْمِ الرُّوعِ زَغَفًا مَفَاضَةً دِلَاصًا وَذَا غَرْبٍ أَحَدًا ضَرْسًا^(٢)
أي ونجهز ليوم الروع دروعًا محكمة، واسعة، برّاقة ملساء ليّنة، وسيوفًا
خفيفة

وقول المتلمس الضبعي (؟ - ٣٤٣ ق. هـ)^(٣):
وَالْبَيْضَ وَالزَّغَفَ الْمَضَا عَفَ سَرْدُهُ حَلَقٌ مُوْتَقٌ
وقول عبيد بن الأبرص (؟ - ٢٥٥ ق. هـ) وهو يفخر بفتان بني أسد^(٤):
رُجَحٌ، إِذَا حَضَرَ النَّادِي، حُلُومُهُمْ، وَفِيهِمُ الزَّغَفُ وَالْخَطِيُّ وَالرُّبُطُ
وهو في الشطر الثاني يفتخر بأنهم أصحاب دروع واسعة - زغف - ورماح -
خطي - وربط: أي خيول تربط في الألفية.
وقول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١١ هـ)^(٥):

-
- (١) المفضليات، ص ٢٩٨.
(٢) الغرب: الحد، وأراد بذئ الغرب السيف. الأحذ: الخفيف. الضروس: السيئ الخلق في الإبل.
وهو في السيف تشبيهه.
(٣) ديوان المتلمس الضبعي، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه
والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٠م، ح ٢، ص ٢٤٧. وعن المتلمس، انظر، ابن قتيبة،
ص ١٠٤.
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٩٤. وعن عبيد بن الأبرص.
انظر، ابن قتيبة، ص ١٦٦.
(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٢٧.

وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَزَعْفٍ دِلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلَاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ طُلُوبٌ لثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطْلَبِ

وقوله: وَزَعْفٍ دِلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ، أي ودروع رقيقة النسج براقعة ملساء
ليثة، تشبه الغدير عندما تصفق الرياح مائه فيتلقلق.

وقول الشاعر الجاهلي النعمان بن زرة (؟ - ؟) (١):

وَبِرَايَتِي هَامُ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا تُذْرِي السُّيُوفُ بِهَا نَقِيفَ الْحَنْظَلِ
يَمْشُونَ فِي الزَّعْفِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهُ مَشَى الْجِمَالِ إِلَى الْجِمَالِ الْبُزْلِ

وقول الشاعر الجاهلي هجرس بن كليب (؟ - ؟) (٢):

وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ نَيْمَ أُنْسِي نَعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ فِي الْيَوْمِ الْكَسْفِ (٣)
إِذْ لَقَيْنَا مِنْ تَمِيمٍ عَصْبَةً كَقُرُومِ الشُّوْلِ تَمْشِي فِي الزَّعْفِ (٤)

وقول الأعشى (؟ - ٧هـ) (٥):

كَتَائِبُ مَنْ بَنَى ذَهْلٌ عَلَيْهَا الزَّعْفُ قَدْ نُظِمَا

وقوله كذلك (٦):

قُلْنَا الصَّلَاحَ فَقَالُوا لَا نَصَالِحُكُمْ أَهْلُ النَّبُوكِ وَغَيْرُ فَوْقَهَا الْخَصْفُ
لَسْنَا بِغَيْرِ وَبَيَّتِ اللَّهُ مَائِرَةً إِلَّا عَلَيْهَا دُرُوعُ الْقَوْمِ وَالزَّعْفُ

والمعنى: لقد سألناهم المهادنة، فأبوا مستكبرين، وقالوا لا نصالحكم أبدًا،

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٤٠.

(٢) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٣٣٨.

(٣) يوم كاسف: عظيم الهول. شديد الشر.

(٤) القُرْمُ والأَقْرَمُ: السيد، والفحل، جمعه القُرُوم. الشُّول من النوق: التي خَفَ لبنها وارتفع
ضرعها.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٥٢.

(٦) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٥٩.

وهل أنتم إلا أهل نخيل، وحمالو تمر فوق العير؟ وإني أقسم ببيت الله، ما كانت
إبلنا تضطرب حين تضطرب، إلا محملة بالدروع^(١).

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ / ٢١هـ)^(٢):

ولو أبصرت ما جمّغ ست فوق الورد تزدهد^(٣)
رأيت مفاضة زغفا وتركنا مبهما سرده

وقوله أيضاً^(٤):

وكل مفاضة بيضاء زغف وكل معاود الغارات يخدي

وقول عبد الله بن الزبيري (? - ١٥هـ) يوم أحد (٣هـ)، - حين كان لم
يزل مشركاً^(٥):

نشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الواديين نقيع

كما ورد ذكر الدروع الزغف في قول كعب بن مالك (? - ٥٠هـ) واصفاً
المسلمين يوم الخندق (٥هـ)^(٦):

يغدون بالزغف المضاعف شكة وبمترصات في الثفاف صياب^(٧)
كما قال الحطيئة (? - ٤٥هـ)^(٨):

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٥٩.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٠.

(٣) الورد: فرس الشاعر. تزدهد: تستقله وتحنقره.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٥.

(٥) ابن هشام، ج ٣، ص ٧٧. وقد أسلم بعد الفتح. للاستزادة عنه. راجع، ابن الأثير الجزري،

أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٢٧؛ وانظر، ابن هشام ج ٣، ص ١٥٧.

(٧) المترصات: الرماح الشديدة. الثفاف: ما يقوم به الرمح المعوج. صياب: تصيب الهدف.

(٨) ديوان الحطيئة، ص ١٨٠.

وَمِنْ مُقَاضَةٍ جَدَلَاءَ زَغَفٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَبْيَضَ مَشْرِقِي

وقال جرير (٣٣ - ١١٤هـ) يمدح عمر بن عبد العزيز^(١):

وَنِعَمَ ابْنُ أَخِي الْخُرُوبِ إِذَا تَرَدَّى عَلَى الزَّغَفِ الْمُضَاعَفَةِ النَّجَادَا

وهو يقول: ونعم هذا الممدوح وهو في الحرب عليه درع واسعة طويلة،
ومن فوقها حمالة السيف.

وقال البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٢):

أَجْلَبُوا تَحْتَ غَابَةٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ وَزَغَفٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُقَاضٍ

كما قال أيضاً^(٣):

بَسْطَةً فِي السَّلَاحِ يَعْجِزُ عَنْهَا سَابِغُ السَّرْدِ زَغْفُهُ، وَدِلَاصُهُ

وقال كذلك^(٤):

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ، كَأَن مَتُونَهَا، فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ، مَتُونُ نِهَائِ

بَيْضٍ تَسِيلُ، عَلَى الْكُمَاةِ، فَضُولُهَا سَيْلُ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بِنْدَاءِ

فَإِذَا الْأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا خِلَتَهَا فِيهَا خَيْالُ كَوَاكِبٍ فِي مَاءِ

وقال الأمير تميم بن المعز لدين الله (٣٣٧ - ٣٧٤هـ)^(٥):

عَلَى زَغَفٍ لَأَمَةٍ خَضِرَاءَ مَسْرُودَةٍ مَحْبُوكَةِ الْأَجْزَاءِ

سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ بِالْغُرَاءِ فَلَمْ أَزَلْ فِي صَهْوَةِ الْقَبَاءِ^(٦)

(١) ديوان جرير، ص ١٠٧.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٤٤٤.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١٢٨.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٣٨٤.

(٥) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، سلسلة النخائر، العدد (٨٤)، الهيئة العامة لقصور

الثقافة، القاهرة، د. ت، ص ١٥.

(٦) القباء من الخيل: الدقيقه الخصر الضامرة.

وقال ظافر الحداد (؟ - ٥٢٩ هـ) ^(١):

سل الخيل والسُّمَر الذَّوَابِلَ والوَغَى فرساتها والبيض والبيض والزَّغْفَا
والسمر الذوابل: هي الرماح الرقيقة الجيدة. والبيض: السيوف. والبيض:
الخوذ. والزغف: الدروع.

وقال ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧ هـ) يصف كتيبة ^(٢):

بكتائب كتب الإلهة أمامها فتحاً ونصراً
من كل متشح على بحر الدلاص الزغف نهرًا
وقال كذلك ^(٣):

والبيض نحو الزغف ممتدة جداول تتبع غدراننا

٣١- السابرية:

هي درع تتميز بأنها دقيقة النسيج محكمة الصنع ^(٤)، أو كما قال أبو العلاء
المعري: السابري: الدرع الرقيق النسيج ^(٥)، والجمع: سابريات، قيل إنها تنسب إلى
مدينة سابور ^(٦)، وقيل منسوبة إلى الملك سابور ^(٧).

وقد ورد ذكر الدرع السابرية في قول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) ^(٨):

(١) ديوان ظافر الحداد ابن الإسكندرية، تحقيق، حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص ٢١٦.

(٢) ديوان ابن قلاقس، ص ٤٤٤.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص ٥٤١.

(٤) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٥٦٩؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ٥٣.

(٦) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص ٦٢.

(٧) ابن منظور، مع ٤، ص ٣٩٥.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٢٢.

مَثَلْتُ عَيْنَكَ فِي حِشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّغْدَةُ السَّمَرَاءُ

والمعنى في البيت الثاني: إن عينك نفذت في الدرع الذي أنا لابسُه ووصلت إلى لَبِّي، وربما لم ينفذ في هذا الدرع الرماح.

كما قال ابن هاتى الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢ هـ) في وصف جيش^(١):

لبسوا الصَّقَالِ عَلَى الْخُدُودِ مَفْضُضًا وَالسَّابِرِيَّ عَلَى الْمَنَاكِبِ مُذْهَبًا
كما قال ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ)^(٢):

وَقَوَارِسًا سُودَ الْجُلُودِ لِطُولِ مَا يَصْدَا عَلَيْهَا السَّابِرِيُّ الْمُحْكَمُ

أي: إن جلود هؤلاء الفوارس ذات لون أسود، وإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ جِرَاءِ صَدَا
الدروع السابرية التي يطول لبسهم لها.

٣٢- السابغة:

هي الدرع الواسعة^(٣) الطويلة التامة^(٤)، قال ابن منظور: والدَّرْعُ السَابِغَةُ:
التي تجرّها عَلَى الْأَرْضِ أَوْ عَلَى كَعْبَيْكَ طَوْلًا وَسِعَةً، قال شمر لعبد الله بن الزبير
الأسدي (? - ٧٥ هـ)^(٥):

وَسَابِغَةٌ تَغْشَى الْبَنَانَ، كَأَنَّهَا أَضَاءُ بِضَحْضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ ظَاهِرٍ

وعلاوة على قول عبد الله بن الزبير الأسدي، فقد ورد ذكر الدرع السابغة

(١) ديوان ابن هاتى الأندلسي، ص ٤٢.

(٢) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ وراجع، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢؛

مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦١.

(٤) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٠٤٦.

(٥) ابن منظور، مج ٨، ص ٥١٤.

لدى كثير من الشعراء، ومن ذلك قول السموأل (؟ - ٤٦ ق. هـ) (١):

أَعَدَّ لِلْحَرْبِ كُلِّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةً كَالْقَدِيرِ وَالْيَلْبَا

أي: وأعد للحرب دروعاً طويلة واسعة فضفاضة؛ تشبه في صفائها ماء

الغدير.

وقول عمرو بن كلثوم (؟ - ٣٩ ق. هـ) (٢):

عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ تَرَى فَوْقَ النَّطَاقِ لَهَا غُضُونًا

وقول سلامة بن جندل (؟ - ٢٣ ق. هـ) (٣):

فَأَلْقَوْا لَنَا أَرْسَانَ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَسَابِغَةٍ، كَأَنَّهَا مَتْنُ خَرْنَقٍ (٤)

مُدَاخِلَةٍ، مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ، سَكَّهَا كَحَبِّ الْجَنِيِّ، مِنْ أَيْلَمٍ مُتَقَلَّقٍ (٥)

وفي البيت الأول يثني الشاعر على هذه الدرع السابغة، ويشبها بمتن

الخرنق - أي ولد الأرنب - في لينها وملامستها. أما في البيت الثاني، فقوله:

مداخلة: أي يدخل زردها بعضه في بعض. من نسج داود: يريد بذلك القدم وجودة

الصنعة. سكها: أي مساميرها. كحب الجنى، من أيلم: أي تشبه مساميرها ما

يُجْنَى من حب نبت الأيلم، وفي ذلك كناية عن بريق مسامير الدروع.

(١) ديوان السموأل، ص ١٠٤.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٦٧؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥٣؛ شعراء تغلب،

ج ٢، الديوان، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) ديوان سلامة بن جندل، صنعه، محمد بن الحسن الأحول، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ص. ص ١٧٠ - ١٧٣. وعن سلامة بن جندل. انظر، ابن

قتيبة، ص ١٧٠.

(٤) ألقوا لنا: أي خلّوا لنا.

(٥) السك: إدخال المسامير في خروق الدروع. يُقال أحكم سكها: أي سمرها. الأيلم: بقلة تخرج

لها قرون كالبقالي وليس لها أرومة، ولها وريقة منتشرة الأطراف كأنها ورق الجزر.

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول عنترة (؟ - ٢٢ ق. هـ) (١):

وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْظَمَ
وقوله "مِشْكٌ سَابِغَةٌ" أي دروع قد شك بعضها إلى بعض، قاصداً الزرد،
والمعنى في هذا البيت: إنه شق بالسيف درع مزرد يلبسه مقاتل شجاع، فكيف
الظن بغيره!

وقول الشاعر الجاهلي عبد قيس بن خُفَاف (؟ - ؟) (٢):

وَسَابِغَةٌ مِنْ جِيَادِ الدُّرُوعِ عِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلًا
كَمَاءِ الْغَدِيرِ زَفْتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ الْمُدَجَّجُ مِنْهَا فَضُولًا (٣)

وهنا يقول الشاعر: إنها درع سابغة من جياذ الدروع، إذا وقع عليها السيف
تسمع صليلاً، وهذه الدرع في صفائها مثل ماء الغدير الذي تصفقه الرياح، ومن
طولها يضطر لابسها أن يجر فضولها، لأنها تزيد أو تفضل عن أطرافه.

وقول الشاعر الجاهلي كعب بن أسد بن سعيد القرظي (؟ - ؟) (٤):

لَا تَعْدُمُ الْأَوْسَ مَنَا فِي مَوَاطِنِهَا نَابًا لِمَنْ نَابَهَا فِي الْحَرْبِ مِيمُونَا
لَا نُسْتَخْفِ إِذَا كَانَ الصِّيَاحُ وَلَا نَعْطِي السَّوَابِغَ إِلَّا أَهْلَهَا فِينَا

وقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟ - ؟) (٥):

لَا يَصْدِفُونَ عَنِ الْوَعَى بَنُحُورَهُمْ فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَلَوْنِ الْعِظْمِ
والشاعر في هذا البيت يشبه لون الدروع حين تصدأ، بلون عصاره شجر
"العظم" الذي يتميز بلون أخضر إلى الكدرة.

(١) ديوان عنترة، تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمادي، دار الشرق العربي، بيروت،

١٩٩٢م، ص ٢٤؛ القرشي، ص ١٦٧. وعن عنترة بن شداد. انظر، ابن قتيبة، ص ١٥٣.

(٢) المفضليات، ص ٣٨٦.

(٣) الدبور: ريح تهب من المغرب تقابل الصبا. زفيها الماء: تطرده وتدفعه.

(٤) المرزباتي، ص ٢٣٢.

(٥) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٣٢.

وقول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣٠ ق. هـ) في قصيدة يذكر ملاح من قبوة جيش، وبعد إشارته إلى خيول حربها، يقول^(١):

عَلَيْهَا أَسْوَدَ ضَارِيَاتٍ لَبُوسُهُنَّ سَوَابِغُ بَيْضٍ لَا تُخَرِّقُهَا النَّبْلُ

أي: ويمتطي هذه الخيول، فوارس يلبسون دروعاً سابغة، بيضاء، لا تستطيع السهام أن تخترقها.

وقول الأعشى (؟ - ٧٧ هـ) وهو يصف جيشاً^(٢):

سَوَابِغُهُمْ بَيْضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِّنَ الْبَيْضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ

أي: وكانت دروع مقاتلي هذا الجيش طويلة تغطي جسداهم، وهي دروع بيضاء، خفيفة؛ لذا فهي لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بيض -خوذ- لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وقوله كذلك^(٣):

سَوَابِغُ مُحْكَمِ الْمَازِي يَشْدُوا فَوْقَهَا الْحَزْمَا

والمأذي: كما سنشير فيما بعد هو جيد الحديد وخالصه، تصنع منه دروعاً تُسمى "المأذية". فيريد الشاعر القول: إنهم يلبسون دروعاً طويلة فضفاضة، بيضاء، ويتمنطقون فوقها بالحزم.

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ - ٢١ هـ)^(٤):

أَعَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَابِغَةً وَعَدَاءٌ عَنْدِي

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٦٠.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣١١.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٥١.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٨٠.

وقوله^(١):

تَمَنَّائِي وَسَابِغَتِي دِلَاصً كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَذَقُ الْجَرَادِ

جدير. بالذكر أن هذا البيت ورد بعدة روايات، منها^(٢):

تَمَنَّائِي وَسَابِغَتِي فَمِصِّي كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَذَقُ الْجَرَادِ

وورد في رواية أخرى مع بيت آخر مكن له، على هذا النحو^(٣):

تَمَنَّائِي وَسَابِغَتِي دِلَاصً حُرُوسُ الْحِسِّ مُحْكَمَةُ السَّرَادِ

مُضَاعَفَةٌ تَخِيرَهَا سَلِيمٌ كَأَنَّ سِكَاهَا حَذَقُ الْجَرَادِ

ولعمرو بن معدي كرب أيضاً^(٤):

وَسَعَتْ نَسَاؤُهُمْ بِكُلِّ مُفَاضَةٍ جَدَلَاءَ سَابِغَةٍ وَبِالْأَبْدَانِ

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول كعب بن زهير (؟ - ٢٦ هـ)^(٥):

بَيْضٌ سِيَوِيعٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ

وقول لبید (؟ - ٤١ هـ) في عامر بن مالك^(٦):

فَقَدْ تَكُونُ وَاضِحًا خَضَمًا

مُرْتَدِيًا سَابِغَةً مُعْتَمًا

واضحاً: أي ظاهراً مشهوراً. خضماً: أي سخياً كريماً. مرتدياً سابغة: أي

لابساً درعاً فضفاضة طويلة. معتماً: أي لابساً عمامة.

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٠٧.

(٢) ابن عبد ربه، مج ١، ص ١٣٧.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص ١٠٧.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٧٣.

(٥) ديوان كعب بن زهير، ص ٩١.

(٦) ديوان لبید، ص ٢٠٥.

وأورد ابن هشام مما قيل من الشعر يوم بدر (٢هـ) قول الحارث بن هشام
ابن المغيرة -أحد مشركي قريش^(١):

على أنني واللات يا قوم فاعلموا بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا وللبيض والبيض القواطع والنبل

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (٢؟-
٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)^(٢):

يَمْشُونَ نَحْوَ عَمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأَذْمُ المراسيلُ
أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أَسْوَدِ الظِّلِّ أَلْتَقَاهَا يَوْمَ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوَزَاءِ مَشْمُولُ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ
تَرْدُ حَدِّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةٍ وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا مَقْلُولُ

ويشير الشاعر في أول هذه الأبيات إلى أن جماعة المسلمين وهم يمشون
بالدروع يبدون كأنهم الجمال تارة، أو الأسود تارة أخرى. وفي البيتين التاليين
يذكر أنهم كانوا يلبسون دروعاً سابغات محكمات، صافيات كمياه الغدير أو الفلج
-النهر الصغير- ثم يقول: وهي دروع قوية، تستطيع أن ترد السهام خائبة، وإذا
ما ضربها السيف، فحده لا بد أن يُفل أي يكسر.

كما قال يوم الخندق (٥هـ)^(٣):

قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَقْرٍ كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِثِ الزَّيَادِ^(٤)

أي: ودفعنا في الدروع الفضفاضة الطويلة، فرسان أشداء كالصقور، معروفة
أصولهم.

(١) ابن هشام، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٨٥؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٨٢.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٤٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٦٠.

(٤) المعتلث: المنتسب إلى غير أبيه.

وقال يوم الخندق أيضاً^(١):

في عُصْبَةٍ نَصَرَ الإِلَهَ نَبِيَّهٗ بِهِمْ وَكَانَ بَعْدَهُ ذَا مَرْفَقٍ^(٢)
في كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادِبِ ذَاتُ شَكِّ مُوثِقِ
جَدَلَاءُ يَحْقِرُهَا نِجَادٌ مُهْتَدٌ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمٌ ذِي رَوْتِقِ
تَلْكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مُصَدِّقِ

ويُشير الشاعر في البيت الأول إلى جماعة المسلمين التي ترعاها عناية الله. وفي البيت الثاني، يذكر أنهم في حرب هذا اليوم، كانوا يلبسون دروعاً سابغة، من طولها كانت ترسم على الأرض خطوطاً، وهي دروع تُشبه في صفائها ماء الغدير المترقق. أما في البيتين التاليين، فيُشير إلى صفات أخرى لهذه الدروع - وقد مر بنا ذكرها - وفي آخر هذه الأبيات، يقول: هذه الدروع وتقوى إيماننا، تكون لباسنا عند الحرب، وعند الساعة الحاسمة.

وله أيضاً يوم الخندق^(٣):

تَرَانَا فِي فَضَافِضٍ سَابِغَاتٍ كَغُذْرَانِ الْمَلَا مُتَسَرِّبِلِينَ

أي: وترانا لابسين دروعاً واسعة فضفاضة طويلة، تُشبه في صفائها ماء الغدران.

كما قال أيضاً^(٤):

عَلَيَّ فَضْافِضَةٌ كَالنَّهْيِ سَابِغَةٌ وَصَارِمٌ مِثْلُ لَوْنِ الْمَلْحِ مُصْقُولُ

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول الصحابي عباس بن مرداس (؟) -

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٧٦؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٥٨.

(٢) العصابة: الجماعة. المرفق: الرفق والعناية.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٠٥؛ ابن هشام ج ٣، ص ١٥٥.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٢٦.

١٨هـ) يوم حنين (٨هـ)^(١):

كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنع
في كل سايغة تخير سردها داود إذ نسج الحديد وتبع

ولبجير بن زهير قصيدة في حنين والطائف، نظمها عندما انصرف الرسول
ﷺ من الطائف (٨هـ) بعد القتال والحصار، منها^(٢):

في كل سايغة إذا ما استحسنت كأنه يهت ريحة المترقرق
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق

كما ورد ذكر الدرع السايغة في قول حميد بن ثور (؟ - ٣٠هـ)^(٣):

من كل أبيض هندي وسايغة تغشى البنان لها من نسجها حبك

والمعنى: إن هذه الدرع السايغة كانت تصل إلى البنان، وهي منسوجة من

طرائق - حبك - مختلفة.

وقول الحطيئة (؟ - ٤٥هـ)^(٤):

فيه الرماح وفيه كل سايغة جدلاء مبهمة من صنع سلام

وقول حسان بن ثابت (؟ - ٥٤هـ)^(٥):

(١) ابن هشام، ج ٤، ص ٦٦.

(٢) ابن هشام، ج ٤، ص ٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، ج ٤، ص ٣٥١. وبجير: هو

ابن زهير بن أبي سلمى، أسلم قبل أخيه كعب. للاستزادة، راجع، ابن الأثير الجزري، أسد

الغابة، ج ١، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) ديوان حميد بن ثور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٧٥. وهذا الشاعر من الصحابة، ترجم

له ابن الأثير الجزري، انظر، أسد الغابة، ص ٧٢، ٧٣؛ وعنه انظر أيضًا، ابن قتيبة،

ص ٢٥٢.

(٤) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

(٥) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمادي، دار صادر، بيروت، ط ٢،

١٩٩٨م، ص ١٢٥. وعن حسان بن ثابت. انظر، ابن قتيبة، ص ١٩٢.

وَقَدْ أَرَاتِي أَمَامَ الْحَيِّ مُنْتَظِمًا بِصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعٍ
تَحْفِزُ عَنِّي نِجَادَ السَّيْفِ سَابِغَةً تَغْشَى الْأَنَامِلَ مِثْلَ النَّهْيِ بِالْقَاعِ

ويقول في البيت الثاني: وتدفع عني حمالة السيف درعًا طويلة، تغطي أناملي، وقد شبه هذه الدرع بالتهى - أي الغدير من الماء - بالقاع.
وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ) (١):

بِأَيْدِيهِمْ خَطِيئَةٌ وَعَلَيْهِمْ سَوَابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٍ جَدَلَتْ جَدَلًا

أي: ويحمل فرساننا في أيديهم رماحًا خطية، ويلبسون على أجسامهم دروعًا طويلة فضفاضة، شديدة تنسب إلى الفراعنة، حُبك منها الزرد حبكًا محكمًا.
وقول جرير (٣٣ - ١١٤ هـ) في قصيدة يهجو الأخطل، مفتخرًا بقومه ويقول (٢):

لَنَا تَحْتَ الْمَحَامِلِ سَابِغَاتٌ كَنَسَجِ الرِّيحِ تَطَرِدُ الْحَبَابَا

وهو يشير في الشطر الأول إلى أن فرسان قومه يلبسون أسفل حمائل السيوف دروعًا طويلة، أما في الشطر الثاني فيشبهه خلق هذه الدروع بالفقاعات التي تملأ الماء إذا حركته الريح.

وقول السيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣ هـ) (٣):

فِي فَيْلَقٍ فِيهِ السَّوَابِغُ وَالْقَتَا وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ كَالْحَرِيقِ الْمُلْهَبِ

أي: وقد كان هذا الفيلق من الجيش يلبس دروعًا سابغات، ويصطحب رماحًا وسيوفًا تلمع كالحرير الملتهب.

(١) ديوان كثير عزة، ص ٢١٦.

(٢) ديوان جرير، ص ٥٩.

(٣) ديوان السيد الحميري، اعتنى به وقدم له وعلق عليه، نواف الجراح، دار صادر، بيروت،

١٩٩٩م، ص ٤١.

وقوله كذلك^(١):

غداة مشى الأكفاء من آل هاشم إلى عبد شمس في سراويل أهوال
كانهم والسابغات عليهم مصاعب أجمال مشّت تحت أحمال^(٢)

ويشير الشاعر في هذين البيتين إلى ملمح من ملامح معركة بدر. والأكفاء: يقصد بهم علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ~~جيشهم~~. ويقول: حين تقدم هؤلاء الأكفاء إلى بني عبد شمس، وهم لابسين دروعاً تهول لها العين، بدوا في هذه الدروع السابغات كفحول شديدة مشّت وهي محملة بأحمال.

وله كذلك في رثاء الحسين عليه السلام قصيدة، أشار فيها إلى جيش بني أمية، ويقول^(٣):

فغدوا له والسابغا ت عليهم والمشرقية

أي: وقصدوه وهم مدججون بالسلاح، فيلبسون دروعاً سابغة، ويحملون سيوفاً مشرقية^(٤).

وجاء ذكر الدرع السابغة في قول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)^(٥):

تَرَدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةً صَوَّبُ الْأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمُ
تَخَطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْقُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ

(١) ديوان السيد الحميري، ص ١٣٣.

(٢) المصاعب: ج مصعب، وهو الفحل الذي ترك قلم يركب فصار صعباً.

(٣) ديوان السيد الحميري، ص ١٨٠.

(٤) المشارف قرى من أرض اليمن، وقيل من أعرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرقية منسوبة إليها. ابن منظور، مج ٩، ص ٢٠٨؛ وراجع ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ١٩.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٣٤١؛ وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥٢.

وكانهم في السابغاتِ صوارم والسابغاتِ لهم من أعماد
أسد عليهم من جلودِ أراقم قمصٌ أزرَّتْها عيونُ جراد

والمعنى في البيت الأول: وكانهم وهم لابسون هذه الدروع السابغات، سيوفاً، وهذه الدروع السابغات أعماد هذه السيوف. أما في البيت الثاني، فيقول: إنهم يبدون كأسد ترتدى دروعاً رقيقة تشبه جلود الحيات -وقد شبهها بذلك لروعة جلد الحية، وتمتعه بالرقّة، والخفة، والنعمّة، وعجب الصنعة والتركيب- ومساميرها تشبه عيون الجراد؛ التي تتميز بلمعاتها.

وقوله كذلك^(١):

والسابغاتُ على الكماءِ حباثك كحباب ماء أو نثيرِ غدائر

وقوله أيضاً^(٢):

في كلِّ سابغةٍ كأنَّ قَتيرَها حدقُ الجنادبِ في سرابِ المجهلِ
مأذيةٌ يشكو لكثرةَ لحمها ضرّاً بلا نفعٍ لسانُ المنصّلِ
كغمامةٍ يجلو عليك بريقُها في السردِ لمعَ البارقِ المتَهَلِّلِ

وقال ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه لحلب^(٣):

أتى إليها يقودُ البحرَ ملْتَطِماً والبيضُ كالموجِ والبيضاتُ كالْحَبِّ
تبدو الفوارسُ منه في سوايغِها بين النقيضين من ماءٍ ومن لَهَبِ
مُسْتَلْثِمِينَ ولولا أَنَّهُمْ حَفِظُوا عوائدَ الحربِ لاسْتَغْنَوْا عن اليَلَبِ

(١) ديوان ابن حمديس، ص ٢١٠.

(٢) ديوان ابن حمديس، ص ٣٨٥.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق، محمد إبراهيم نصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة

الذخائر، العدد (٩١)، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢.

وله قصيدة في مدح الملك الأفضل بن صلاح الدين، منها قوله^(١):

مَلِكٌ لَهُ الْبَيْضُ تِيجَانٌ وَمَا بَرَحَتْ لَهُ السَّوَابِغُ فِي يَوْمِ الْوَعَى حُلَا

وله قصيدة أخرى في مدح الملك الأفضل كذلك، منها^(٢):

زَانَ السَّلَاحِ الَّذِي يَحْوِي وَشَرَفَهُ فَالْمَشْرِقِيُّ بِذَا سَمَوِهِ وَالْيَزَنِيُّ
وَقَدْ بَكَتْ إِذْ قَلَاها كُلُّ سَابِغَةٍ فَشِدَّةُ الْبَاسِ تُغْنِيهِ عَنِ الْجُنَنِ
يَعِزُّ لِلدَّرْعِ مَنْ قَرَّتْ شَجَاعَتُهُ وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ كَالْكَفَنِ

وفي ترجمة ابن سعيد الأندلسي (٦١٠ - ٦٨٥هـ) للشاعر ابن الساعاتي (ت

٦٠٤هـ)، أورد قوله^(٣):

قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى مُبَاشِرَةِ الْوَعَى فَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ وَنَحْنُ هُجُودُ
الْقَطْرُ نَبْلٌ وَالْغَدِيرُ سَوَابِغُ وَالْبَرْقُ بَيْضٌ وَالْغَمَامُ يَقُودُ

وقال ابن سهل الأندلسي (٦٠٥ - ٦٤٩هـ)^(٤):

قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا الْخِيُولَ حَسِبَتْهَا عَقْبَانُ جَوْ حُمَلَتْ أَسَدَ الشَّرَى
أَوْ شَمَتَ مُسْتَعَاةَ الدَّرْعِ عَلَيْهِمْ أَبْصَرْتَ أَنْهَارًا تَضُمُّ الْأَبْحَارَا

٣٣- السَّرْبَالُ:

هو القميص والدَّرْع، وقيل: كُلُّ مَا لُبِسَ فَهُوَ سَرْبَالٌ^(٥)، ويُقال: تَسَرَّبِلَ دِرْعًا،

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢٤٢.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ٣٥٥.

(٣) ابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي، الغصون الياض في محاسن شعراء المائتين، السابعة، تحقيق، إبراهيم الإبياري، سلسلة ذخائر العرب (١٤)، ط ٤، دار المعارف، القاهرة د. ت، ص ١٢٤.

(٤) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص ١٣٢.

(٥) ابن منظور، مج ١١، ص ٤٠٠.

وَبِدِرْعِهِ وَسَرَبِلَتَهُ إِيَّاهَا وَبِهَا^(١). قَالَ عَنَتْرَةَ بْنُ شَدَادٍ (؟ - ٢٢ ق. هـ / ؟ -
٦٠١ م)^(٢):

وَلَقَدْ لَقِيتُ الْمَوْتَ يَوْمَ لَقِيْتُهُ مُتَسَرِّبِلًا وَالسَّيْفُ لَمْ يَتَسَرَّبِلِ

والمعنى: لقد دخلت غمار الحرب لألقى الموت وأنا لابس درعي، وسيقي غير
مسربل أي مجرد مسلول.

والسربال بمعنى الدرع، ورد في قوله تعالى: ﴿وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾^(٣)
أي لباس كالدرع من الحديد المصفح والزرذ وغير ذلك^(٤).

وقد ورد ذكر السربال بمعنى الدرع أيضًا في قول كثير من الشعراء، ومنهم
مهلهل بن ربيعة (؟ - ٩٤ ق. هـ)، فله^(٥):

قَرَبًا مَرَبِطُ الْمُشَهَّرِ مِنِّي قَرَبًا وَقَرَبًا سِرِّيَالِي

والمُشَهَّرُ: هو حصان الشاعر. وهنا يقول: قربا مني مربوط فرسي، وقربا
كذلك درعي، لأنه لا يريد الاستبطاء عند الطلب لخوض غمار الوغى.

وقول ابن أبي الحقيق (؟ - ؟)^(٦):

بِفَيْلَقٍ تُسْقِطُ الْأَحْبَالَ رَوِيَّتُهَا، مُسْتَلْثِمِي الْبَيْضِ مِنْ فَوْقِ السَّرَابِيلِ

أي: وإذا رأت النساء الأحبال هذا الفيلق - الجيش العظيم - وجنوده لابسين
الدروع والخوذ، لتسقط ما في أرحامها رهبة من منظره.

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٢) ديوان عنتره، ص ٨٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٨١.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٩٨.

(٥) ديوان مهلهل بن ربيعة، ص ٧١.

(٦) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٣٠.

وقول علقمة بن عبدة (٢- ٢٠ ق. هـ) (١):

تَقَدَّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ وَأَنْتَ لِبَيْضِ الدَّارِ عَيْنَ ضَرْوَبٍ (٢)

مُظَاهِرُ سِرْبَالِي حَدِيدٍ، عَلَيْهِمَا عَقْلًا سَيُوفٍ مِخْدَمٌ وَرَسُوبٌ (٣)

ويقول في البيت الثاني: ظهرت بين درعين أي لبست واحدة على الأخرى،
عليهما سيفين: مخدَم، ورسوب.

وقول أوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ) (٤):

فَلَنَعْمَ رِفْدُ الْحَيِّ يَنْتَظِرُونَهُ وَلَنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ وَالسَّرْبَالِ

وقوله أيضاً (٥):

سَرَابِيلُنَا فِي الرَّوْعِ بِيضٌ كَأَنَّهَا أَضَا اللُّوبُ هَزَّتْهَا مِنَ الرِّيحِ شَمَالُ

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ) (٦):

نَحْنُ الْكُمَاةُ لِذِي الْوَعَى فِي هَوْلِهِ وَالْخَاضِبُونَ مُجَوَّبَ السَّرْبَالِ

أي: ونحن الفرسان الشجعان عند الحروب، ونقتل فيها، فتخضب الدم دروعنا.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١ هـ) (٧):

إِذَا مَا مَذْحِجٌ قَذَفَتْ عَلَيْهَا سَرَابِيلًا لَهَا مِنْ كُلِّ سَرْدٍ (٨)

(١) المفضليات، ص ٣٩٤.

(٢) تقدمه: أي في الحرب. حجوله: ما في قوائمه من بياض، تغيب في الدم حتى يواربها.

(٣) عقيل كل شيء: كريمه وخيرته. المخدَم: القاطع الذي يبين الضريبة. الرسوب: الغائص فيها لا ينبو عنه.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص ١٠٨.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٩٠. ولم أقع على هذا البيت في ديوان أوس.

(٦) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٩٠.

(٧) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٦.

(٨) مذحج: هم من يفتخر بهم الشاعر.

وَتَرَكَا لِلرُّؤُوسِ مُسَبَّغَاتٍ إِلَى الْغَايَاتِ مِنْ زَغْفٍ وَقَدْ

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يوم أحد (٣ هـ) ^(١):

وَأَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَأَفْحَكُمْ ضَرْبَ بِشَاكِلَةِ الْبِطْحَاءِ تَرْعِيلُ ^(٢)
تَلْقَاكُمْ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ مِمَّا يَعُدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟ - ١٣ هـ)، يوم أحد، وهو من جيش كفار
قريش ^(٣):

فَقَلَّ مُهْرِي وَسِرْيَالِي جَسِيدُهُمَا نَفَخَ الْعُرُوقِ، رِشَاشُ الطَّعْنِ، وَالْوَرَقُ
أَي: وَقَدْ صُبَّغَ مَهْرِي وَدَرْعِي بِدَمِ الْخَزَرَجِيِّينَ، وَمِنْهُ دَمٌ رَمَتْ بِهِ عُرُوقَهُمْ
حِينَ طَعَنُوا، وَآخِرُ رِمَتِهِ جِرَاحَاتُهُمْ قَطْعًا غَلِيظَةً، عُلِقَتْ بِمَهْرِي وَدَرْعِي.

وقول عبد الله بن الزبيري -أحد مشركي قريش- يوم أحد ^(٤):

وَسَرَابِيلُ حَسَانٍ سَرِيَتْ عَنْ كَمَاةٍ أَهْلَكُوا فِي الْمَنْتَزَلِ ^(٥)

وقول كعب بن زهير (؟ - ٢٦ هـ) في قصيدته الشهيرة التي مدح بها رسول
الله ﷺ ^(٦):

شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٍ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

وقول لبيد (؟ - ٤١ هـ) يمدح شخصاً ^(٧):

حَتَّى إِذَا شَقَّ الصَّبَاحُ الْفَجْرَا

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٨٥.

(٢) كافح: حارب وجاهد. الشاكلة: الناحية. الترعيل: الضرب السريع.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٧٣.

(٤) ابن هشام، ج ٣، ص ٧٣.

(٥) سريت: جردت.

(٦) ديوان كعب بن زهير، ص ٩١؛ القرشي، ص ٢٨٧؛ ابن منظور، مج ١١، ص ٤٠٠.

(٧) ديوان لبيد، ص ٨٢.

ألقى سربيلاً شليلاً غمراً^(١)
فَنَثَرَتْ فَوْقَ السَّوَامِ نَثْرًا
فَلَمْ تُغَادِرْ لِكِلَابٍ وَثْرًا

كما ورد ذكر السربيل أي الدروع في قول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ)^(٢):
وَحَنَّةُ الرَّكْضِ وَالسَّرْبَالُ سَابِغَةٌ إِلَى نِدَاءٍ بِيْظَهْرِ الْغَيْبِ تَتَوَيْبُ
وقول كثير (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٣):

يَجْرُرُ سَرْبَالًا عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيُّ هَلَالٍ لَمْ تُخَرِّقْ شِرَاقَهُ

والشاعر في هذا البيت يُشَبِّه السربال أو الدرع بـ "سبيِّ الهلال": أي سلخ الحية. ويرجع ذلك لروعة جلد الحية، وتمتعه بالرقّة، والخفة، والنعومة، وعجب الصنعة والتركيب^(٤).

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧ هـ)^(٥):

لَبِسْنَا لَهَا سَرْدًا كَأَنَّ مَتُونَهَا عَلَى الْقَوْمِ فِي الْهَيْجَا مَتُونُ الْخَرَانِقِ
سَرْبَالٍ فِي الْأَبْدَانِ فِيهِ صُدَاةٌ وَبَيْنَاضًا كَبِينُضِ الْمُقْفَرَاتِ النَّقَاتِقِ

ويقول في البيت الأول: لبسنا - للإغارة - دروعًا، تُشَبِّه في لينها لين متنون الخرائق: وهي الأرانب. ويقول في البيت الثاني: وصدا هذه الدروع ظاهر على الأبدان - لكثرة لبسهم إياها - كما لبسنا خودًا تُشَبِّه بيض النعام.

(١) والشَّيْلُ كما سيتبين فيما بعد: قيل هي الغلالة التي تلبس فوق الدرع، وقيل: هي الدرع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة. غمراً: غامراً سابغاً.

(٢) ديوان الحطيئة، ص ٢٢٤.

(٣) الزمخشري، ج ١، ص ٤٢١.

(٤) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، سلسلة النخائر، العدد (٧٧)، الهينة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت، ج ٤، ص ١٧٧.

(٥) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ١٤٥.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧هـ) في قصيدة يمدح المهدي^(١):

وتُبَّعَ وسراييل الحديد له أزمان يُنْسَجُ في أزمانه الزرْدُ

وفي القصيدة نفسها يقول:

إن فَاخِرُوكَ بِمَجْدٍ كُنْتَ أَمَجْدَهُمْ وما ظَلَمْتَ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ النَّجْدُ
أو صَالِحُوكَ فَصَلِّحْ ما رَعَوْكَ بِهِ أو حَارِبُوكَ ففِي سِرْيَالِكَ الْأَسَدُ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٢):

وَتَسْوَدُّ مِنْ حَمَلِ السِّلَاحِ وَلُبْسِهِ سِرَّاييلُ وَضَاحٍ، بِهِ الْمِسْكُ رَادِعُ

والمعنى: لقد اسود لون جلده، من كثرة حمله السلاح، ولبسه دروعاً حسنة مضيئة، ورغم ما لحيد هذه الأسلحة من رائحة متغيرة، ففيه أثر رائحة المسك.

وقول ابن هاتى الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) يمدح أحد الأشخاص، ويقول^(٣):

مُضَاعَفُ نَسِجِ الْعَرِضِ يَمْشِي كَأَنَّمَا يَلُوثُ بِهِ سِرِّيَالُ دَاوُدَ لَاثِثُ

ويلوث أي: يلف. وأراد بسريال داود: الدروع الداودية، جعل له درعاً مضاعفة النسيج لا يستطيع أحد هتكها، أي أن عرضه خالص النقاوة، لا يمكن أحداً أن يلطخه^(٤).

ويرثي آخر ويقول^(٥):

مَاتَ مَنْ لَوْ عَاشَ فِي سِرِّيَالِهِ غَلَبَ النُّورُ عَلَيْهِ فَاتَّقَدَ

(١) ديوان بشار بن برد، ص ٢٣٢.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٨٥.

(٣) ديوان ابن هاتى الأندلسي، ص ٦٣.

(٤) ديوان ابن هاتى الأندلسي، ح ٢، ص ٦٣.

(٥) ديوان ابن هاتى الأندلسي، ص ١٢١.

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) (١):

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي فِي مُهَاجِرَاتِنَا السُّرَى وَمِنْ صَاحِبِي إِلَّا نَجَادٌ وَسِرْبَالٌ
والمعنى: لم يبق مني ومن صاحبي في موافقتنا السرى ومداومتنا عليه، إلا
نجاد: أى حمالة السيف. وسربال: أى درع.
وقال كذلك (٢):

وَهُمْ فِي سِرَابِيلِ الْحَدِيدِ ضَرَاغِمٌ وَمِنْ قِصْدِ خَطِيئَةٍ أَجْمَاتُهَا (٣)
كما قال كذلك (٤):

وَسِرْبَالِي مُضَاعَفَةٌ أَفِيضَتْ عَلَى نَزَقِ الشَّبَابِ الْمُرْجَحِنِ
كَأَنِّي خَائِضٌ مِنْهَا غَدِيرًا يَشْبُ النَّارَ فِيهِ خَبِيءٌ جَفْنٌ (٥)
وقال أيضا (٦):

وَتَعْتَقِلُ الرَّمَا حِ مُثَقَّاتٍ وَتَرْقُلُ فِي سِرَابِيلِ الْحَدِيدِ
وله كذلك (٧):

وَمَا أُمُّ ذِيَالِ السِّرَابِيلِ بَاسِلٌ طَوِيلِ نَجَادِ السَّيْفِ عَبْلٍ مَنَاقِبُهُ
ولابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) قصيدة مدح في الملك الكامل بن
العال، منها قوله (٨):

(١) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص ١٢٠.

(٢) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص ٢٨٠.

(٣) القصيدة بالكسر: القطعة من الشيء إذا انكسر، والجمع قِصْد. يُقال: قد انقصد الرمح وتقصدت الرماح إذا تكسرت.

(٤) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص ٥٧.

(٥) خبيء: كناية عن السيف. والسيف إذا اصطك بالدرع الحديد أثار الشرار.

(٦) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص ٧١.

(٧) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص ١٩١.

(٨) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢٥٤.

فَتَى يَهْبُ السَّرِيَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَدِرْعُ الْفَتَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَرِيَالُ

٣٤- السرد:

السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق^(١)، والسرد: هو الزرّاد^(٢)، أي صانع الدروع.

جدير بالذكر أن كلمة السرد وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ أَنْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرَدِ ۖ﴾^(٣)، وفي هذه الآية يُشير "سبحانه" إلى أنه قد ألان لنبيه "داود" ^{عليه السلام} الحديد، وعلمه كيف يصنع منه الدروع متقنة سابغة، أي واسعة فضفاضة. حيث كانت الدروع قبله تُصنع من صفائح ثقيلة، وغير سابغة، وكان "داود" ^{عليه السلام} أول من سردها، وحلقها فجمعت بين الخفة والتحصين^(٤).

وعلى الرغم من أن هناك اتفاقاً -كما تقدم- على أن السرد اسم جامع لسائر الدروع والحلق، فقد تباينت التفسيرات حول قوله تعالى: "وقدر في السرد"، فقيل: أي وقدر في مسامير حلق الدروع، بحيث ألا يجعل المسمار غليظاً والثقب ضيقاً فيقصر الحلق، ولا يجعل المسمار دقيقاً والثقب واسعاً فيثقل أو ينخلع أو يتقصف. بينما قال آخرون: السرد: هو الحلق الحديد، كما قال بعضهم: درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق^(٥) واستشهد بقول أبو ذؤيب

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ ابن منظور، مج ٣، ص ٢٦٠؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦١.

(٢) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ ابن منظور، مج ٣، ص ٢٦١.

(٣) سورة سبأ: الآية ١١.

(٤) سعد بن عبد الله الجنيد، ص ١٠، ١١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٤٤.

الهدلى (؟ - ٢٧ هـ) ^(١):

وعليهما مِسْرَدَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُودُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تَبَعُ

وقال أبو العلاء المعري: السَّرْدُ: نَسَجَ الدَّرُوعَ أصل ذلك درع مسرودة قد أتبع نسجها بعضه بعضًا كقولهم (سَرَدْتُ الكلام) إذا تابعته ^(٢) ونسج الدرع هو تداخل الحلق بعضها في بعض، كما قيل السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الخلق، وسمي سردًا لأنه يُسَرَّد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار فذاك الحلق المِسْرَد ^(٣). ويؤيد ذلك قول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ) ^(٤):

بِالْبَاسِلِينَ مِنَ الْكُمَاةِ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ يَزِينُهَا السَّرْدُ

على أية حال فقد ورد ذكر السرد أي الدروع في قول الشاعر الجاهلي شهاب بن نيرة (؟ - ؟) ^(٥):

وحرقاء مع بني عجلِ حَمَتُهَا سَيَوفُ الْهِنْدِ وَالسَّرْدُ الْحَصِيدُ

وقول ضرار بن الخطاب (؟ - ١٣ هـ) يوم أحد (٣ هـ) وكان حينئذ من المشركين ^(٦):

سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَاتِبِهِ قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السَّرْدُ

أي: وانطلقنا إليهم بجيش استكمل فرسانه عدّة الحرب، فلبسوا الخوذ، والدروع المحكمة النسج.

(١) ورد هذا البيت في المفضليات، ص ٤٢٨.

(٢) ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ١٦٥.

(٣) ابن منظور، مع ٣، ص ٢٦٠.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٤٢؛ وانظر، ديوان شعر المتلمس الضبعي، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٣٠٨.

(٦) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٥١؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٩٣.

وقول ذو الرمة (٧٧ - ١١٧ هـ) (١):

لَبِسْنَا لَهَا سَرْدًا كَأَنَّ مَتُونَهَا عَلَى الْقَوْمِ فِي الْهَيْجَا مَتُونُ الْخَرَاتِقِ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٢):

بَسْطَةً فِي السَّلَاحِ يَعْجِزُ عَنْهَا سَابِغُ السَّرْدِ زَغْفُهُ، وَدِلَاصُهُ

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) (٣):

وَيَلْبَسُونَ مِنْ حَدِيدِ سَرْدًا

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ) (٤):

أَتَوْا يَتَقَلُّونَ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِ شَرْبٍ إِذَا أَسْرَعَتْ فِي الْخَطْوِ أَثْقَلَهَا السَّرْدُ
يُوَارِيهِمْ نَسْجُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَمَا فِيهِمْ مَنْ مِنْهُ جَارِحَةٌ تَبْدُو

ويقول في البيت الأول: لقد أتى الفرسان يتقلون الأرض وهم يمتطون صهوات جيادهم الضامرة، والتي إن أسرع في خطوها أثقلها دروع الفرسان. ويقول في البيت الثاني: إن هذه الدروع المنسوجة من حلق الحديد، تستر هؤلاء الفرسان، فحتى جوارحهم لا تبدو منها.

كما قال ابن أبي حصينة كذلك (٥):

وَلَا يَرْتَضِي السَّرْدَ الدَّلَاصَ وَبَاسُهُ يُحَصِّنُهُ مَا لَا يُحَصِّنُهُ السَّرْدُ

أي: ويرفض - عند الحرب - لبس الدرع الدلاص، فإنه يتوقى ببأسه؛ الذي يحميه عوضاً عن الدرع.

(١) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ١٤٥.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١٢٨.

(٣) ديوان ابن حمديس، ص ١٢٧.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٣٣.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٧١.

وقول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥ - ٦٤٩ هـ) يمدح الرئيس أبا عثمان بن حكم
(ت ٦٨٠ هـ)، صاحب منورقة^(١):

أتيت في الدرع فوق الطَّرَفِ مرتديًا ماضٍ كحاملِهِ لو أُعْطِيَ الفَهْمَا
كالبحرِ في النهرِ فوق السَّيْلِ مُتَشَخَّا بجدولٍ قد شفى في الشراك كلَّ ظما
والسَّردُ قد ضاقَ ذرعًا إذ حوَّكَ على من لم يُضيقَ صدرُهُ خطبًا وإن عظمًا
كما قال يمدح الوزير أبا عمر بن الجذَّ سنة (٦٤١ هـ)^(٢):

أو هُذِبُ حُلَّتِهِ في السلمِ يلبسُها وهذه في الوغى سِرْدٌ يَدْرَعُهُ
أو تِلْكَ مِغْفَرٌ عَزَّ فَوْقَ مَقَرِّهِ وتِلْكَ تاجٌ مَعَالِيهِ تُرْصَعُهُ

٣٥ - السعدية:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ، نسبة إلى سعد: وهو موضع يصنع به
الدروع، وقيل: إنها كانت درع داود^(٣).

٣٦ - سَك:

سَكٌ وسَكَاءٌ: قيل هي الدرع الرقيقة الحلق، أو الضيقة الحلق^(٤)، وقيل هي
الضيقة من الدروع^(٥).

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص ٢٣٦.

(٣) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤. وعن هذه الدرع. انظر، ابن قيم
الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٥٣.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦١؛ وانظر، ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛
الزمخشري، ج ١، ص ٤١٥؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢؛ ابن منظور، مج ١٠،
ص ٥٣٢.

(٥) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٢٤٩.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول البحرى (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (١):

كَانَ النُّجُومُ الْمُتَسَرِّاتِ، فِي الدَّجَى، سِكَاتُ دِلَاصٍ، أَوْ عُيُونُ جَرَادٍ

٣٧ - السُّلُوقِيَّةُ:

الدروع السُّلُوقِيَّةُ: قيل نسبة إلى سلوق، إحدى قرى اليمن التي كانت تُصنع بها (٢)، وقال بعضهم إنها بالشام (٣)، والرأي الأول هو الأكثر رجحاناً، كما سيتضح فيما بعد.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول النابغة الذبياني (٩ - ١٨ ق. هـ) (٤):

تَقْدُّ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ، وَتَوَقَّدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْخُبَابِ

وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ) (٥):

وَشُهَبَاءُ تَرْدِي بِالسُّلُوقِيِّ فَوْقَهَا سَنَا بَارِقَاتٍ تَكْرَهُ الْعَيْنَ خَالَهَا

أي: رب كتيبة شهباء -مدججة بالسلاح- يرتدي رجالها الدروع السلوقية، وتلمع أسننتها كالبرق الخاطف...

وقول ذو الرمة (٧٧ - ١١٧ هـ) (٦):

تَجَرُّ السُّلُوقِيَّ الرَّيَابُ وَرَاءَهَا وَسَعْدٌ يَهْزُونَ الْقِتَا حِينَ تَذَعُرُ

قال شارح الديوان: السلوقية: الدروع، منسوبة إلى "سلوق": قرية باليمن

(١) ديوان البحرى، ط دار صادر، مج ١، ص ٤٣٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ٤٤؛ ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ ابن منظور، مج

١٠، ص ١٩٥؛ مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦١؛ القلقشندي، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) ديوان ابن حمديس، ح ١، ص ٥١٢.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص ٤٦؛ وراجع، ابن منظور، مج ١٠، ص ١٩٥؛ ابن قتيبة، ص ٩٦؛

الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ٤٠.

(٥) ديوان كثير عزة، ص ٢٣٠.

(٦) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ٣١٦.

تَذَعْرٌ، يعني الإبل.

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) ^(١):

وتخالهم فيها ادرعوا يسكوق وقد سلكوا اليمنا
وكان سوابغهم حبيب قد جاش بهم ماء اجنا

٣٨ - السليمية:

دروع تنسب إلى سيدنا سليمان ^(٢)، غير أن ابن سيدة ذكر أن المقصود نسبتها إلى أبيه سيدنا داود ^(٣)، لأنه أول من عمل الدروع ^(٤)، أو كما مر بنا أول من عمل الدروع المحكمة الصنع. وإن كان يؤخذ في عين الاعتبار أنه وصلنا ما يُقيد أنه كما كان داود ينسج الدروع، فكان ابنه سليمان ينسجها أيضًا، قال لبيد (٤١ هـ) يرثي النعمان بن المنذر ^(٥):

وَمَا نَسَجْتَ أَسْرَادَ دَاوُدَ وَابْنِهِ مُضَاعَفَةً مِنْ نَسْجِهِ إِذْ يُقَابِلُ

وأيا كان الأمر فقد ورد ذكر الدروع المنسوبة إلى سيدنا سليمان في قول النابغة (١٨ ق. هـ) ^(٦):

وَكُلَّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تَبَعِيَّةٍ، وَنَسْجٍ سَلِيمٍ كُلِّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ

وعن شرح هذا البيت قال الأصمعي: وقوله: "ونسج سليم" أراد نسج سليمان، وأراد بسليمان داود، لأنه أول من عمل الدروع، فنُسبت إليه، لذلك قال الشاعر الجاهلي الأسود بن يعفر (٢٣ ق. هـ) ^(٦):

(١) ديوان ابن حمديس، ص ٥١٢.

(٢) راجع، ابن منظور، مج ١٢، ص ٣٤٩.

(٣) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٤) ديوان لبيد، ص ١٣٥.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢.

(٦) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦. وعن الأسود بن يعفر، انظر، ابن قتيبة، ص ١٥٧.

من نَسَجِ داوِدِ أَبِي سَلَامٍ

ومن المفيد ذكر هذا البيت كاملاً، فشطره الأول يخص وصف الدرع أيضاً، وهو يقول^(١):

وَدَعَا بِمُحْكَمَةِ أَمِينٍ سَكَّهَا، من نَسَجِ داوِدِ أَبِي سَلَامٍ

وعلاوة على الأمثلة السابقة فقد ورد ذكر هذه الدروع في قول أوس بن حجر (٩٥ - ٢٠٠ هـ) ^(٢):

وَبَيِّضَاءِ زَغَفٍ نَثْلَةٍ سَلْمِيَّةٍ لَهَا رَقَرَفٌ فَوْقَ الْأَنَامِلِ مُرْسَلُ

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١١ هـ) ^(٣):

مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَهَا سَلْنَمٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ

وقول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ) ^(٤):

فِيهِ الرِّمَاحُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَدَلَاءَ مُبْهَمَةٍ مِنْ صَنْعِ سَلَامٍ

قال ابن السكيت: وسَلَامٌ: أراد سليمان بن داود عليه السلام. والعرب قد تحرف الاسم عن جهته وينقصون بعض الحروف^(٥) وأنشد قول النابغة - السابق الذكر.

٣٩ - السَّمُوطُ:

السَّمُوطُ: واحد السَّمُوطِ، وهي سُيُورٌ تُعَلَّقُ مِنَ السَّرِجِ. وَسَمَّطْتُ الشَّيْءَ: عَلَّقْتُهُ

(١) ابن منظور، مج ١٢، ص ٣٤٩.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص ٩٦.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص ٣٤٩. وانظر، ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص ١٠٧.

(٤) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

(٥) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

على السَّمُوطِ تَسْمِيْطًا^(١). قال ابن سيدة: السَّمْطُ: الدَّرْعُ التي يُعَلَّقُهَا الْفَارِسُ عَلَى
عَجْزِ فَرَسِهِ، وَجَمْعُهَا سَمُوطٌ وَقَدْ سَمَطَهَا^(٢).

٤٠- السَّنَوْرُ:

قال ابن سيدة: السَّنَوْرُ: الدَّرُوعُ، وَلَا يُقَالُ لِوَاحِدِ الدَّرُوعِ سَنَوْرٌ إِنَّمَا يُقَالُ لِبِسِ
الْقَوْمِ السَّنَوْرُ^(٣). وفي اللسان^(٤): السَّنَوْرُ: جُمْلَةُ السِّلَاحِ؛ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ
الدَّرُوعَ. قال أبو عبيدة: السَّنَوْرُ الْحَدِيدُ كُلُّهُ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: السَّنَوْرُ مَا كَانَ مِنْ
حَلْقٍ، يَرِيدُ الدَّرُوعَ، وَأَنشَدَ لِلنَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي (؟ - ١٨ ق. هـ) ^(٥):

سَهَكَيْنَ مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ، تَحْتَ السَّنَوْرِ، جُبَّةُ الْبَقَّارِ

كما قال ابن منظور: السَّنَوْرُ: لِبَاسٌ مِنْ قَدِّ يَلْبَسُ فِي الْحَرْبِ كَالدَّرْعِ، وَأَنشَدَ
قَوْلَ لَبِيدٍ (؟ - ٤١ هـ) يَرِثِي قَتْلَى هَوَازِنَ^(٦):

وَجَاؤُوا بِهِ فِي هَوْدَجٍ، وَوَرَاءَهُ كَتَائِبُ خُضْرٍ فِي نَسِيجِ السَّنَوْرِ

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول الشاعر الجاهلي السفاح (؟ - ؟)^(٧):

فَصَبَّخْتُهُمْ قَبْلَ الشُّرُوقِ بَغَارَةً مَذْرَبَةً فِيهَا الْقَتَا وَالسَّنَوْرُ^(٨)

وقول الشاعر الجاهلي أبي جدابة (؟ - ؟)^(٩):

(١) ابن منظور، مج ٧، ص ٣٦٤، وعن السموط. انظر، الزمخشري، ج ١، ص ٤٥٨.

(٢) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٣) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص ٤٤١.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص ٥٦.

(٦) انظر، ديوان لبید، ح ٢، ص ٧٢.

(٧) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٧١.

(٨) الذرب: الحاد من كل شيء. يُقَالُ: سَنَانٌ مَذْرَبٌ، وَسَيْفٌ مَذْرَبٌ.

(٩) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٩٣.

وتَغْلِبُ قَوْمِي لِاتْرَامٍ إِذَا عَدَّتْ إِلَى مَعْرَكٍ فِي مُضَعَفَاتِ السَّنَوْرِ

وقوله: إلى معرك، أي: إلى موضع حرب، في مضعفات السنور: أي في دروع مضاعفات، والدرع المضاعفة: هي التي ضوعفت حلقاتها ونسجت حلقتين حلقتين.

وقوله أيضاً^(١):

فَصَبْرًا إِلَى مَا تَدْنُ مِنَّا جُنُودُهُ وَتَلْبَسُ بَيْنَنَا لِلْوَعَى وَسَنَوْرًا

وقول جندل بن المثنى (؟ - ؟)^(٢):

رَأَيْتُ نِيرَانَ الْحُرُوبِ تَسْعَرُ مِنْهُمْ إِذَا مَا لُبِسَ السَّنَوْرُ

وقول أمية بن أبي الصلت (؟ - ٥٠ هـ)^(٣):

حَوْلَ شَيْطَانِهِمْ أَبَابِيلُ رَيَّ - وَن شَدُّوا وَسَنَوْرًا مَدْسُورًا

وفي تفسير هذا البيت، قال ابن هشام^(٤): السنور: الدروع. والدسور، هي المسامير التي في الحلق، يقول الله عز وجل: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴾^(٥). كما ورد ذكر هذه الدروع في قول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ / ١١ هـ)^(٦):

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٩٥.

(٢) ابن منظور، مج ٥، ص ١٥٩؛ ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريش الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٤١.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص ٧٨.

(٤) ابن هشام، ج ٣، ص ٥٦.

(٥) سورة القمر: الآية ١٣.

(٦) المفضليات، ص ٣٦٢. ويلاحظ أن الشطر الأول ورد في الديوان برواية أخرى، وقد أقر محقق الديوان بأن المثبت عاليه هو الأصوب. انظر، ديوان عامر بن الطفيل، ص ٦٥، ح ٤ من نفس الصفحة.

فَجَاوُوا بِفُرْسَانِ الْغَرِيضَةِ كُلِّهَا وَأَكْلَبَ طُرًّا فِي لِبَاسِ السَّنَوْرِ^(١)

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يوم أحد (٣ هـ)^(٢):

فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَّعُ^(٣)

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوْرُ وَالْقَتَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ^(٤)

وقول عمرو بن العاص بعدما عقد له معاوية لواءه في صفين (٣٦ هـ)^(٥):

هَلْ يُغْنِيَنَّ وَرْدَانُ عَنِّي قَنْبَرًا وَتُغْنِي السَّكُونُ عَنِّي حَمِيرًا^(٦)

إِذَا الْكُمَاةُ لَبَسُوا السَّنَوْرًا

وقوله: إِذَا الْكُمَاةُ لَبَسُوا السَّنَوْرًا، أي: إِذَا الْأَبْطَالُ اسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ وَلَبَسُوا

دروعهم.

وقول جرير (٣٣ - ١١٤ هـ)^(٧):

وَأَبْنَاءُ إِسْحَاقَ الْيَوْتُ إِذَا ارْتَدَوْا مَحَامِلَ مَوْتٍ لَا بَسِيْنَ السَّنَوْرًا

فَيَوْمًا سَرَّابِيلُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ؛ وَيَوْمًا تَرَى خَزًّا وَعَصَبًا مُنِيرًا

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧ هـ)^(٨):

أَبَتْ إِبْلِي أَنْ تَعْرِفَ الضَّيِّمَ نَيْبُهَا إِذَا اجْتَنِبَ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ السَّنَوْرُ^(٩)

(١) أكلب: حي من خثعم.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٦٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٧١، ٧٢.

(٣) نتخشع: نخاف.

(٤) تورع: تتورع (حذف إحدى التائين) أي تخاف.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص ٧١.

(٦) وردان: هو غلام عمرو بن العاص. قنبر: هو غلام علي بن أبي طالب.

(٧) ديوان جرير، ص ١٨٦.

(٨) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ٣١٥.

(٩) النيب: ج ناب، وهي الناقة المسنة التي قد ولت فلا يرغب فيها ولا تلقح، أبت هذه الضميمة

فكيف خيار إبلي؟ يقول: لا تضام ولا يغار عليها، عندما تلبس للحرب الدروع.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧ هـ) (١):

أَهَبَ لَهُمُ فُرْسَانَ حَرْبٍ مُطِلَّةٍ وَخُرْسَانًا تَبَاهَى فِي السَّنَوَرِ حُشْدًا
وقوله كذلك (٢):

فِنَاوُكَ وَاسِعٌ وَنَدَاكَ ضَافٍ وَحَلِيَّتُكَ السَّنَوَرُ وَالنَّجَادُ
وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٣):

أَيَّدُوا مَلَكَنَا، وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ، تَحْتَ السَّنَوَرِ، حُمُسٍ
وقوله أيضًا (٤):

فَلَا تَارَ حَتَّى تَطْلُعَ الْخَيْلُ مُرْتَقَى خُوَيْتَ، بِأَسَدٍ، فِي السَّنَوَرِ، جُونٍ
وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٥):

وَسَائِلُ عُقَيْلًا، حِينَ لَانَتْ بَتْدَمُرٍ، أَلَمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقْدُ السَّنَوَرُ؟
وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ) (٦):

وَيَرَى التَّوْقِي بِالسَّنَوَرِ ذِلَّةً وَالْدِرْعُ يَكْرَهُهُ الْهَزْبُ الْأَرْوَعُ
وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) (٧):

وَكِتَابَةٌ كَتَبَتْ صَدُورُ رِمَاحِهَا لِلْمَوْتِ فِي صُحُفِ الْحِيَازِمِ أَسْطُرًا
مَلَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ ضِرَاحِمًا وَصَلَادِمًا وَقِشَاعِمًا وَسَنَوَرًا (٨)

(١) ديوان بشار بن برد، ص ٢٦١.

(٢) ديوان بشار بن برد، ص ٢٦٧.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ١٩٤.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ١٠٦.

(٥) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٦٥.

(٦) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٣٥.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص ٢٣٤.

(٨) الصلادم: خيول شديدة الحوافر. القشاعم: النسور الضخمة.

٤١- الشَّبَاكُ:

الشَّبَاكُ: هو الخلط والتداخل، ومنه تشبيك الأصابع، والشَّبَاكَةُ واحدة الشبائيك وهي المُشَبَّكَةُ من الحديد^(١)، وذكر ابن منظور أنه يُقال: درع شُبَّاك، وأنشد^(٢) الشطر الأول من بيت طفيل الغنوي (؟ - ١٣ ق. هـ) الذي يقول فيه^(٣):

لَهْنٌ بِشُبَّاكِ الْحَدِيدِ تَقَاذِفٌ هُوَيَّ رَوَاحٍ بِالذُّجْنَةِ يُعْجِبُ

وفي شرح الأصمعي لهذا البيت قال: شباك الحديد يعني: الدروع. تقاذف: يقول: ترمى في الجري يسمع أصواتها كما تسمع صوت المطر يجيء رائحا. والذجنة: إلباس الغيم. يعجب أي يعجبه من رأى ذلك منهم.

٤٢- الشَّلِيلُ:

ذكر ابن سيدة أن الشَّلِيلَ: الغِلَالَةُ تُلْبَسُ تَحْتَ الدَّرْعِ مِنْ ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، كما ذكر أنه ربما كانت درعا صغيرة تَحْتَ الْعُلْيَا، وعن الأصمعي أنه قال: الشَّلِيلُ: الدَّرْعُ الْقَصِيرَةُ وَجَمْعُهَا أَشْلَّةٌ^(٤). وقريب مما قاله ابن سيدة، قول الفيروز آبادي: الشَّلِيلُ: الغِلَالَةُ تُلْبَسُ تَحْتَ الدَّرْعِ، والدَّرْعُ الصَّغِيرَةُ تَحْتَ الْكَبِيرَةِ^(٥).

وفي اللسان الشَّلِيلُ: الغِلَالَةُ الَّتِي تُلْبَسُ فَوْقَ الدَّرْعِ، وقيل: هي الدَّرْعُ الصَّغِيرَةُ الْقَصِيرَةُ تَكُونُ تَحْتَ الْكَبِيرَةِ، وقيل: هي الدَّرْعُ مِنْ ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، وقيل هي الدَّرْعُ مَا كَانَتْ وَالْجَمْعُ الْأَشْلَّةُ، وأنشد لأوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ)^(٦):

(١) الرازي، ص ٣٢٨؛ ابن منظور، مج ١٠، ص ٥٣٩.

(٢) ابن منظور، مج ١٠، ص ٥٤١.

(٣) ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق، حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٦٣. وعن طفيل الغنوي. انظر، ابن قتيبة، ص ٣٠٠.

(٤) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤.

(٥) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٣٤٧.

(٦) ابن منظور، مج ١١، ص ٤٣٢.

وجئنا بها شهباء ذات أشيلة، لها عارض فيه المنية تلمع
كما ذكر صاحب اللسان أن ابن شميل قال: شلّ الدرع يشلّها شلاً إذا لبسها،
وشلّها عليه. ويقال للدرع نفسها شليل. والأشيلة: الدرع.

وأعتقد بعدم دقة ما ورد في اللسان من أن الشليل: الغلالة التي تلبس فوق
الدرع، فالغلالة تكون تحت الدرع وليس فوقه، وهو ما ذهب إليه كل من ابن
سيدة، والفيروز آبادي - كما هو مثبت عاليه - يدعمه قول الزمخشري: ولبس
الशलّيل تحت الدرع وهو ثوب يلبس تحتها^(١).

على أية حال فلدينا كثير من الإشارات عن الأشيلة، ومن ذلك ما سبق ذكره
عن قول أوس بن حجر^(٢):

وجئنا بها شهباء ذات أشيلة، لها عارض فيه المنية تلمع

وجئنا بها أي بالكتيبة، التي يرتدي فرسانها الدروع المتألقة، لذا فهي تبدو
شهباء، ومن وفرة هذه الكتيبة، فغبارها يسد الأفق، ومن خلاله تلمع المنية أو
السيوف.

وقول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣٠ ق. هـ)^(٣):

قلما تبتّج ما فوقه أناخ فشنّ عليه الشليل

وقول دريد بن الصمة (؟ - ٨٠ هـ)^(٤):

تقول هلال خارج من سحابه إذا جاء يعدو في شليل وقوتس

وقول مالك بن ربيعة الغامدي (؟ - ؟)^(٥):

(١) الزمخشري، ج ١، ص ٥٠٣.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص ٥٨.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٣٥.

(٤) الزمخشري، ج ١، ص ٥٠٣.

(٥) المرزباتي، ص ٢٦٢.

ولنعم حشو الدرع يوم لقيته سعد ونعم فتى الندى المتدى
طاعنته والموت يلحظ دائبا مهج النفوس متى يقال له رد
فازاني عنه الشليل وفارس يحنو عليه وفارس لم يشهد
وقول البحري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) (١):

رفيع الباع، يرفع متكباة فضول الذرع عنه، والشليل (٢)
وقوله أيضا (٣):

وكان الشليل والنثرة الحصن داء منه على سكيل غريف

٤٣- الصدار أو الصدر:

قال ابن منظور: الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله (٤)، والعرب تقول
للقميص الصغير والذرع القصيرة: الصدر، وقال الأصمعي: يقال لما يلي الصدر
من الذرع صدر (٥)، ولا شك أن هذا النوع من الدروع يذكرنا بالجوشن (٦).

وقد ورد ذكر الصدار في قصيدة للشاعر أبو حفص عمر بن عبد الله، يمدح
الخليفة الموحي المنصور يعقوب بن يوسف، ويهنئه بموقعة الأرك بالاندلس
سنة (٥٩١هـ)، وذلك في قوله (٧):

وفتح مثل ما انفتحت كمام وشقت عن صدورمها صدار

(١) ديوان البحري، طدار صابر، مج ١، ص ٥٩.

(٢) الباع: قدر مد اليدين.

(٣) ديوان البحري، طدار صابر، مج ١، ص ٣٠٨.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص ٥١٥.

(٥) ابن منظور، مج ٤، ص ٥١٦، ٥١٧.

(٦) راجع ما قيل عن الجوشن.

(٧) ابن سعيد، الغصون الياقة، ص ٩٦.

وعن هذا البيت قال المحقق: الصادر: القميص الصغير، والدرع القصيرة^(١)!

٤٤- الصَّمُوتُ:

الصَّمْتُ والصَّمُوتُ والصُّمَاتُ: السكوت، والصَّمُوت، بالفتح: الدرع الثقيل^(٢)، وقيل: هي الدَّرْع التي أحكم صنعها، إذا صُبَّتْ لم يُسمع لها صوت^(٣)، قال النابغة الذبياني (؟- ١٨٠ ق. هـ)^(٤):

وكلَّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تَبْعِيَّةٌ، ونَسَجُ سَلِيمٍ كلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠ هـ) يوم أحد (٣ هـ)^(٥):

مُجَالِدَتَنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ مَذْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَائِسُ تَلْمَعُ
وكلَّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ نَهَى مِنْ الْمَاءِ مُتَرَعُ

أي: وندافع عن ديننا بكتيبة عظيمة مدربة على القتال وبارعة فيه، ترى القوائس -أعلى البيض- فيها متألئة، وفيها دروع صموت -شديدة النسج، تقاربت حلقاتها، فلا يُسمع لها صوت- تصون لابسيتها، وتبدو عليهم كالغدير المليء بالماء.

جدير بالذكر أن لدينا إشارات عن كتائب يُطلق عليها "الكتائب الخرساء" قال

(١) ابن سعيد، الغصون اليبانة، ح ٣، ص ٩٦.

(٢) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٢٥١.

(٣) راجع، الزمخشري، ج ٢، ص ٢٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢؛ ابن هشام، ج ٣، ح ٦، ص ٧١.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦؛ الزمخشري، ج ٢، ص ٢٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٥٨، ٥٩؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٧١.

الشاعر الجاهلي السفاح (؟ - ؟) (١):

وَكَتِيبَةٌ لَفَقَتْهَا بِكَتِيبَةٍ شَهْبَاءٌ يُخَافُ رَدَاهَا
خَرَسَاءٌ ظَاهِرَةٌ الْأَدَاةُ كَأَنَّهَا نَارٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بَلْظَاهَا

قال المحقق: وكتيبة خرساء: إذا صمتت من كثرة الدروع، أي لم يكن لها قعاقع، وقيل هي التي لا تسمع لها صوتاً من وقارهم في الحرب (٢)، والتعريف الأول يتوافق مع الدروع محل التناول المعروفة بـ "الصموت".

٤٥- العَادِيَّةُ:

هي دروع منسوبة إلى عاد. قال ابن منظور: العَادِيُّ: الشيء القديم نُسب إلى عاد. وعاد قبيلة وهم قوم هود، قال الليث: وعاد الأولى هم عاد بن عاديا ابن سام بن نوح، وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم الذين عَصَوْا اللَّهَ... (٣)، ولا شك أن الدروع محل التناول تُنسب إلى عاد الأولى.

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول الشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري (؟ - ؟) يصف درعاً (٤):

مُضَاعَفَةٌ جَذَلَاءُ أَوْ حُطْمِيَّةٌ تُغَشِّي بَتَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمَ
لِعَادِيَّةٍ مِنَ السَّلَاحِ اسْتَعْرَتْهَا وَكَانَ بِكُمْ فَقْرٌ إِلَى الْغَدْرِ أَوْ عَدَمٌ

وهو في البيت الأول يُشير إلى ما تتميز به الدرع من صفات مختلفة، وفي البيت الثاني، يقول إن هذه الدرع الكريمة، كانت في زمن عاد.

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ) (٥):

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٨٣.

(٢) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٨٣.

(٣) ابن منظور، مج ٣، ص ٣٩٦؛ الرازي، ص ٤٦١.

(٤) المفضليات، ص ٣٠٩.

(٥) ديوان الحطيئة، ص ١٨٥.

كالهَندُوانِي لا تَنثِي مَضارِبَهُ ذاتُ الحَرابِي فوق الدَّارِعِ البَطلِ
في إرثِ عَاديَّةٍ عِزًّا ومَكرُمَةً فيها مِنَ اللَّهِ صُنْعٌ غَيْرُ ذِي خَلَلٍ

ويقصد بذات الحَرابِي - كما تقدم - الدرع، وفي البيت الثاني يقول: إنها درع من أصل قديم، فهي تعود إلى عاد، لذا فهي عزيزة مكرمة، وهي تامة الصنع محكمة لا خلل فيها.

٤٦- العُلماء:

قال الفيروز آبادي: العُلماء: الدُرْعُ^(١)، وفي اللسان، قال شمر في كتاب السلاح: العُلماء: من أسماء الدُرُوع؛ قال: ولم أسمعها إلا في بيت زهير بن جناب (? - ٦٤ ق. هـ)^(٢):

وَتَصَدَّى لِیَصْرَعَ البَطلَ الأرَ وَعَ بَينَ العُلماءِ والسُرَبالِ

جدير بالذكر أنه وصلنا بيت شعر لابن قميئة (١٧٩ - ٨٥ ق. هـ) يقول فيه^(٣):

وَتَصَدَّى لِیَصْرَعَ البَطلَ الأرَ وَعَ بَينَ العُلماءِ والسُرَبالِ

وقد أورد ابن منظور هذا البيت، في مادة "عَلَّه"؛ وقال: "العلماء": ثوبان يُندَفَ فيهما وَبرُ الإبل، يَلْبَسُها الشُّجاعُ تحت الدرع يَتَوَقَّى بها الطعن، وأنشد بيت ابن قميئة هذا، وقال: تَصَدَّى: يعني المنية لتصيب البطل المتحصن بدرعه وثيابه. وفي التهذيب: قرأت بخط شمر في كتابه السلاح: من أسماء الدروع العُلماء،

(١) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥٠١.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص ٤٩١. وزهير بن جناب، شاعر جاهلي. عنه انظر، ابن قتيبة، ص ٢٤٥.

(٣) ديوان ابن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٦٩.

بالميم، ولم أسمعها إلا في بيت زهير بن جَنَاب^(١) -سابق الذكر.

٤٧- الغلالة:

درع صغيرة تلبس تحت الدرع العليا^(٢). وفي اللسان: الإغلال: تُلبس الدُرُوع^(٣)، وإن كان هناك خلاف ما بين كون الغلائل: الدروع نفسها، أو بطائن تُلبس تحت الدروع، بل وقيل هي مسامير الدروع التي تجمع بين رؤوس الحلق لأنها تغلّ فيها أي تدخل^(٤).

وقد ورد ذكر الغلائل في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨٠ ق. هـ)^(٥):

وكل صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تَبْعِيَّةٌ، ونَسَجُ سَلِيمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ
عَلَيْنَ بِكَذِبُونَ، وَأَبْطَنَ كَرَّةً فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ

وعن قوله: "صافيات الغلائل"، قال الأصمعي: يعني الدروع صافية، فغللائها صافيات، لصفائها، لأن الدروع إذا كانت صافية لم تَدنس الغلالة تحتها، وقال بعضهم الغلائل: مسامير الدروع، واحدها غلالة^(٦).

كما ورد ذكر الغلائل في قول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)^(٧):

مَلُوكٌ يَغْدُونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ غَلَائِلًا^(٨)

والأرجح أن الغلائل هنا لا تعني الدروع؛ فمن بين معاني الغلالة -غير ما

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص ٦٤١، ٦٤٢؛ وراجع ديوان ابن قميئة، ح ١، ص ٦٩.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٢.

(٣) ابن منظور، مج ١١، ص ٥٩٧.

(٤) ابن منظور، مج ١١، ص ٥٩٩.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦؛ وانظر، ابن منظور، مج ١١، ص ٣١٢.

(٦) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٧؛ وراجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٧) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٣٤٦.

(٨) المخاصر: ما يُتَوَكَّأُ عليه كالعصا، وما يأخذه الملك بيديه ليُشير به إذا خاطب. زعزعوها: من

الزعزعة: وهي تحريك الشيء.

تقدم ذكره - شِعَار يُلبس تحت الثوب^(١)، فيصير معنى البيت: إن هؤلاء الملوك يعدون الرماح إذا حركوها كالعصي التي يتوكأ عليها، أو يُشار بها عند الخطاب، كما أنهم يعدون الدروع -ثقيلة الوزن- كالشعائر التي يلبسونها تحت ثيابهم؛ أو كالبطائن التي تلبس تحت الدروع.

وقال ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ)^(٢):

إِذَا لَبِسُوا مِنْ ذَا الْحَدِيدِ غَلَايِلًا، وَهَزَّوْا رِمَاحَ الْخَطِّ حَمْرًا عُقُودَهَا

وقوله: الحديد غلايلا: تدل على أن الغلائل هنا هي الدروع.

وقال كذلك^(٣):

وَكَاثِمًا شَقَّتْ عَلَيْهِ غَلَالَةٌ بِيضَاءُ مِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ الْمُقَرَّغِ

وقوله: غلالة بيضاء: أي درع بيضاء. من زبر الحديد: أي من قطع حديد ضخمة.

٤٨- الفارسي:

وقفت على غير بيت يسم الدرع بـ "الفارسي"؛ إلا أنني لم أهتم فيما بين يدي من المصادر أو المراجع المتخصصة في السلاح أو في المعاجم اللغوية لكي نونة هذه الدرع!

على أية حال فقد ورد ذكر هذه الدرع في قول عمرو بن أمري القيس (؟)-^(٤):

(١) الرازي، ص ٤٧٩.

(٢) ديوان ابن المعتز، ص ١٣٨.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ٢٨٠.

(٤) القرشي، ص ٢٣٧.

والله لا يَزِدْهِي كَتَيْبَتَنَا أَسَدُ غَرِينٍ، مَقِيلُهَا غُرْفٌ^(١)
إِذَا مَشِينَا فِي الْفَارِسِيِّ كَمَا تَمْشِي جِمَالٌ مَصَاعِبٌ، قُطْفٌ^(٢)

والمعنى في البيت الثاني: إذا مشينا ونحن لابسين الفارسي: أي الدروع،
نكون كالجمال التي تمشي على مهل.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول دريد بن الصمة (؟ - ٨ هـ)^(٣):

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجِّجٍ، سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ

وقوله: مدجج، أي التام السلاح. سراتهم: أي خيارهم. في الفارسي المسرد:
أي يلبسون الدروع.

٤٩- الْفِرْعَوْنِيَّةُ:

في اللسان: من الدُرْع الْفِرْعَوْنِيَّةُ؛ قال شمر: هي منسوبة إلى فرعون
موسى، وقيل: الْفِرْعَوْنُ بلغة الْقِبْطِ التَّمْسَاحُ^(٤)؛ ولعل في التعريف الأخير ما يُشير
إلى أن هذه الدروع كانت تُصنع من جلود التماسيح، غير أن بيت الشعر الذي
وقفت فيه على ذكر "الفرعونية" لا يدل على ذلك، بل يُشير إلى أنها كانت تُنسج
من الزرد! فقد قال كُثَيْرُ عَزَّة (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٥):

بِأَيْدِيهِمْ خَطِيَّةٌ وَعَلَيْهِمْ سَوَابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٍ جَدَلَتْ جَدَلًا

والمعنى: إن فرساتنا يحملون في أياديهم رماحاً خطية، ويلبسون على
أجسامهم دروعاً فرعونية، جدلت جدلاً: أي حُبك منها الزرد حبكاً محكماً.

(١) يَزِدْهِي: يستفز. الغُرف: الشجر الكثير الملتف.

(٢) الْقُطْفُ: البطيئة.

(٣) الْقَرَشِيُّ، ص ٢١١.

(٤) ابن منظور، مج ١٣، ص ٣٩٥. كما قال الفيروز آبادي: الْفِرْعَوْنُ: التمساح. القاموس

المحيط، ج ٢، ص ١٦٠٥.

(٥) ديوان كُثَيْرِ عَزَّة، ص ٢١٦.

٥٠- الفَضْفَاضَةُ :

هي الدرع الواسعة أو الضافية^(١)، وفي اللسان: دِرْعٌ فَضْفَاضٌ وَفَضْفَاضَةٌ وَفَضْفَاضَةٌ: واسعة^(٢)، وأنشد لعمر بن معدى كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١ هـ)^(٣):
وَأَعَدَّتْ لِلْحَرْبِ فَضْفَاضَةً، كَأَنَّ مَطَاوِيَهَا مَبْرَدٌ^(٤)
كما ذكر صاحب اللسان، يُقال: قد فَضْفَضَ الثوبَ والدَّرْعَ: وَسَّعَهُمَا؛ وأنشد قول كثير (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٥):

فَنَبَذَتْ ثُمَّ تَحِيَّةً، فَأَعَادَهَا غَمَزُ الرَّدَاءِ مُفَضْفَضُ السَّرْبَالِ
وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر الدرع الفَضْفَاضَةِ في قول امرئ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ)^(٦):

وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَأَبْيَضٌ قَضَابًا أَحَدٌ كَفَاتِي
وقول السموأل (? - ٦٤ ق. هـ)^(٧):
أَعَدْتُ لِلْحَرْبِ كُلِّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةً كَالْغَدِيرِ وَالْيَلْبَا
وقول مزرد بن ضرار الذيباني (? - ١٠ هـ)^(٨):
وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَأَها الْقَتِيرُ تَجْتَوِيهَا الْمَعَابِلُ^(٩)

-
- (١) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٢؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢.
(٢) ابن منظور، مج ٧، ص ٢٣٦؛ وانظر، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤، ٤٥؛
الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٨٠.
(٣) انظر البيت في ديوان عمرو بن معدى كرب، ص ٨٤.
(٤) مطاوي الدرع: غُضُوئُهَا إِذَا ضُمَّتْ، واحدها مِطْوَى.
(٥) ابن منظور، مج ٧، ص ٢٣٦.
(٦) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص ٧٤٥.
(٧) ديوان السموأل، ص ١٠٤.
(٨) المفضليات، ص ٩٨.
(٩) مسفوحة: الدرع المصبوبة. يُريد أنها متينة أو واسعة. القتير: المسامير، وأها: شددتها.
المعابل: سهام طوال عراض النصال. تجتويها: تكرهها، يريد أنها تنبو عنها.

دِلاَصٌ كَظَهَرَ النُّونُ لَا يَسْتَطِيعُهَا سِنَانٌ وَلَا تِلْكَ الْحِظَاءُ الدَّوَاحِلُ^(١)
 مُوشِحَةٌ بَيَضَاءً دَانٍ حَبِيكُهَا لَهَا حَلَقٌ بَعْدَ الْأَنَامِلِ فَاضِلُ^(٢)
 مُشَهَّرَةٌ تُحْنِي الْأَصَابِعُ نَحْوَهَا إِذَا جُمِعَتْ يَوْمَ الْحِفَاطِ الْقَبَائِلُ^(٣)

ويقول في البيت الأول: إنها درع متينة، واسعة، تنسب إلى "تبع" ملك اليمن، تشدها المسامير، ومن حسن صنعها أن السهام الطوال عريضة النصل تنبوا عنها، ولا تؤثر فيها. ويقول في البيت الثاني: إنها درع دِلاص: أي بَرَاقة ملساء لينة، تُشبه في ذلك ظهر السمكة. لا يتمكن نصل السهم أو ما دونه أن ينفذ فيها. ويقول في البيت الثالث: إنها درع موشحة أي فيها طرائق صفر نحاس-محبوكة النسيج، طويلة سايغة، فحلقتها يزيد عن الأنامل. ويقول في البيت الرابع: إنها درع رائعة، فمن جودتها يُشار إليها، عند الجمع -أي القتال- للذب عن المحارم والغضب لها.

كما ورد ذكر الدرع الفضاضة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)^(٤):

أَعَدْتُ لِلْحَرْبِ فَضَافِضَةً دِلاَصًا تَنْتَى عَلَى الرَّاهِشِ

وقول كعب بن مالك (؟ - ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ)^(٥):

تَرَانَا فِي فَضَافِضٍ سَابِغَاتٍ كَغُذْرَانِ الْمَلَا مُتَسَرِّبِلِينَ

وقوله كذلك^(٦):

(١) الحظا: السهام الصغار لا نصال لها.

(٢) موشحة: فيها طرائق صفر. الحبيكة: الطرائق من النسيج، واحدة حبيكة. فاضل: زائد.

(٣) تحني الأصابع نحوها: يُشار إليها لجودتها. الحفاظ: الذب عن المحارم والغضب لها.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٣٣.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٠٥؛ ابن هشام ج ٣، ص ١٥٥.

(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٢٦.

عليّ فضفاضة كالتّهي سابعة وصارم مثل لون الملح مصقول

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) (١):

يَعْدُ الْغِنَى فَضْفَاضَةً ذَاتَ رَفْرِفٍ وَصَمْصَامَةً عَضْبًا وَذَا خُصَلٍ نَهْدًا

والمعنى: إن المال لا يُعد غنى، وإنما الغنى هو أن يُعد للحرب ما يتصل بها من درع فضفاضة: أي واسعة؛ ذات رفرِف: أي لها حاشية. وصمصامة: أي سيف. وذا خصل نهدا: فرس.

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) (٢):

وَفَضْفَاضَةً خَضِرَاءَ ذَاتِ حَبَائِكَ	إِذَا لُبِسَتْ فَاضَتْ عَلَى بَطَلٍ كُفُو
لَهَا لَيْنٌ لِمَسٍ لَا يَخَافُ خَشُونَةَ	تَشَافُهَا مِنْ حَدِّ ذِي شُطْبٍ مُهُوَ (٣)
عَلَى أَنَّهَا مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ نَثْرَةً	أَدَقَّ عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْ أَثَرِ الرَّقْوِ
تَرَوْكَ مِنْهَا زُرْقَةً فَكَأَنَّهَا	سَمَاءٌ بَدَتْ لِلْعَيْنِ فِي رَوْنَقِ الصَّحْوِ
تَرَدَّ الرَّدَى عَنْ ذِمِّهَا فَكَأَنَّهَا	تَذَرَعُ مِنْ سُخْطِ الْأَسِنَّةِ بِالْعَفْوِ

٥١- القَد:

ورد ذكر هذه الدرع في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ) /

٢١ هـ) (٤):

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ — دَ تَمَرُّوا حَقًّا وَقَدًّا

وفي شرح هذا البيت، قال المرزوقي: والقَد: أراد به اليلب، وهو شبه درع

(١) ديوان الأبيوردي، ج ٢، ص ١٢.

(٢) ديوان ابن حمديس، ص ٥٢١.

(٣) لمس، في رواية أخرى "سرد". مهو: منقض.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٨٠.

كان يُتخذ من القَدِّ^(١)، أي الجلد^(٢).

٥٢- القُرْدُماني:

قال ابن سيدة: القُرْدُمانيُّ: ضرب من الدروع، وهي سلاح كانت الأكاسرة تدخره في خزائنها^(٣)، وأفاض الفيروز آبادي وقال: القُرْدُماني، بالضم منسوبة: قَبَاءٌ مَحْشُوٌّ يُتَّخَذُ لِلْحَرْبِ، معرب فارسيته: كَبَرٌ، أو سلاح كانت الأكاسرة تدخرها في خزائنها، أو الدُرُوعُ الغليظة مثل الثوب الكرْدُواني، أو المغفر، أو البيضة إذا كان لها مغفر^(٤)، وقد أشار ابن منظور إلى أن القُرْدُماني والقُرْدُمانيّة، سلاح كانت الفرس والأكاسرة تدخره في خزائنها، وقال: أصله بالفارسية كَرْدَمَانِدْ، معناه عمل وبقي؛ قال الأزهري: هكذا حكاها أبو عبيد عن الأصمعي؛ وقال ابن الأعرابي: أراه فارسياً، وأنشد قول لبّيد (؟ - ٤١ هـ) ^(٥):

فَخِمَّةٌ ذَفْرَاءُ تَرْتَى بِالْعَرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرْكًا كَالْبَصْلِ

ثم قال: القُرْدُمانيّة الدُرُوع الغليظة مثل الثوب الكرْدُواني. ويقال القُرْدُمانيُّ ضرب من الدروع^(٦).

وقد ورد ذكر الدروع القردمانية في قول لبّيد^(٧):

فَمَتَى يَنْقَعُ صِرَاحٌ صَادِقٌ يُحَلِّبُوهُ ذَاتَ جَرَسٍ وَزَجَلٍ^(٨)

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص ٨٠.

(٢) راجع، ابن منظور، مج ٣، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) ابن سيدة، ج ٢، ص ٤٥.

(٤) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥١١.

(٥) انظر، ديوان لبّيد، ص ١٤٦.

(٦) ابن منظور، مج ١٢، ص ٥٥٨.

(٧) ديوان لبّيد، ص ١٤٦.

(٨) ينقع: يرتفع. يحلبوه: يمدوه.

فَخَمَّةٌ ذَفْرَاءٌ تُرْتَى بِالْعَرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرَكْنَا كَالْبَصَلِ^(١)

أَحْكَمَ الْجَنْثِيُّ مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلَّ حِرْبَاءٍ إِذَا أَكْرَهَ صَلَّ^(٢)

والمعنى في البيت الأول: وإذا ما ارتفع صراخ مستغيث، أمدوه بكتيبة ذات صوت، وهذا الصوت يحدث جراء كثرة السلاح فيها. وفي البيت الثاني: يصف هذه الكتيبة أو ربما دروع فرسانها المشدودة بالعرى، ويشير مما تلبسه إلى الدروع القردمانية، وبيّض -أي خوذ- تشبه البصل. وفي البيت الثالث: إذا قلنا: "الجَنْثِيُّ" بالرفع: فهو الزراد أو الحداد، فيصير المعنى: إن الزراد أحكم صنعة هذه الدروع، فكل مسمار من مساميرها إذا أكره أي ضرب في القتير له صليلاً. أما إن قلنا: "الجَنْثِيُّ" بالنصب فهو السيف، ويصير المعنى: إن هذه الدروع لجودة صنعتها تمنع السيف أن يمضي فيها، وتكون كلمة "أحكم" هنا: أي ردّة^(٣).

٥٣- القَرَقَلُ:

القرقل: جمعه القَرَقات، وهي دروع تُتَّخَذُ من الحديد، وتُغَشَّى بالديباج الأحمر والأصفر^(٤)، وتكون على هيئة صفائح متخذة من الحديد المتواصل بعضه إلى بعض، وأحسنها ما لم تكن واسعة أو ضيقة، وقد غلب استعمال هذا النوع من الدروع على عصر المماليك^(٥)، قال القلقشندي: واعلم أن لبس العرب في الحرب

(١) زفراء: متغيرة الرائحة. ترتى: تشد.

(٢) الجنثي: صانع الزرد: العورات. الفتوق. الحرباء: المسمار في حلق الدرع.

(٣) راجع، ابن منظور، معج ١١، ص ٤٥٧، ٤٥٨.

(٤) القلقشندي، (أبي العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ١١.

(٥) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٢. وهناك إشارة تفيد بأن القرقل هو القرغند. راجع، عليوه، السلاح المعدني، ص ٣٠٨. وأنه يتميز بشكله القصير، حيث إنه كان يغطي النصف العلوي من الجسم فقط. حسين عليوه، السلاح المعدني، ص ٣٢٦.

كان الزرد، أما الآن فقد غلب عمل القرقلات من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض^(١).

وعن هذه الدروع قال ابن منكلي (ت ٧٧٨هـ—): "ومن لوازم الجندي الأميري: اتخاذ الجنن الواقية، إما قرقل جيد الصفائح لا بالضيق ولا بالواسع وإذا كان كالقباة كان أحسن وأسرع اللبس بشرط أن يكون حشو كمّيه صفائحًا دقاقًا لتُمكن مد القوس"^(٢).

كما قال كذلك: "قال أصحاب التجربة من الجند: ينبغي أن يكون طرف شراية البيضة التي هي الخوذة مستدخلة في طوق القرقل الذي يُسمى المصفح أو غيره إذا كان لها طوق، وإن كان ما لها طوق فليتحيل على إخبائه من كل بدّ وسبب، ..."^(٣).

جدير بالذكر أن ابن منظور لم يُشر إلى كون القرقل من الدروع وذكر أنه: ضرب من الثياب، وقيل هو ثوب بغير كمّين. كما أشار إلى أنه قميص من قمص النساء بلا لبنة^(٤)، كما أن الفيروز آبادي لم يقل غير أن القرقل: قميص للنساء، أو ثوب لا كمّ له، الجمع: قراقل^(٥)، وعلاوة على ذلك فلا ذكر للقرقل لا لدى الرازي ولا لدى الزمخشري.

٥٤- القضاء:

بينما ذكر الفيروز آبادي أن القضاء: الدرع المسمّوة^(٦)، فقد ذكر ابن سيدة

(١) القلقشندي، ج ٢، ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) التدبيرات السلطانية، ص ٣٦٢.

(٣) التدبيرات السلطانية، ص ٣٤٠.

(٤) انظر، ابن منظور، مج ١١، ص ٦٦١. وقد ورد ذكر القرقل كثوب للنساء في قول بشار بن برد: قَمَرُ اللَّيْلِ فِي قَرَقْلٍ * يَتَصَدَّى لِي فَأَهْلًا بِالْقَمَرِ. ديوان بشار بن برد، ص ٣٦٦.

(٥) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٣٨٣.

(٦) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٨٢.

أنها: الدرع التي قد فرغ من عملها وأحكم، وأنشد:

وتعاورا مسرودتين قضاها داود أو صنع السوابغ تبغ

ثم أردف بقول ابن السكيت: قضاها يقضيه: صنعه. وقول أبو عبيدة: القضاء: الصلبة. وقول علي: قضت: صلبت وقضضها صانعها: أحكم تركيب حلقها^(١).

وعلاوة على ما تقدم فقد ذكر الزمخشري: درع قضاء: أي خشنة المس لما تنسحق^(٢)، وهو ما ذهب إليه النويري، حيث قال: قضاء: أي خشنة المس^(٣)، وأنشد قول النابغة الذبياني (؟ - ٨١ ق. هـ)^(٤):

ونسج سليم كل قضا ذائل

وقد أفاض ابن منظور، فقال برع قضاء: خشنة المس من جدتها لم تنسحق بعد، مشتق من ذلك؛ وقال أبو عمرو: هي التي فرغ من عملها وأحكم وقد قضيتها وأنشد قول النابغة السابق الذكر.

وذكر أنه قال بعضهم: هو مشتق من قضيتها أي أحكمتها، قال ابن سيدة: وهذا خطأ في التصريف لأنه لو كان كذلك لقال قضياء؛ وأنشد أبو عمرو بيت الهزلي:

وتعاورا مسرودتين قضاها داود، أو صنع السوابغ تبغ

قال الأزهري: جعل أبو عمرو القضاء فعلاً من قضى أي حكم وفرغ، قال: والقضاء فعلاء غير منصرف. قال شمر: القضاء من الدروع الحديثة العهد بالجدة الخشنة المس من قولك أقض عليه الفراش؛ وقال ابن السكيت في قوله:

كل قضا ذائل

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٢) الزمخشري، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢.

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦.

كُلُّ دِرْعٍ حَدِيثَةُ الْعَمَلِ. قَالَ وَيُقَالُ الْقَضَاءُ الصُّكْبَةُ الَّتِي أَمْلَسَ فِي مَجَسَّاتِهَا قِصَّةً. وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْقَضَاءُ الْمَسْمُورَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ قَضَ الْجَوْهَرَةُ إِذَا ثَقَبَهَا^(١).

٥٥- قِصَّةٌ :

اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ دُرُوعِ الرَّسُولِ ﷺ^(٢).

٥٦- الْقَمِيصُ :

الْقَمِيصُ الَّذِي يُلْبَسُ مَعْرُوفٌ مَذْكُورٌ، وَقَدْ يُعْنَى بِهِ الدَّرْعُ، فَيُؤَنَّثُ؛ وَأُنْثَى جَرِيرٌ (٣٣- ١١٤هـ) حِينَ أَرَادَ بِهِ الدَّرْعَ فَقَالَ^(٣):

تَدْعُو هَوَازِنَ وَالْقَمِيصُ مَفَاضَةٌ، تَحْتَ النَّطَاقِ، تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ

أَوْ كَمَا وَرَدَ فِي دِيْوَانِ جَرِيرٍ^(٤):

تَدْعُو رَبِيعَةً وَالْقَمِيصُ مَفَاضَةٌ، تَحْتَ النَّجَادِ، تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ

وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْقَمِيصِ بِمَعْنَى الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ الْمُخَضَّرِمِ ابْنِ مَقْبَلٍ (٥)-
(٦)^(٥):

وَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ شَكَّكْنَا قَمِيصَةً بِأَزْرَقٍ عَسَالٍ إِذَا هَزَّ عَامِلُهُ^(٦)

أَي: وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ مَدْجَجٍ فِي سِلَاحِهِ خَزَقْنَا دَرْعَهُ بِرَمَحٍ أَزْرَقِ السَّنَانِ.

(١) ابْنُ مَنْظُورٍ، مَج ٧، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) مُؤَلَّفٌ مَجْهُولٌ، السَّبْقُ وَالرَّمِي وَأَسْلِحَةُ الْمَجَاهِدِينَ، ص ٤١٤؛ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِرِسْمِ آخِرِ "قِصَّةٍ". انْظُرْ، ابْنُ قِيَمٍ الْجُوزِيَّةُ، زَادَ الْمَعَادَ، ج ١، ص ٥٣. وَأَعْتَقَدُ أَنَّ مَا أَثْبَتَهُ عَلَيْهِ هُوَ الصَّحِيحُ.

(٣) ابْنُ مَنْظُورٍ، مَج ٧، ص ٩٢.

(٤) دِيْوَانُ جَرِيرٍ، ص ٢٤٦.

(٥) دِيْوَانُ ابْنِ مَقْبَلٍ، ص ١٨٠.

(٦) الْعَسَالُ: الرَّمَحُ اللَّدَنُ يَهْتَزُّ وَيُضْطَرِبُ. عَامِلُ الرَّمَحِ: مِثْلُهُ.

وقول عمرو بن معدى كرب (١٠٠ق. هـ - ٢١هـ) (١):

تَمَنَّا نِي وَسَابِغِي قَمِيصِي كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَرَادُ

وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥هـ) (٢):

طَوِيلُ الْقَمِيصِ لَا يُذَمُّ جَنَابُهُ، نَبِيلٌ إِذَا نِيَطَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ

أي: وهو صاحب درع سابغة لا يذم له مقام، نبيل يحمل السيف ويضطلع بالمسئوليات الجسام.

وقول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦هـ) (٣):

هَذَا إِلَى ضَافِي الذُّيُولِ مُضَاعَفٍ كَالسَّلَاحِ مِنْ قَمِيصِ الْحَدِيدِ مَسْبَغٍ

وقوله أيضاً (٤):

وَقَمِيصِ حَدِيدِ ضَافِيَاتِ ذُيُولِهَا لَهَا حَدَقٌ خُرَزُ الْعُيُونِ صِغَارُ

وقوله كذلك (٥):

وَرَقَلْتُ فِي قَمِيصِ الْحَدِيدِ دُ، وَمَا أَرَى فِي اللَّيْلِ ضَوْأً

وقول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) (٦):

مَفْرَشِي صَهْوَةِ الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ

وقول ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨هـ) في الحرب وذكر القائد (٧):

مَقْلَكَ تَحْتَ أَظْلَالِ الْعَوَالِي وَبَيْنَكَ فَوْقَ صَهَوَاتِ الْجِيَادِ

تَبَخَّرْتُ فِي قَمِيصٍ مِنْ دَلَاصٍ وَتَرَفُلْتُ فِي رِدَاءٍ مِنْ نِجَادِ

(١) ابن عبد ربه، مج ١، ص ١٣٧.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ٢٤٤.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ٢٨٠.

(٤) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٥٩.

(٥) ديوان ابن المعتز، ص ٤٠٤.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥١.

(٧) ابن عبد ربه، مج ١، ص ١٢٨.

اللّامةُ: الدَّرْعُ^(١): جمعها لؤم، ويُقال: استلّام الرجلُ لأمتّه وتلّامها: أي لبسها، والمُلّام، بالتشديد: المدرع^(٢)، قال الشاعر^(٣):

واستلّاموا ولبسوا الحديدًا

وقيل اللّامة: الدرع الحصينة، سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقاتها^(٤). كما قيل: اللّامة: هي الدرع التامة التي لها فضول^(٥)، وقال البعض: هي درع تكون من صفائح الحديد^(٦)، غير أن من المؤكد -كما سيّبين فيما بعد- أنها كانت تسرد أي تنسج من الزرد.

وعلاوة على ما تقدم فقد ذكر ابن منظور^(٧) أن هناك من جعل اللّامة البيّضَ -أي الخوذ- وأنشد قول ابن أبي الحقيق (؟-؟):

بفيلقٍ تسقطُ الأخبارُ رؤيتها، مُستلّمي النّضِ من فوق السّرابيل

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ ابن سلام، ص ٢٣٨.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٢٩.

(٣) انظر، المرزباتي، ص ٢١٠.

(٤) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٣٠.

(٥) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦٢.

(٦) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ١٩٨٧م، ص ٢١٧. وعن استخدامها من قبل الجيوش الإسلامية. انظر -على سبيل المثال- ابن شداد، القاضي بهاء الدين، سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه تأليف: تاج الدين شاهنشاه ابن أيوب رحمه الله)، دار الفرجاني، القاهرة- طرابلس- لندن، د. ت، ص ٦٧، ٩٦، ٢٠٤؛ أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص ١٠٨.

(٧) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٣٠.

وذكر كذلك أن الأعشى (؟ - ٧هـ) جعل الأمة السلاح كله، وأنشد قوله^(١):

وَقُوفًا بِمَا كَانَ مِنَ الْأُمَّةِ، وَهَنَ صِيَامٌ يَلُكِّنُ اللَّجْمَ

وذكر عن الأمة بمعنى السلاح كله أنه يُقال: قد استلَّام الرجل إذا لبس ما عنده من عُدَّةٍ رُمَحٍ وبيضةٍ ومِغْفَرٍ وسيفٍ ونبلٍ، وأنشد قول عنترة بن شداد (؟ - ٢٢ق. هـ) ^(٢):

أَنْ تَغْدِي فِي دُونِي الْقَنَاعِ فَإِنِّي طَبٌّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِّمِ

على أية حال فالإشارة إلى الأمة بمعنى الدرع، والاستلئام بمعنى لبس الدرع، أمر شائع فيما بين يدينا من مصادر، كما أنه يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار أنه طالما أُشير إلى أن الفارس مستلَّام فالإشارة إلى لبسه الدرع والخوذة واقع ضمناً مع غير ذلك من سلاح. بل وحتى بيت الأعشى الذي استشهد به ابن منظور على اعتبار أن الأمة فيه تعني السلاح كله، فقد اعتبر آخرون أن الأمة هنا تعني الدرع^(٣).

والاستلئام بمعنى لبس الدرع، واضح في قول النابغة الذبياني (؟ - ١٨ق. هـ) عن بني أسد^(٤):

فَهَمَ دِرْعِي الْقِي اسْتَلَّامَتْ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ، وَهَمَ مِجَنِّي^(٥)

وعن الأمة بمعنى الدرع، لدينا كثير من الإشارات، ومنها إشارة ابن هشام - حين تناول غزوة أحد (٣هـ) - إلى أن الرسول ﷺ دخل بيته فلبس لأمتَه يو- الجمعة حين فرغ من الصلاة، ولما خاطبه الصحابة في أمر البقاء في المدينة

(١) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٣٠. وعن هذا البيت، انظر، ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٧.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص ٦٢٩. وعن هذا البيت، انظر، ديوان عنترة، ص ٣٤.

(٣) انظر، ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٦، ح (٢٦ - ٢٩)، ص ٨٧.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٢٧.

(٥) يوم النصار: موضع كانت فيه وقعة.

وعدم الخروج، قال: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُقاتل" (١).

ومن الجدير بالذكر أن لأمة رسول الله ﷺ يوم أحد كانت صفراء اللون، ووصلتنا إشارة تفيد أن الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) - الذي كان منظره يشبه منظر الرسول ﷺ إلى حد كبير - فضل أن يكون يوم أحد هدفًا لسهام المشركين بدلًا من الرسول ﷺ فلبس لأمة النبي ﷺ، ولبس النبي لأمته، فجرح كعب أحد عشر جرحًا (٢).

وقد ورد ذكر الأمة أي الدرع، والاستلزام بمعنى لبس الدرع في قول كثير من الشعراء، ومن ذلك قول المثلث الضبي (؟ - ٤٣ ق. هـ) (٣):

وَعَلَيْهِ مِنْ لَأْمِ الْكَتَائِبِ لِأُمَّةٍ فَضْفَاضَةٌ فِيهَا يَقُومُ وَيَجْلِسُ

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟ - ؟) (٤):

عَتَاذَكَ مِنْهَا لِأُمَّةٍ تُبْعِيَةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمِغْفَرُ

وقول ربيع بن مقيوم الضبي (؟ - ١٦ هـ) (٥):

بَنُو الْحَرْبِ يَوْمًا إِذَا اسْتَلَامُوا حَسِبْتَهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقُرُومَا

أي: إن هؤلاء القوم معتادو الحروب، إذا لبسوا يومًا لأمتهم، تحسبهم وهم في حديد كفحول الإبل.

وقول مالك بن عوف (؟ - ؟) عن جيش المسلمين يوم حنين (٨ هـ) (٦):

وَكُتَيْبَةٌ لِبَسَتْهَا بَكْتِيَّةٌ فَتْنَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمَلَأَمٌ

(١) ابن هشام، ج ٣، ص ١٩.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٩.

(٣) ديوان المثلث الضبي، ص ٢٩٥.

(٤) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٧٠.

(٥) ديوان ربيعة بن مقيوم الضبي، ص ٥٤.

(٦) ابن هشام، ج ٤، ص ٧٢.

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧هـ) ^(١):

كَأَنَّ فُروْجَ الْأُمَّةِ السَّرْدِ شَدَّهَا عَلَى نَفْسِهِ عَيْلُ الذَّرَاعَيْنِ مُخْدِرٌ ^(٢)

وقول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) ^(٣):

مَفْرَشِي صَهْوَةِ الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ
لَأُمَّةٍ فَاضَّةٌ أَضَاءَةً دِلَاصٍ أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) يمدح جعفر بن علي ويهنته
بأخذ قلعة كتامة ^(٤):

وَمَا رُكِّزَتْ فِي جَوْهَا قَبْلَكَ الْقَنَا وَلَا رُكِّضَتْ فِيهَا الْمَسُومَةُ الْجُرْدُ
وَلَا التَّمَعْتُ فِيهَا الْقِبَابُ وَلَا التَّقْتُ بِهَا لَأُمَّةٌ سَرْدٌ وَقَافِيَةٌ شَرْدُ

وقول ابن زيدون (٣٤٩ - ٤٦٣هـ) في مدح المعتضد بالله عباد بن محمد
بن عباد ^(٥):

يَسْرُكُ، فِي الْهَيْجَا، إِذَا جَرَّ لَأُمَّةٌ، وَيَرْضِيكَ، فِي النَّادِي إِذَا اعْتَمَ وَارَادَى ^(٦)

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧هـ) وهو يصف جيشاً في معركة ^(٧):

وَكَأَنَّ الْجَوَادَ وَالسِّيفَ وَاللَّأ مَةً بَحْرٌ وَجَدُولٌ وَغَدِيرٌ

وقول ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧هـ) ^(٨):

(١) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ٣١٤.

(٢) قتل الذراعين: أي غليظ الذراعين. مخدر: أي أسد في أجمته.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صابر، ص ١٥١.

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٥) ديوان ابن زيدون، دار صابر، بيروت، د. ت، ص ٢٢٩.

(٦) اعتم: لبس العمامة. ارتدى: لبس الرداء.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص ٢٤٧.

(٨) ديوان ابن قلاقس، ص ١٨٧.

وَاللَّامَةُ الْخَضِرَاءُ وَالصَّمَامَةُ الزُّرْقَاءُ وَالْخَطَّيَّةُ السَّمْرَاءُ

وله فيها تشبيهه بديع، حيث يمدح "ابن جميل" ويقول^(١):

لَبِسْتُ بِهِ الْإِسْكَندَرِيَّةَ لِأُمَةٍ رَدَّتْ عَلَى دَاوُدَ مُحْكَمَ سَرْدِهِ
فَحَمَى مَسَارِحَهَا وَكَانَتْ قَبْلَهُ كَالْغِيلِ فَارَقَةً مَقْدَمَ أَسَدِهِ

٥٨- اللبوس:

قال الفيروز آبادي: اللبوس: الدرع^(٢)، وفي اللسان اللبوس: الثياب والسلاح،
مذكر، فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِتُخَصِّنَكُمْ مِنَ بَأْسِكُمْ﴾^(٣) قالوا: هي الدروع تلبس في الحروب^(٤).

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول عباس بن مرداس (? - ١٨ هـ) يوم حنين
(٨ هـ)، حيث يصف جيش المسلمين ويقول^(٥):

فَجَنَّا بِالْف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
وقول كعب بن زهير (? - ٢٦ هـ) في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها
الرسول ﷺ^(٦):

شُمُ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لِبُوسَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ٤٠٨.

(٢) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٧٨٣؛ وانظر، الرازي، ص ٥٩٠؛ الزمخشري، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) ابن منظور، مج ٦، ص ٢٤٥.

(٥) ابن هشام، ج ٤، ص ٦٧.

(٦) ديوان كعب بن زهير، ص ٩١؛ وانظر، ابن هشام، ج ٤، ص ٩٥؛ القرشي، ص ٢٨٧؛

الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥٣.

هي الدرع اللينة السهلة الرقيقة، وقيل: الدروع البيضاء^(١)، ويُؤخذ في عين الاعتبار أن الماذي: هو العسل الأبيض^(٢) الخالص الصافي؛ وقد شُبّهت به هذه الدروع الصافية الخالصة من الخبث^(٣)، لذا يُقال لخالص الحديد وجيده: الماذي^(٤)، بمعنى أن الماذي: صفوة الحديد^(٥).

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ ق. هـ)^(٦):

وحَلَقِ الماذِيَّ والقَوَانِسِ

وحلق الماذي، هي حلق الدروع اللينة البيضاء، أما القوانس، جمع قوتس، فهي أعلى البيضة من الحديد وقيل مقدمتها.

وقول عنتر بن شداد (؟- ٢٢ ق. هـ) يفخر بفرسان جيشه لابسو الماذي ويقول^(٧):

(١) راجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٤؛ ابن منظور، مج ٣، ص ٦٢٤؛ وانظر،

الفيروز آبادي، ج ١، ص ٤٨٥؛ ديوان الأعشى الكبير، ح (١٠-١٢)، ص ٣٥١.

(٢) الرازي، ص ٦٢٠؛ الفيروز آبادي، ج ١، ص ٤٨٥؛ ابن منظور، مج ٣، ص ٦٢٤. قال

الشاعر الجاهلي محمد بن كعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار، الذي قُتل في يوم ذي قار: هُوَ

العَسَلُ الماذِيَّ لِينًا وَنَائِلًا، * وَلَيْثٌ، إِذَا يَلْقَى الْعُدَاةَ، غَضُوبٌ. القرشي، ص ٢٤٩، وقال بشار

بن برد يمدح الخليفة المهدي: هُوَ العَسَلُ الماذِيَّ طَوْرًا وَرَبْمَا * يَكُونُ كَبِيرُ الْقَوْمِ مُرَّ جَنَى

الصدر. ديوان بشار بن برد، ص ٣٦٥؛ وقال ابن قلاقس: أَقْسَمْتُ بِالنَّحْلِ إِنَّ النَّحْلَ قَائِلَةٌ *

مَآذِي الحَلَاوَةِ مِمَّا تُحْسِنُ المَآذِي. ديوان ابن قلاقس، ص ٢٣٣،

(٣) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٣٣.

(٤) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٤٨٥.

(٥) ديوان الحطينة، ص ١٧٢.

(٦) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٣٧؛ شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٣٣.

(٧) ديوان عنتر بن شداد، ص ٨٥.

وَقَوَارِسٍ لِي قَدْ عَلِمْتُهُمْ صَبْرٌ عَلَى التَّكْرَارِ وَالْكَلَمِ^(١)
يَمْشُونَ وَالْمَاضِي فَوْقَهُمْ، يَتَوَقَّدُونَ تَوَقُّدَ الْفَحْمِ^(٢)

ويقول في البيت الثاني: إن هؤلاء الفرسان يمشون وفوقهم الدروع الماذية،
فيبدون متوهجين، كالفحم المتقد.

وقول النابغة الذبياني (٢- ١٨ ق. هـ) (٣):

مُسْتَحْقِبِي حَلَقِ الْمَاضِي يَقْدُمُهُمْ شَمُّ الْغَرَانِينِ ضَرَابُونَ لِلْهَامِ

أي: ومحاربو هذه الكتيبة يحملون دروعهم الماذية في حقائب خلف ركائبهم،
ويتقدمهم أعزة كرام شجعان، يضربون هامات أقرانهم بالسيوف.

وقوله أيضاً (٤):

وَنَلْبَسُ الدَّهْمَ ذَا الْمَاضِي ضَاحِيَةً بِالْدَّهْمِ ثُمْتُ نَفْسِي الْمَوْتَ وَالْقَتَمَ^(٥)

وقول زهير بن أبي سلمى (٢- ١٣ ق. هـ) (٦):

وآخِرِينَ تَرَى الْمَاضِي عُذَّتَهُمْ، مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَوْ مَا أَوْرَثَتْ لِإِرَمَ

أي: إنهم كانوا يلبسون دروعاً قديمة متوارثة جيدة النسيج، منسوبة إلى داود
(عليه السلام)، أو هي متوارثة من قوم عاد، الذي ينسب العرب كل قديم إليهم.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١ هـ) (٧):

(١) علمتهم: خبرتهم. صبر: أشداء يتحملون المكاره بجلد. التكرار: كثرة الكر والهجوم. الكلم: الجرح.

(٢) يتوقدون: يتوهجون عند اللقاء.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص ٨٣.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٧١.

(٥) نلبس: نخلط. الدهم: الجيش. القتم: الغبار، والعجاج.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٩٣.

(٧) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٥٢.

يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْمَاضِي يَقْدُمُهُمْ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مَا فِي سِتْرِهِ عَنَفٌ^(١)

ومن الشعر الذي قيل يوم بدر (٢هـ)، أبيات قيل: إنها لحسان بن ثابت،
وقيل: بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي، مطلعها^(٢):

مستشعري حلق الماضي يقدمهم جلد النحيضة ماض غير رعديد

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠هـ) يوم بدر أيضاً^(٣):

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ لَهُ مَعْقَلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرٌ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يَمْشُونَ فِي الْمَاضِي وَالنَّقْعُ ثَائِرٌ^(٤)

وقول علي بن جبلة (١٦٠ - ٢١٣هـ) يمدح حميد بن عبد الحميد^(٥):

إِذَا لَاقَى رَعِيلَ الْمَوْتِ بِالشَّطْبَةِ وَالشُّطْبِ
وَبِالْمَاضِيَةِ الْخَضِرِ وَبِالْهِنْدِيَةِ الْقُضْبِ

وقول الحطيئة (؟ - ٤٥هـ)^(٦):

إِذَا قَادَهَا لِلْحَرْبِ يَوْمًا تَتَابَعَتْ أُلُوفٌ عَلَى آثَارِهَا أُلُوفٌ
فَصَفُّوا وَمَاضِيِ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ وَبَيْضٌ كَأَوْلَادِ النَّعَامِ كَثِيفٌ

وقول الأخطل (١٩ - ٩٠هـ) يمدح عبد الملك بن مروان^(٧):

تَرَى الْحَلْقَ الْمَاضِيَّ تَجْرِي فُضُولُهُ عَلَى مُسْتَخِفٍّ بِالنَّوَابِ وَالْحَرْبِ

أي ودرعه التي يلبسها درع سابغة، يلبسها - الممدوح - الذي هو دائم

(١) ضخم الدسيعة: أراد به نفسه؛ والدسيعة العطية.

(٢) ابن هشام، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٤٧.

(٤) النقع: غبار الحرب.

(٥) ابن قتيبة، ص ٥٩٦.

(٦) ديوان الحطيئة، ص ١٧٢.

(٧) ديوان الأخطل، ص ٣٢.

التأهب للحرب، شديد البأس، هازيء بالخطوب.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧هـ) يمدح سفيح بن عمرو^(١):

إذا لبسَ المَاديَّ يومَ كريهةٍ وشَمَرَ يحدو الخيلَ أو قاد جُرداً
رأيتَ إِيَّاهُ المَلِكَ فوقَ جبينِهِ تهزُّ المنايا والهَرَقْلَةُ النُّقْدا

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) يصف دروع جيش من
الفرسان^(٢):

وتَخْضِبُ الحَلَقَ المَاديَّ من عَليٍّ كأنما صاغها داودُ من ذهبٍ
ويقصد في البيت الأول من الحلق المادي: أي الدروع اللينة المنسوجة من
الحلق، وقوله تخضب من علي: أي ذات لون أحمر. أما في البيت الثاني، فيُشير
إلى إحكام صناعة هذه الدروع.

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧هـ)^(٣):

ولنا الأبطالُ إذا نزلُوا اشتَمَكُوا المَاديَّ إلى النُطْقِ^(٤)

وقول أبو بكر محمد بن قزمان (؟ - ٥٠٨هـ)^(٥):

ركبُوا السُّيُولَ من الخيولِ وركبُوا فوقَ العوالي السُّمُرَ زُرْقَ نِطَافٍ
وتجلَّلُوا الغُرَّانَ مِنْ مَانيهِمْ مُرتَجَّةً إلا على الأكتافِ

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧هـ) ماثلاً الأمير علي بن يحيى واصفاً
جيشه^(٦):

(١) ديوان بشار بن برد، ص ٢٩٩.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ٥٦.

(٣) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٢٧٢.

(٤) النطق: ج نطق، وهو ما يُنتطق به، أي يُشد به حول الوسط.

(٥) الحجاري، ج ١، ص ١٠٠.

(٦) ديوان ابن حمديس، ص ١٤٩.

وأَسَدٌ عَلَى مِثْلِ السَّعَالِيِّ عَوَابِسٍ لَهَا لَبْدٌ مِنْ صَنْعَةِ الْحَلَقِ السَّرْدِ^(١)

كُفَاةٌ وَغَيْدٌ، أَهْدَتْ الرِّيحُ مِنْهَا لَنَا سَهَكَ الْمَازِي فِي أَرْجِ النَّدَى

وهو في البيت الأول يُشبه فرسان جيش الممدوح وهي تمتطي الخيول النشيطة، بالأسود، العوابس: أي الكريهات المنظر من أثر الحرب والجهد. ويُشبه ما يلبسوه من مغافر مسرودة بلبد الأسود، أما في البيت الثاني، فيقول: إن لهذا الجيش رائحة متغيرة، كرائحة صدا المازي - أي الدروع الحديد - مما يلبسوه من دروع ومغافر.

٦٠ - المبهمة:

المُبْهَمَةُ: هي الدرع التي لا تستبين فيها أطراف حلقها، وقد ورد ذكرها في قول الحصين بن حمام المري (؟ - ١٠٠ ق. هـ) ^(٢):

صَفَائِحُ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مُبْهَمًا

وقول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ) ^(٣):

فِيهِ الرِّمَاحُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَذَلَاءَ مُبْهَمَةٍ مِنْ صَنْعِ سَلَامٍ

جدير بالذكر أن لعمر بن معدى كرب (١٠٠ - ٢١١ ق. هـ) بيتين يقول فيهما ^(٤):

وَلَوْ أَبْصَرْتَ مَا جَمَعْتُ تَ فَوْقَ الْوَرْدِ تَزْدَهْدُهُ

رَأَيْتَ مُفَاضَةً زَغْفَا وَتَرَكَا مُبْهَمًا سَرْدَةً

والتَّرك كما سيمر بنا - جمع تريقة وتركة، وهي البيضة أو الخوذة، وهي لا

(١) السعالي: ج السلعة، وهي أنثى الغول يشبهون بها الخيل في النشاط والخفة:

(٢) المفضليات، ص ٦٦؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٠٢.

(٣) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.

(٤) ديوان عمرو بن معدى كرب، ص ٩٠.

تكون مسروودة، بل ما يُسرد هو المغفر الذي يكون أسفل البيضة، أو التسبغة التي تدور حولها من أسفل، وهو ما قصده الشاعر، فكلاهما -المغفر والتسبغة- يُسردان من حلق كالدروع.

٦١- المَسْرُودَةُ:

قال الرازي: دِرْعٌ مَسْرُودَةٌ وَمُسَرَّدَةٌ بِالتَّشْدِيدِ: فَقِيلَ سَرَدُهَا نَسْجُهَا وَهُوَ تَدَاخُلُ الْحَلَقِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ. وَقِيلَ السَّرْدُ الثَّقَبُ وَالْمَسْرُودَةُ الْمُثْقُوبَةُ^(١)، وَسُمِّيَ سَرْدًا لِأَنَّهُ يُثْقَبُ طَرَفَا كُلِّ حَلْقَةٍ بِالْمَسْمَارِ فَذَلِكَ الْحَلْقُ الْمِسْرَدُ. وَالْمِسْرَدُ: هُوَ الْمُثْقَبُ^(٢).
وقد ورد ذكر الدروع المسروودة في قول امرئ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ)^(٣):

وَمَسْرُودَةُ النَّسْجِ مَوْضُونَةٌ تَضَاعَلُ فِي الطِّيِّ كَالْمِبْرَدِ
تَفِيضُ عَلَى الْمَرْءِ أُرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْآتِيِّ عَلَى الْجُنْدِ

وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ)^(٤):

إِذَا أَخَذُوا أَذْرَاعَهُمْ فَتَسَرَّبَلُوا مُقَلَّصَ مَسْرُودَاتِهَا وَمَذَالِهَا

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢ هـ)^(٥):

لَبَسُوا الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ مُظَاهَرًا حَتَّى الْيَلَامِقُ وَالْدُرُوعُ سَوَاءٌ^(٦)
وَتَقَنَعُوا الْفُؤْلَادَ حَتَّى الْمَقْلَةُ النَّجْدُ سَلَاءٌ فِيهَا الْمَقْلَةُ الْخُوصَاءُ^(٧)

(١) الرازي، ص ٢٩٣، ٢٩٤؛ وراجع، ابن سيده، ج ٢، السقر السادس، ص ٤٤.

(٢) ابن منظور، مج ٣، ص ٢٦٠.

(٣) النويري، السقر السادس، ص ٢٤٣.

(٤) ديوان كثير عزة، ص ٢٢٩.

(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص ١٦.

(٦) مظاهراً: أي الواحد منه فوق الآخر. اليلامق: ج يلمق: القباء المحشو.

(٧) المقلة النجلاء: العين الواسعة الحسنة. الخوصاء: الضيقة

وبعد بيت آخر يقول:

من كل مسرود الدخارص فوقه حُبْكُ ومصقول عليه هباء^(١)

وقول ظافر الحداد (؟ - ٥٢٩ هـ) ^(٢):

وخطية سُمُر وبيض صوارم مسرودة زَغْف ومقربة جُرْد

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) ^(٣):

هُمُ الْأَسْدُ يَلْقَوْنَ الْوَقَائِعَ حُسْرًا وَهَلْ يَلْبَسُ الْأَسْدُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا

وقول ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧ هـ) ^(٤):

في آلة البأسِ والأَيامِ بِاسِمَةٍ. فَإِنْ شَكَّتْ فَسَلْ مَسْرُودَةَ الشَّكَاكِ^(٥)

٦٢ - المضاعفة:

تضاعف الشيء: أي صار ضعف ما كان، والدرع العادي يُنسج من حلق مركب في بعضه حلقة حلقة، ورغبة في إحكامها وشدة منعها، تُنسج حلقتين حلقتين، ومن ثم فقد ضُوِّعَ حلقها^(٦)، قال حبيب بن أوس الطائي (؟ - ؟) ^(٧):

فزعوا إلى الحلقِ المضاعفِ وارتدوا فيها حديدًا في الشؤون حديدًا

وقد ورد ذكر الدروع المضاعفة لدى كثير من الشعراء، ومنهم الجُمَيْحُ (؟ -

٥٣٠ ق. هـ)، وذلك في قوله^(٨):

(١) الدخارص: ج دخريص، وهو ما يصل به بدن الدرع توسيعًا. الحبك: الخطوط. الهباء: الغبار.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص ١١٧.

(٣) ديوان الأبيوردي، ج ٢، ص ١٤٤.

(٤) ديوان ابن قلاقس، ص ١٦١.

(٥) الآلة: الحربة والمراد الشدة. الشكة: السلاح.

(٦) راجع، الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٠٦؛ ابن منظور، مج ٩، ص ٢٤٦.

(٧) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٥٢.

(٨) المفضليات، ص ٤٢.

مُدْرَعًا رِيْطَةً مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ وَفِي سَرَاهُ الرَّهْمُ^(١)

والريطة: هي الملاءة، وأراد بها هنا الدرع. والمعنى: إنه لا لبس درعاً مضاعفة -نسجت حلقتين حلقتين- تشبه وسط النهي -أي الغدير- حين يُمتلأ بالماء وتضربه الرياح؛ فتبدو فيه طرائق وصفاء تشبه به الدروع.
وقول قيس بن الخطيم الأوسي (؟- ٢٠ق. هـ)^(٢):

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ، لَبِستُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الْأَنَامِلَ رِيْعُهَا، كَأَن قَتِيرَهَا عِيُونُ الْجَنَادِبِ^(٣)

والمقصود بثوب المحارب الدرع، وهي ها هنا: درع مضاعفة، أي ضوعف حلقتها ونسجت حلقتين حلقتين، وتتميز هذه الدرع بطول كميها: حيث تغطي الأنامل، كما أن قتيورها -أي مساميرها- تشبه عيون الجراد.
وقول ليبيد (؟- ٤١هـ) يرثي النعمان بن المنذر^(٤):

وَمَا نَسَجَتْ أَسْرَادُ دَاوُدَ وَابْنِهِ مُضَاعَفَةً مِنْ نَسْجِهِ إِذْ يُقَابِلُ
وَكَانَتْ تُرَاثًا مِنْهُمَا لِمُحَرَّقِي طَحُونٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهَا الْأَعَابِلُ
إِذَا مَا اجْتَلَاهَا مَازِقٌ وَتَزَايَلَتْ وَأَحْكَمَ أَضْغَانُ الْقَتِيرِ الْغَلَايِلُ
أَوْتُ لِلشَّيَاحِ وَاهْتَدَى لَصَلِيلِهَا كَتَائِبُ خُضْرٍ لَيْسَ فِيهِنَّ نَاكِلُ

وقول حسان بن ثابت (؟- ٥٤هـ) يوم بدر (٢هـ)^(٥):

قَتَلْنَا ابْنِي رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارَا إِلَيْنَا فِي مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ

وقول كعب بن مالك (؟- ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ)^(٦):

(١) سراه: وسطه. الرهم: ج رهمة: المطر الضعيفة الدائمة. وفته الرهم: أي ملأته.

(٢) القرشي، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) ريع الدرع: فضول كميها على أطراف الأنامل.

(٤) ديوان ليبيد، ص ١٣٥.

(٥) ابن هشام، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٢٧؛ وانظر، ابن هشام ج ٣، ص ١٥٧.

يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّةً وبمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابٍ
وقول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ) (١):

وَكُلُّ مُقَاضِيَةٍ جَذَلَاءَ زَغْفٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَبْيَضَ مَشْرِقِي
وقوله كذلك (٢):

يَمْشُونَ فِي نَسِجِ دَاوُدَ مُضَاعَفَةٍ بَزَلٍ طَلَى أَدَمَهَا بِالزَّفْتِ طَالِيهَا
وقول النابغة الجعدي (٥٤ ق. هـ / ٥٥ هـ) (٣):

وَنَهْتَهُ حَتَّى لَبَسَتْ مُقَاضِيَةً مُضَاعَفَةٍ كَالنَّهْيِ رِيحَ، وَأَمْطَرَا
وقول صريع الغواني (؟ - ٢٠٨ هـ) في مدح يزيد بن يزيد (٤):

تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعِ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ (٥)
وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) (٦):

وَدُرُوعٌ قَدْ ضَوْعِفَتِ النِّسْجُ مِنْهَا وَتَنَاهَى فِي سِرْدِهَا التَّقْدِيرَ
كَصَغَارِ الْهَاءَاتِ شُقَّتْ فَأَبْدَتْ شَكْلَهَا مِنْ صُفُوفِ جَيْشِ سَطُورِ

٦٣ - الْمُقْلَصَةُ:

قال ابن منظور: القالص من الثياب المُشَمَّرُ القصير. وقلصت قميصي:

(١) ديوان الحطيئة، ص ١٨٠.

(٢) ديوان الحطيئة، ص ٢٨٣.

(٣) القرشي، ص ٢٧٨.

(٤) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، المتوفى سنة ٢٠٨ هـ، تحقيق، سامي الدهان، سلسلة ذخائر العرب، العدد (٢٦)، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص ١٢.

(٥) كلمة "يدعى" وردت في قراءة أخرى "يؤتى". انظر، ابن قتيبة، ص ٥٧١.

(٦) ديوان ابن حمديس، ص ٢٤٧.

شمرته ورفعته، قال الشاعر:

سراج الدجى حلت بسهل، وأعطيت نعيمًا وتقليصًا بدرع المناطق

ثم أورد حديث عائشة رضي الله عنها: أنها رأت على سعد درعًا مقلصة أي مجتمعة منضمة. ثم ذكر أنه يُقال: قلّصت الدرع وتقلّصت، وأكثر ما يقال فيما يكون إلى فوق^(١).

وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر هذه الدرع في قول كثير عزة (٤٠) - ١٠٥ هـ^(٢):

إذا أخذوا أذراعهم فتسربلوا مقلّص مسروداتها ومذالها

والمعنى: إذا أخذ فرسانك الدروع للحرب قصيرها وطويلها ...

٦٤ - المُفَاضَةُ وَالْفَيُوضُ:

المُفَاضَةُ من الدُرْع: الواسِعة^(٣)، ويُقال: درع مُفَاضَةٌ وفَيُوضٌ وفَاضٌ: أي واسعة^(٤) فضفاضة^(٥)، أو سابغة^(٦)، قال الشاعر^(٧):

يَحْبُوك بِالزَّغَفِ الْفَيُوضُ عَلَى هِمَيَاتِهَا وَالْأُذْمُ كَالْغَرَسِ

وعن هذه الدرع أورد النويري قول ثعلب (؟ - ؟)^(٨):

فَنَهَتْهُ حَتَّى لَبِستَ مُفَاضَةً دِلَاصًا كَلونِ النَّهْيِ رِيحَ وَأَمْطَرًا

(١) ابن منظور، مج ٧، ص ٨٩.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ٢٢٩.

(٣) الفيروز آبادي، ج ١، ص ٨٨١.

(٤) ابن منظور، مج ٧، ص ٢٣٩.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣١٠.

(٦) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٦١.

(٧) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٨) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٢.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣٠ ق. هـ) (١):

وَمُفَاضَةٌ كَالنَّهْيِ تَسِجُهُ الصَّبَا بِيَضَاءَ كَفَتْ فَضْلَهَا بِمُهْتَدٍ (٢)

وفي هذا البيت يُشبه الشاعر المفاضة: الدرع، بالنهي: أي الغدير في صفائها، ويشبه دوائر حلقات زرد هذه الدرع بما تحدثه الريح من فقائيع دائرة بالغدير.

وقول الأعشى (؟ - ٧٠ هـ) يصف جيشاً ويقول عن دروعهم (٣):

سَوَابِغُهُمْ بِيَضٍ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِنْ أَلْبِيضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَاتُ رِيحٍ مُفَاضَةٌ وَأَسْهَلُ مِنْهُ عُصْبَةٌ فَأُطَلَّتْ

وقد سبقت الإشارة إلى أنه يقول في البيت الأول: وكانت دروعهم طويلة تغطي جسداهم، ببيضاء، خفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم ببيض - خوذات - لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم. أما في البيت الثاني فيقول: وأقفرت حومة الوغى من كل شيء، إلا الدروع المفاضة - أي الفضفاضة - مبعثرة هنا وهناك، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبهاً بالقتال.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١١ هـ) (٤):

عَلَيَّ مُفَاضَةٌ كَالنَّهْيِ - فِي أَخْلَصِ مَاءِهِ جَدْدُهُ
تَرْدُ الرُّمَحِ مُمْتَنِي - سِنَانٍ عَوَائِرًا قِصْدُهُ

أي: وألبس درعاً واسعة، صافية كماء الغدير على الأرض الصلبة، وهي ترد الرمح منكسراً سنانه خاسئاً عن قصده.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٥.

(٢) كفت: جمعت. فضلها: ما زاد منها.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣١١.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٨٨.

كما قال أيضاً^(١):

ولو أبصرت ما جمعت فوق الورد تزدهدة
رأيت مفاضة زغفا وتركاً مبهما سرده

وقال كذلك^(٢):

وكل مفاضة بيضاء زغف وكل معاود الغارات يخلي

وقال كذلك^(٣):

ومفاضة كالنهي محكمة من صنع داود أبي سلم

كما قال أيضاً^(٤):

وسعت نساوهم بكل مفاضة جدلاء سابعة وبالأبدان

وله ذلك قصيدة نظمها في قيس بن مكشوح المرادي، حين خالفه عمرو
وقدم على الرسول وأسلم، منها^(٥):

تمناني على فرس عليّ مفاضة كالنهي
عليه جالساً أسده
في أخلص مائة جدده^(٦)
ناني عوائراً قصده
ت ليثاً فوقه لبده
فلو لاقيتني للقي

وقال الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ)^(٧):

وكل مفاضة جدلاء زغف مضاعفة وأبيض مشرفي

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٠.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٥.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٦٤.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٧٣.

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٨٧، ٨٨؛ ابن هشام، ج ٤، ص ١٤٧.

(٦) الجدد: الأرض الصلبة.

(٧) ديوان الحطيئة، ص ١٨٠.

ويفخر جرير (٣٣ - ١١٤هـ) بفرسان قومه، ويقول^(١):

عَلَيْهِمْ مُقَاضَاتُ الْحَدِيدِ كَأَنَّهَا أَضَا يَوْمَ دَجَنٍ فِي أَجَالِيدٍ ضَحَضَحُ^(٢)

ويفخر بهم في قصيدة أخرى ويقول^(٣):

عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاضِي كُلِّ مُقَاضَةٍ دِلَاصٍ لَهَا ذَيْلٌ حَصِنٌ وَرَقْرَفٌ

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٤):

أَجَلَبُوا تَحْتَ غَايَةِ مِنْ قَنَا الْخَطِّ وَزَغَفٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُقَاضٍ

وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧هـ)^(٥):

وَمَلَكِي بَقَايَا مَا وَهَبْتُ: مُقَاضَةً، وَرُمُحٌ، وَسَيْفٌ قَاطِعٌ، وَحِصَانٌ

٦٥- الْمُهْلَةُ:

قال ابن سيده: الْمُهْلَةُ: الدُّرُوعُ وَالْجَوْشَنُ - من السِّلَاحِ^(٦).

٦٦- الْمَوْضُونَةُ:

قال ابن سيده: الْمَوْضُونَةُ: الْمَنْسُوجَةُ، وعن ابن دريد: هي الْمَنْسُوجَةُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ وَضَمَّتِ الشَّيْءَ وَضَمًّا: تَنَبَّتَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ^(٧)، وفي المحيط: الْمَوْضُونَةُ: الدِّرْعُ الْمَنْسُوجَةُ، أَوْ الْمُقَارِبَةُ النَّسِجِ. أَوْ الْمَنْسُوجَةُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ، أَوْ بِالْجَوَاهِرِ^(٨)، بينما لم يزد الزمخشري عن القول: درع موضونة: منسوجة

(١) ديوان جرير، ص ٨٨.

(٢) الأجلد: ج جلد، وهي الأراضي الصلبة المستوية.

(٣) ديوان جرير، ص ٢٩٦.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٤٤٤.

(٥) ديوان أبي فراس، ص ٣٣٢.

(٦) ابن سيده، ج ٢، ص ٤٥.

(٧) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٨) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٦٢٦.

حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ^(١)، أي مُضَاعَة، قال تعالى ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾^(٢)، أي مضاعفة النسيج أو الضفر.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول امرئ القيس (٢٣٠ - ٨٠ ق. هـ) يصف درعاً، ويقول^(٣):

وَمَشْدُودَةُ السَّكِّ مَوْضُونَةٌ تَضَاعُلُ فِي الطِّيِّ كَالْمِبْرَدِ
تَفِيضُ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْآتِي عَلَى الْجُنْدِ

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشطر الأول في البيت الأول ورد في قراءة أخرى "وَمَسْرُودَةُ النَّسْجِ مَوْضُونَةٌ"، والسك: المسمار، قال الزمخشري: درع مشدودة السك وهو مسمارها^(٤).

وقول بشامة بن عمرو (? - ١٤ ق. هـ)^(٥):

وَحَشُّوا الْحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحًا طَوَالًا وَخِيَلًا فُحُولًا
وَمِنْ نَسْجِ دَاوُودَ مَوْضُونَةٌ تَرَى لِلْقَوَاضِبِ فِيهَا صِلًا

أي ويلبسون دروعاً محكمة من نسيج داود - وهي دروع موضونة: أي منسوجة من حلقتين حلقتين، لوقع السيوف عليها صليلاً.

وقول أبو قيس بن الأسَلَتِ الأنصاري (? - ١ هـ)^(٦):

(١) الزمخشري، ج ٢، ص ٥١٤.

(٢) سورة الواقعة: الآية ١٥.

(٣) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص ٦٤٥. جدير بالذكر أنه اختلف في هذا الشعر، فقليل أيضاً إنه لعمر بن معدى كرب. راجع، ديوان عمرو بن معدى كرب، ص ٢٠٠.

(٤) الزمخشري، ج ١، ص ٤٥١.

(٥) المفضليات، ص ٥٩.

(٦) المفضليات، ص ٢٨٤. وقد وردت هذه الأبيات في رواية أخرى مع تقديم وتأخير، واختلاف في بعض الكلمات. انظر، القرشي، ص ٢٣٤.

أَعَدَدْتُ لِلْأَعْدَاءِ مَوْضُونَةً فَضْفَاضَةً كَالنَّهْيِ بِالْقَاعِ
أَحْفَزُهَا عَنِّي بِذِي رَوْتَقٍ مُهَنَّدٍ كَالْمِلْحِ قَطَّاعٍ

يقول الشاعر في البيت الأول: وقد أعددت لملاقاة الأعداء درعاً موضونة - نسجت حلقتين حلقتين - فضفاضة - واسعة - تشبه في صفائها الماء الذي في الغدير. أما في البيت الثاني، فيقول: أدفع هذه الدرع عني بسيف مهند كالملاح في صفائه. وهو في ذلك يُشير إلى قول الأصمعي بأن العرب كانت تعمل في أغماد سيوفها شبيهاً بالكلاب - وهو الخطاف - فإذا ثقلت الدرع رفعها من أسفلها فجعلها بالكلاب لتخف عليه^(١).

وقول الأعشى (؟ - ٧هـ) يصف درعاً^(٢):

وَبَيِّضَاءٍ كَالنَّهْيِ مَوْضُونَةً لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَنْبِ الْبَدَنِ

وللأعشى كذلك قصيدة تضمنت أبياتاً يصف فيها ما يُعدُّ من سلاح للحرب، ويقول^(٣):

وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورًا
وَمِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تَسَاقُ مَعَ الْحَيِّ عِيرًا فَعِيرًا
إِذَا ارْتَحَمَتْ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيبِ قَى حَتَّ التَّزَاحُمِ مِنْهَا الْقَتِيرَا
لَهَا جَرَسٌ كَحَقِيفِ الْحَصَا دِ صَادِقٍ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا
وَجَاوَاءٌ تَتَعَبُ أَبْطَالَهَا كَمَا أَتَعَبَ السَّابِقُونَ الْكَسِيرَا

ويُشير الشاعر في أول هذين البيتين إلى أنه قد أعددت للحرب عدتها - أوزارها - من رماح وخيول. ودروع محكمة من نسج داود - أي محكمة - موضونة: أي منسوجة نسجاً مضاعفاً، وهي كثيرة؛ تحمل فوق الجمال عيراً من

(١) المفضليات، ح ٧، ص ٢٨٤.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٧٥.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٤٩.

ورائها غير. ثم يقول في البيت الثالث: وإذا ازدحمت هذه الدروع في المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رؤوس المسامير التي تربط حلقاتها. ثم يقول في البيت الرابع: فتسمع لها صوتًا كحفيف الحصاد حين تهزه الريح في سكون الليل. ويقول في البيت الخامس: وإذا نازل أبطال الحرب هذه الكتيبة الكثيفة الجمع، وقد تراكم فوق رجالها الدروع، حتى لا ترى فيها إلا سوادًا، أتعبتهم، كما يتعب الجواد السابق الجواد الأعرج إذا جرى معه مسابقًا.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧هـ) ^(١):

حشوها على الأعداء بالبيض والقنا وبالزرد الموضون، والضمر الجرد

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧هـ) ^(٢):

تَضْفُو عَلَيْهِمْ أَدْرُعٌ مَوْضُونَةٌ يَرْتَدُّ عَنْهَا السَّيْفُ مَقْلُولُ الشِّبَا
مُشَبَّكَاتٌ حَلَقًا كَأَنَّهَا مَسْرُودَةٌ بِأَعْيُنٍ مِنَ الدَّبَى

أي: ويلبس هؤلاء الفرسان دروعًا موضونة، لا يتمكن السيف من النيل منها، وهذه الدروع ذات الحلقات المشبكة، تبدو كأنها مسرودة بأعين الدبى: أي الجراد الصغير.

٦٧- النثرة والنثلة:

النثرة والنثلة: هي الدروع الواسعة ^(٣)، وقال الزمخشري: وأخذ درعًا فنثرها على نفسه: صبها، ومنها: النثرة وهي الدرع السلسلة الملبس ^(٤)، وفي اللسان: النثرة: الدرع السلسلة الملبس، وقيل: هي الدرع الواسعة. ونثر درعه عليه: صبها، ويقال للدرع: نثرة ونثلة. قال شمر في كتابه في السلاح: النثرة والنثلة

(١) ديوان ابن حمديس، ص ١٥٢.

(٢) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٦٢٤.

(٣) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٤) الزمخشري، ج ٢، ص ٤٢٠، ٤٢١.

اسم من أسماء الذرع، وهي المنثولة، وأنشد^(١):

وضاعف من فوقها نثرة، ترد القواضب عنها قلولا

وقال ابن شميل: النثل الأذراع، يقال نثلها عليه ونثلها عنه أي خلعها. ونثلها عليه إذا لبسها. قال الجوهري: يقال نثر درعه عنه إذا ألقاها عنه، قال: ولا يقال نثلها. وفي حديث أم زرع: ويميس في حلق النثرة. قال: هي ما لطف من الدروع، أي يتبختر في حلق الذرع، وهو ما لطف منها^(٢).

وقد ورد ذكر هذه الذرع وأوصاف لها، وذلك في قصيدة لزهير بن أبي سلمى (٣ - ١٣ ق. هـ) يمدح أحد الأشخاص ويقول عنه^(٣):

فلما تبالج ما فوقه أناخ فشن عليه الشليلا
وضاعف من فوقها نثرة ترد القواضب عنها قلولا
مضاعفة كأضاة المسيل تغطي على قدميه فضولا

ويقول في البيت الأول: فعندما أضاء له الصباح، أناخ الإبل، وصب عليه درعه، أي لبسها. ويقول في البيت الثاني: ثم لبس فوق درعه هذه درعا - نثرة - أخرى، لا تستطيع القواضب - السيوف - النيل منها، فتُرد عنها مثمة، أي: مكسرة حدودها. ويقول في البيت الثالث: فهي درع مضاعفة: أي نسجت حلقتين حلقتين، وهي تشبه في صفاتها الأضاءة: أي الغدير، إنها درع واسعة طويلة - سابغة - تسترسل فضولها فتغطي على قدمي لابسها.

كما ورد ذكر هذه الذرع في قول أوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ)^(٤):

وبيضاء زغف نثلة سلمية لها رقرق فوق الأنامل مرسلة

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب. وهو لزهير بن أبي سلمى كما سنثبت عليه.

(٢) ابن منظور، مج ٥، ص ٢٢٦.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٥٣.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص ٩٦.

وقول سعد بن مالك بن ضبيعة (؟ - ٩٥ ق. هـ) (١):

وَالنَّثْرَةُ الْخَصْدَاءُ وَالـ سَبِيضُ الْمَكَلِّ وَالرَّمَاخُ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٢):

وَكَانَ الشَّلِيلَ وَالنَّثْرَةَ الْخَصْنَ دَاءَ مِنْهُ عَلَى سَكِيلٍ غَرِيفٍ

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) (٣):

مِنْ كُلِّ مَشْبُوحِ الْأَشَاجِعِ، سَاحِبٍ فِي الرَّوْعِ ذَيْلَ النَّثْرِ الْخَصْدَاءِ (٤)

ويقول الشاعر: -وحوث هذه الكتيبة- فرسانا شدادا أقوياء، تراهم يسحبون دروعهم النثرة: الواسعة. الخصداء: المحكمة.

وقوله كذلك (٥):

فَالنَّثْرَةُ الْخَصْدَاءُ لَمْ تَسْنُهَا إِلَّا عَلَى عَبْلِ الذَّرَاعِ بِاسِلٍ

كما قال أبو عبد الله محمد بن الفخار (؟ - ٥٣٩ هـ) (٦):

أَلَا إِنَّ دِرْعِي نِثْرَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَسِيفِي صَدَقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِ

٦٨ - الْيَلْبُ:

قيل: هي جلود تلبس بمنزلة الدرع، تُعرف بالدرع اليمانية. وفي رواية أخرى: إنها جلود يُخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرأس كالبيضة. وفي رواية ثالثة: إنها الدرق أو البيض التي تُتخذ من جلود الإبل أو الفولاذ من

(١) ديوان الحارث بن حلزة، ص ٨٤.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٣٠٨.

(٣) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ١٣٦.

(٤) الأشاجع: هي العروق على ظهر الكف، وغلظها دليل قوة.

(٥) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٤٩٦.

(٦) الحجاري، ج ١، ص ٤٣٢.

الحديد^(١). وقال أبو عبيدة: هي جلود تُعمل منها دروعٌ فتُلْبَس وليست بترسة^(٢). وهناك إشارة تُفيد أن اليلْب: درع يمانية، قال بعضهم: هي من الحديد، وقال آخرون: تُتخذ من جلود الإبل^(٣).

وقد تعرض ابن منظور لكل الآراء السابقة، وزاد قول الجوهري: اليلْب: كل ما كان من جُتْنِ الجلود ولم يكن من الحديد^(٤). والأكيد لدينا أن اليلْب كانت تُطلق على نوع من الدروع، وكذا على نوع من الترسة، وفيما يتعلق بكونها من الدروع، يتضح في قول عمرو بن كلثوم (؟ - ٣٩٩ ق. هـ)^(٥):

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِي، وَأَسْيَافٌ يَقْمَنَ وَيَنْحَتِينَا

أي: ونضع على رؤوسنا خوذاً، ونلبس على أجسامنا دروعاً، ونحمل في أيادينا سيوفاً يقمن وينحنين لطول الضراب بها.

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟ - ١٣ هـ) - أحد مشركي قريش - يوم الخندق (٥٥ هـ)^(٦):

تَرَى الْأَبْدَانِ فِيهَا مُسْتَبَغَاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا

وقول السيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣ هـ) في قصيدة رثاء للحسين (رضي)، مشيراً إلى جيش بني أمية، بقوله^(٧):

فَغَدُوا لَهُ وَالسَّابِغَاتِ عَلَيْهِمَ وَالْمَشْرِفِيَّةِ

(١) مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥٨؛ وراجع، الفيروز آبادي، ج ١، ص ٢٣٩؛ ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ٣، ص ٥٤.

(٢) ابن سلام، ص ٢٤١.

(٣) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ح ٤، ص ٧٥.

(٤) ابن منظور، مج ١، ص ٩٥٢.

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٦٦؛ القرشي، ص ١٤٥؛ شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٧٥.

(٦) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٩٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٥٤.

(٧) ديوان السيد الحميري، ص ١٨٠.

والْبَيْضِ وَالْيَلْبِ الْيَمَا نِي وَالطَّوَالِ السَّمْهَرِيَّة

كما ورد ذكر هذه الدروع في قصيدة للمتنبى، نظمها يرثي أخت سيف الدولة؛
التي توفيت سنة (٣٥٢هـ) ^(١):

مَسْرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرُقُهَا . وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

والمعنى: إن البيض -الخوذ- والدروع -اليلب- يتحسران بسبب تركها
لبسهم لأنها من ملابس الرجال، والطيب يسر باستعمالها له واستعار لهما قلوبا.
وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي بعد
فتحه لحلب ^(٢):

أَتَى إِلَيْهَا يَقُودُ الْبَحْرَ مُلْتَطِمًا . وَالْبَيْضُ كَالْمَوْجِ وَالْبَيْضَاتُ كَالْحَبِّ

تَبْدُو الْفَوَارِسُ مِنْهُ فِي سَوَابِغِهَا . بَيْنَ النَّقِيزِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبٍ

مُسْتَلْثِمِينَ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ حَفِظُوا . عَوَائِدَ الْحَرْبِ لاسْتَغْنَوْا عَنِ الْيَلْبِ

* * *

وجميع أنواع الدروع السابقة - كما تبين - كانت معروفة قبل الإسلام،
واستمرت بعد ذلك عبر العصور الإسلامية المختلفة. وبالإضافة إلى الأنواع
السابقة، نشير إلى نوعين آخرين من الدروع، هما:

٦٩- الكراغند:

قال الطرسوسي: الكازغندات: هي مما استخرجها مولدي الأعراب، وهي
زرديات رفاع يكبس عليها ثياب قد بُسَطَ فوقها مُشَاقَّةٌ ^(٣) الحرير والمصطكا وتُكسى

(١) ديوان أبي الطيب المتنبى، ص ٤٥.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢.

(٣) المشاقة: هي ما بقي من الكتان والشعر ونحوه بعد المشق؛ وهو أن يجذب في مشقة وهي
شيء كالمشط حتى يخلص خالصه، يبقى فئاته وقشوره، فتلك المشاقة تصلح للقبس والحشو.

الطرسوسي، تحقيق، كارين صابر، ج ٣، ص ١٥٥.

بالثياب كالدباج أو غيرها، وتخط عليها وتحسن بالتنبيت بالحرير وغيره^(١).

وذكر "Dozy" أن الكزاغند: كلمة فارسية تشير إلى جاكيت محشو ومبطن بالقطن أو بالحرير، وأنه يستخدمها الجنود بدلاً من الدروع^(٢)، وهو قريب من تعريف "آدي شير" الذي قال "القزاكند - الكزاغند": هو الدرع ولباس الحرب مركب من "كز" أي "قز" و "آكند" أي محشو، وهو ثوب محشو قزاً وقطناً كان يلبسه الجند تحت الدرع^(٣).

ومن خلال التعريفات السابقة، ومما سوف يُشار إليه فيما بعد، فليس هناك مجال للشك في أن "الكزاغند" نوع من الدروع^(٤)، وأميل إلى تعريف الطرسوسي، بأنها زرديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بُسّط ... إلخ.

٧٠- جهاز آينة:

كلمة فارسية، تعني: المرايا الأربع، كانت تُطلق على نوع من الدروع ظهرت في إيران خلال القرن التاسع الهجري/ ١٥م، وهذه الدرع تتكون من أربع صفائح كبيرة من الحديد متصلة بواسطة مفصلات وإحدى هذه الصفائح لحماية الصدر والأخرى للظهر، بينما الاثنتان الباقيتان للجانبين، وفيهما ثقبان كبيران يخرج منهما الذراعان، وكثيراً ما كانت هذه الدرع تُبطن بالحرير ويلبس فوقها الزرد^(٥).

(١) تبصرة أرباب الألباب، تحقيق، كلود كاهن، ص ١٤.

(٢) Supplément, Tome Second, p. 462

(٣) السيد آدي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط ٢، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ١٢٥.

(٤) هناك إشارة تفيد بأن "الكزاغندات": دروع لوقاية الذراعين، كانت تُدفن بالزرد، وتغشى بالدباج أو القطن على عصر الفاطميين. مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٦٢.

(٥) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٢٨٦؛ بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، ص ٣٥، -

وبعد أن تناولنا أهم أسماء وصفات الدروع التي عُرفت عبر العصور الإسلامية، يهمننا الإشارة إلى أن المحاربين كانوا يحرصون على دخول الحروب وهم لابسين الدروع التامة أو الكاملة أو المركبة^(١)، وهي تكون مؤلفة من درع: لحماية البدن -وقد يكون معها جوشن لزيادة حماية منطقة الصدر^(٢)- وخوذة: وهي معدة تقي الرأس، وتُسمى البَيْضَة أو التريكة، وقد يكون من تحت هذه الخوذة -أي حول الرأس- شيء من الزرد ينسدل على العنق والأذنين وهو يُسمى: المغفر، أو يتصل بأسفلها -أي أسفل الخوذة- صفائح أو شيء من الزرد يكون كالرفرف يقي العنق والأذنين ويُسمى التَسْبِغَة^(٣). ثم إن هناك أجزاء أخرى تكون على هيئة صفائح، تتخذ لوقاية الساعدين^(٤)، والساقين، بل وفي بعض الأحيان كان يُحرص على وقاية الكفين^(٥)، والكتفين^(٦)، وربما القدمين كذلك^(٧).

جدير بالذكر أنه وصلنا ما يُفيد أن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي) كان له درع تامة، وكان لها ساقان كساقَي السراويل وما بينهما مرفوع مفتوح ثم تُربط

= لوحة ١١١. وللاستزادة عن هذه الدرع ونماذجها. انظر، ربيع حامد خليفة، ص. ص ١٨٦-١٨٨.

(١) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١١٣.
 (٢) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٨.
 (٣) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، اللوحات ٦٧، ٦٩، ١٠٦.

(٤) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٧.
 (٥) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ١، ص ٩٢، ٩٣؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ١٨٧.

(٦) انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٩.
 (٧) كان الخف يبطن بالزرد كذلك. انظر، عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢، ص ٢٢. وعن واقيات الأيدي والأرجل. راجع، حسين عليوه، السلاح المعدني، ص ٣١٣.

بشراكين - أي سَيرين - ويَصْرُ كعقدة السروال، وكان له مغفر من نحوها^(١).
كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كانت له سبع أدرع - سبقت الإشارة إلى كل منها في موضعها - هي: ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وقضة، والبتراء، والخرنق. كما وصلنا ما يُفيد أنه ﷺ كان له مغفر حديد يُقال له الموشح، وآخر يُقال له السبوغ أو ذو السبوغ، وهو الذي كان على رأسه الشريفة حين دخل مكة يوم الفتح، وقد ورد رسمه في بعض المصادر "السبوغ"، و "ذو السبوغ"^(٢)، غير أن الصحيح "السبوغ"، و "ذو السبوغ"، لِتَمَامِهَا وَسَعَتِهَا^(٣).

وإذا كانت الدراسة قد أفاضت في تناول الدروع التي استعملت لحماية أبدان المحاربين، فإهمنا كذلك الإشارة بشيء من التفصيل إلى ما استعملوه من الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية لحماية رؤوسهم ونقصد بها البيض أو الخوذ أو القلنسوات، وما يخص حماية الرقبة والأذنين، وهي المغفر، والتسبغة.

البيضة:

هي معدة كانت تستعمل لوقاية الرأس فقط، أي غير مزودة بزرد أو مدارئ من صفائح تقي الرقبة والأذنين، وتعرف البيضة كذلك باسم التَّرَكَّةُ، وهي المستديرة، وجمعها التَّرَكُّ والتَّرَائِكُ^(٤)، قال الأصمعي: والتَّرِيكَةُ: البيضة التي تركها الظليم ففَسَدَتْ. تركها أبوها ببلد قَفَرٍ، وهي بيضة النعامة^(٥). وكان يُشبه

(١) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٦٢.

(٢) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤.

(٣) ابن منظور، مج ٨، ص ٥١٥.

(٤) النويري، السفر السادس، ص ٢٤١؛ وراجع، ابن سلام، ص ٢٣٩.

(٥) عن بيض النعام الذي يتركه النعام في القفار. راجع، ديوان الأعشى الكبير، ص ١٣٨، ١٣٩؛

ديوان ذي الرمة، مج ٢، ص ٦.

البيض الذي على رؤوس الرجال من الحديد بها^(١). بمعنى أن الأصل في التريكة: بيضة النعامة - التريكة - فُشِبَت البيض التي على رؤوس الرجال بها.

وعلاوة على ذلك فتُعرف البيضة كذلك باسم جَمَاء غَفِير، ودَوَمَص، ورَبِيعَة، وعَرَمَة، وعِمَامَة، وَخَيْضَعَة^(٢)، وعن الأخيرة هذه قال الشاعر^(٣):

وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ

وقد وصلنا كثير من الإشارات عن البيض والترايك، ومن ذلك قول ابن قَمِيْنَة (١٧٩ - ٨٥ ق. هـ)^(٤):

كَأَنَّ سَنَا الْبَيْضِ فَوْقَ الْكُمَا ةٍ فِيهِ - الْمَصَابِيحُ تُخْبِي الذَّبَالَا^(٥)

أي: وكأن الضوء الساطع من البيض التي يلبسها المحاربون فوق رؤوسهم - فيه - المصابيح تطفئ الفتيلة التي تسرج في المصباح.

وقول امرئ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ)^(٦):

مُهْرَةٌ الْحَاسِرِ وَالْدَّارِعِ ذِي الْـ بَيْضَةِ الْمَلَسَاءِ وَالْحِنُوِ الْجَحْدِ^(٧)

والمعنى: إن هذه الناقة - التي شبهها بالمهرة - مهرة للحاسر: أي الذي لا سلاح معه، والدارع: أي لابس الدرع، ذي البيضة الملساء: أي لابس البيضة الملساء.

(١) ديوان العجاج، ص ١٢٣.

(٢) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ خزانة السلاح، ص ٥٩، وانظر، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦.

(٣) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦.

(٤) ديوان ابن قَمِيْنَة، ص ١٧٨.

(٥) الذبال: ج الذبالة؛ وهي الفتيلة التي تسرج في المصباح.

(٦) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص ٦٦٤.

(٧) الجحد: الصلب، يريد خشب الحنو.

وقول سعد بن مالك بن ضبيعة (؟ - ٩٥ ق. هـ) ^(١):

وَالنَّثْرَةُ الْخَصْدَاءُ وَالـ بَيِضُ الْمَكَلِّ وَالرَّمَاخُ

والبيض المكَل: أي البيض المسمرة بالمسامير.

وقول المتلمس الضبعي (؟ - ٤٣ ق. هـ) ^(٢):

وَالْبَيِضُ وَالزَّغْفُ الْمُضَا عَفَ سَرْدُهُ حَلَقٌ مُوْتَقٌ

وقول عمرو بن كلثوم (؟ - ٣٩ ق. هـ) في معلقته ^(٣):

لَيْسَتَلْبَنٌ أَبْدَانًا وَبَيِضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ

جدير بالذكر أن هناك رواية أخرى، استبدلت "في الحديد مُقَرَّنِينَ"، بـ "في الحديد مقتعيناً" ^(٤)، أي يضعون من أسفل البيض مغافر، لا تظهر منهم غير حلق العيون، كما أن كلمة "وبَيِضًا"، وردت في رواية أخرى "وبَيِضًا" وهي السيوف.

كما ورد ذكر البَيِضَةِ أيضًا في قول عمرو بن كلثوم ^(٥):

عَلَيْنَا الْبَيِضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِي، وَأَسْيَافٌ يَقْنُ وَيَنْحِنِينَا

وقول سلامة بن جندل (؟ - ٢٣ ق. هـ) ^(٦):

كَأَنَّ النَّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ، تَحْتَ الْحَدِيدِ، جَوَاحِمُ

والشاعر في هذا البيت، يُشَبِّه ببيض المحاربين على رؤوسهم ببيض النعام، وقوله: وَأَعْيُنُهُمْ، تَحْتَ الْحَدِيدِ، جَوَاحِمُ، إشارة إلى أنهم كانوا يلبسون تحت البيض مغافر، لا تظهر غير أعينهم الجواحم: أي المتوقدة كالنار.

(١) ديوان الحارث بن حلزة، ص ٨٤.

(٢) ديوان المتلمس الضبعي، ص ٢٤٧.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٦٨؛ شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٨١.

(٤) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ح ٣، ص ٨١.

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٦؛ القرشي، ص ١٤٥؛ شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٧٥.

(٦) ديوان سلامة بن جندل، ص ٢٤٧.

وقول بشر بن أبي خازم (؟ - ٢٢ ق. هـ) (١):

لَقِينَاهُمْ كَيْفَ نَعْلِيهِمْ بَوَاتِرَ يَفْرِينُ بَيْضًا وَهَامًا

أي: وحين تقابلنا مع الأعداء ضربناهم على رؤوسهم بالبواتر - السيوف - فقطعنا البيض والرؤوس التي تحتها.

وقول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣ ق. هـ) (٢):

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضَ إِذَا لَحَقُوا لَا يَتَكَصُّونَ إِذَا مَا اسْتَلْحَمُوا وَحَمُوا (٣)

وقول قيس بن الخطيم (؟ - ٢ ق. هـ) (٤):

صَبَحْنَاكُمْ بَيْضَاءَ يَبْرِقُ بَيْضُهَا

وقوله: يبرق بيضها، أي يلمع بيضها. أما قوله صبحناكم: أي أغرنا عليكم صباحًا. بيضاء: قال المحقق: لعله أراد كتيبة بيضاء بما تحمله من السيوف البيض (٥)، وربما كان الأمر كذلك، وربما كان إشارة إلى ما يلبسه فرسان هذه الكتيبة من دروع وبيض، من حديد أبيض.

وقول الشاعر الجاهلي أبو جدابة (؟ - ؟) (٦):

فَصَبْرًا إِلَى مَا تَدْنُ مِنَّا جُودُهُ وَتَلْبَسُ بَيْضًا لِلْوَغَى وَسَتُورًا

وقول ابن أبي الحقيق (؟ - ؟) (٧):

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٩٧.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٩٣.

(٣) حبيك البيض: طرائقه، الواحدة حبيكة. ينكصون: يتراجعون، ينهزمون. استلحموا: أدركوا. حموا: اشتد غضبهم، من حمى النار: اشتد لهيبها.

(٤) القرشي، ص ٢٢٩.

(٥) القرشي، ح ٨، ص ٢٢٩.

(٦) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٩٥.

(٧) ابن منظور، مع ١٢، ص ٦٣٠.

بِفَيْلَقٍ تُسْقِطُ الْأَخْبَالَ رُؤْيَتُهَا، مُسْتَلْتَمِي الْبَيْضِ مِنْ فَوْقِ السَّرَابِيلِ

وقول أبو قيس بن الأسلت الأنصاري (؟ - ١٠ هـ) ^(١):

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مَرًّا، وَتَحْبِسُهُ بِجَعَجَاعٍ ^(٢)

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ غَمَضًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ ^(٣)

ويقول في البيت الثاني: ومن كثرة مكوث البيضة على رأسي، أذهبت شعري ونثرته، ومن طول لبسها -وغيرها من السلاح- لا أنام إلا قليلاً.

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ) ^(٤):

عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ سَابِغَةٌ يُقَحِّمُونَ كَأَنَّ الْقَوْمَ فِي رَهَجٍ

وفي شرح هذا البيت، قال أبي بكر الأباري: البيض: جمع بيضة وهي المغفر وهي القردماني، وأنشد قول لبيد (؟ - ٤١ هـ) ^(٥):

فَخِمَّةٌ ذَفْرَاءَ تُرْتَى بِالْعُرَى قَرْدُمَانِيًّا وَتَرَكَا كَالْبَصَلِ

والحق أن ما بين يدي من مصادر لا يجعلني أميل إلى قوله بأن البيضة: هي المغفر، فالمغفر: هو الزرد الذي يكون على الرأس تحت البيضة. كما أن قوله: إن البيضة: هي القردماني، هو أمر صعب كذلك، إذ من المعروف أن القردماني: الدرع.

كما ورد ذكر البيض في قول الأعشى (؟ - ٧ هـ) يصف جيشاً ^(٦):

سَوَابِغُهُمْ بَيْضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِنَ الْبَيْضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ

(١) القرشي، ص ٢٣٤؛ المفضليات، ص ٢٨٤.

(٢) الجعجاع: المحبس في المكان الغليظ أو الضيق.

(٣) حصت: أحرقت. وأراد بالتهجاع النوم القليل، وهو في الأصل النوم مطلقاً.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٣٦.

(٥) ديوان لبيد، ص ١٤٦.

(٦) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣١١.

وقد سبقت الإشارة إلى أنه في هذا البيت يقول: وكانت دروعهم طويلة تغطي جسداهم، بيضاء ذات بريق - خفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بيض لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وورد ذكر التركة - وهي البيضة - لدى مزرد بن ضرار الذيباني (؟) - ١٠هـ)، فبعد أن وصف درع المحارب، يقول^(١):

وَتَسْبِغَةُ فِي تَرْكَةٍ حَمِيرِيَّةٍ دَلَامِصَةٌ تَرْفُضُ عَنْهَا الْجَنَادِلُ
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا مَصَابِيحُ رُهَبَانٍ زَهَّتْهَا الْقَتَادِلُ

والتسبغة: هي رفراف البيضة أو التركة، التي نسبها إلى حمير، وهي تركة دلامصة: أي براقعة من أجود الحديد، ترفض أن تتكسر وتتفرق عنها لصلابتها. وعندما تسقط أشعة الشمس على نواحي هذه التركة، تبدو كمصابيح رهبان مضيئة.

ونجد ذكر البيضة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ / ٢١هـ) يصف شخصاً، ويقول عنه^(٢):

لَهُ هَامَةٌ مَا تَأْكُلُ الْبَيْضُ أُمَّهَا

أي: له هامة عظيمة لا تحصها البيضة التي على رأسه.
وقوله أيضاً^(٣):

وَنَسْمَعُ لِلْهِنْدِيِّ فِي الْبَيْضِ رَتَّةً كَرَّتَةً أَبْكَارٍ زُفِفْنَ عَرَائِسا

وورد ذكر التريكة لديه في قوله^(٤):

وَلَوْ أَبْصَرْتَ مَا جَمَّفَ سَتٌ فَوْقَ الْوَرْدِ تَزْدَهْدُهُ

(١) الزمخشري، ج ١، ص ٤١٩؛ المفضليات، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٦٨.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٢٧.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٩٠.

رَأَيْتَ مَقَاضِيَهُ زَغَفَا وَتَرَكَأ مَبْهَمَا سَرَدَا

وقوله كذلك^(١):

وَتَرَكَأ لِلرُّؤُوسِ مُسَبَّغَاتٍ إِلَى الْغَايَاتِ مِنْ زَغَفٍ وَقَدْ

كما ورد ذكر البيض في قول ضرار بن الخطاب (? - ١٣ هـ) يوم أحد
(٣ هـ)^(٢):

سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ قَوَاتِسِ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةِ السَّرْدِ

أي: وانطلقنا إليهم بجيش استكمل فرساته عدة الحرب، فلبسوا البيض،
والدروع المحكمة النسج.

كما قال في اليوم نفسه^(٣):

بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا شَمَّ الْعَرَاتِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ لُذَاعِ

وقول عبد الله بن رواحة (? - ٨ هـ) في قصيدة يشجع المسلمين قبيل حرب
مؤتة (٨ هـ)^(٤):

بَذِي لَجِبَ كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَاتِسُهَا النُّجُومُ

وقول الحطيئة (? - ٤٥ هـ)^(٥):

فَصَتَّقُوا وَمَا ذِي الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ وَيَبْضُ كَأَوْلَادِ النَّعَامِ كَثِيفُ

أي: يلبسون دروعاً سهلة لينة، ويضعون على رؤوسهم ببيض. وقوله: إنها

(١) ديوان عمرو بن معدى كرب، ص ٩٦.

(٢) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٥١؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٩٣.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٦٩.

(٤) ابن هشام، ج ٤، ص ٧.

(٥) ديوان الحطيئة، ص ١٧٢.

كأولاد النعام: قال ابن السكيت: أراد كَبَيْضِ النعام، فلم يمكنه^(١).

وقول العجاج (٢- ٩٠ هـ)^(٢):

والهَامَ وَالْبَيْضَ انْتَقَفَ الحَنْظَلُ حَتَّى ارْقَانَّ النَّاسُ بِرَبِّهِ

ويقول الشاعر في هذا البيت: ^(٣)

ويُخْرِجُ دِمَاعَهَا، كَمَا

الضَّارِبِينَ زُحُوفًا يَسُومَ ذِي نَجَبٍ، فِيهَا الدَّرْعُ وَفِيهَا الْبَيْضُ وَالْغَابُ^(١)
وقول ذي الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧هـ)^(٢):

لَبِسْنَا لَهَا سَرْدًا كَانَ مَتُونَهَا عَلَى الْقَوْمِ فِي الْهَيْجَا مُتُونُ الْخَرَانِقِ
سَرَابِيلَ فِي الْأَبْدَانِ فَيَّةً صُدَاةً وَبَيْضًا كَبَيْضِ الْمُقْفَرَاتِ النَّقَاقِ

وبيض المقفرات: هي بيض النعام "المقفرات": اللواتي في القفر من الأرض.
وقد شبه بيض الفرسان المدرعين ببيض النعام.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧هـ)^(٣):

تَحْتَ الْعَجَاجَةِ إِذْ فِيهَا جَمَاجِمُهُمْ مِثْلَ الْقُرُودِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ تَتَّقَدُ

وورد ذكر التريكة في قول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ)^(٤):

جَلَّتْهُ بِشُعَاعِ رَأْسٍ، رَدَّهُ لُبْسُ التَّرَائِكِ لِلْهِيَاجِ صَلِيحًا

وورد ذكر البيضة في قول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦هـ)^(٥):

وَحَرْبٍ لَوْ أَنَّ اللَّهَ يَرْمِي بِجَمْرِهَا شَمَارِيخَ رَضْوَى زَكَرَتْهَا جُنُودُهَا^(٦)

يُسَعِّرُهَا أَبْطَالُهَا بِصَوَارِمٍ، وَيَقْلِقُ بَيْضَاتِ الْحَدِيدِ حَدِيدُهَا^(٧)

وجاء ذكر البيضة في قول تميم بن المعز (٣٣٧ - ٣٧٤هـ) في قصيدة
يمدح أخاه العزيز بالله ويذكر انتصاره على أفتكين في معركة بالشام، ويُشير إلى

(١) الزحوف: ج زحف، يريد الجيش الزاحف إلى العدو. ذو نجب: مكان، كان فيه يوم. الغاب: القنا شبهها بالغاب لكثرتها.

(٢) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص ١٤٥.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ٢٣٣.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٢٩٣.

(٥) ديوان ابن المعتز، ص ١٣٨.

(٦) رضوى: جبل.

(٧) يسعر: يلهب، يوقد. يقلق: يشق.

ملاح من هذه الحرب، حيث يقول^(١):

وقد وكفت في الصُّدُورِ الرِّمَاحُ وصلت لبِيضِ السيوفِ الطُّلى^(٢)
وغنت على البَيْضِ بِيضُ الذُّكُورِ غناءً يُعيد الفرادى ثُنا^(٣)

كما نجد ذكر التريكة في قول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ)^(٤):

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا التَّرِيكَ لِحَادِثٍ غَطُّوا بِهِنَّ مَوَاقِعَ التَّيْجَانِ

وورد ذكر البيضة في قول ظافر الحداد (٥٢٩ هـ)^(٥):

سَلِ الْخَيْلَ وَالسُّمَرَ الذَّوَابِلَ وَالْوَعَى فرسانها والبِيضِ والبَيْضِ والزَّغَا

والبِيضُ: هي السيوف. أما البَيْضُ: فهي الجنن الحديد التي تقي الرؤوس.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) في قصيدة يمدح صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه لحلب^(٦):

أَتَى إِلَيْهَا يَقُودُ الْبَحْرَ مُتَطِمًّا والبِيضُ كالمَوْجِ والبَيْضَاتُ كالحَبِّ

تبدو الفوارسُ منه في سَوَابِغِهَا بين النقيضين من ماءٍ ومن لهبٍ

والبِيضُ: السيوف. والبَيْضَاتُ: الجنن الحديد التي تقي الرؤوس.

وله أيضًا قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين الأيوبي، أشار فيها إلى الأعداء وقال^(٧):

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله، ص ٩.

(٢) صلت: من الصليل، وهو صوت الحديد. الطلى: ج طلية، وهي العنق.

(٣) الذكور: ج ذكر، وهو من الحديد أبيسه.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) ديوان ظافر الحداد، ص ٢١٦.

(٦) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢.

(٧) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

تَرَى بَيَاضَهُمْ بَعْدَ اللَّقَاءِ كَأَنَّمَا أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ أَسْنَهُمُ الْقِسُّ قُدْسٌ^(١)

وله قصيدة في مدح الملك الأفضل بن صلاح الدين، منها قوله^(٢):

مَلَكٌ لَهُ الْبَيَاضُ تِيجَانٌ وَمَا بَرَحَتْ لَهُ السَّوَابِغُ فِي يَوْمِ الْوَعَى حُلَا

وأختم إشارتي إلى البيض منوهاً إلى أن أعلاها يُسمى القونس، الجمـ:
قونس، وهي كثيرة الذكر في الشعر العربي، وكان يُشار بها أحياناً كناية عن
البيضة كلها، قال الأخطل (١٩ - ٩٠هـ) مفتخرًا^(٣):

كُنَّا إِذَا الْجِبَارُ أَغْلَقَ بَابَهُ نَسِيرُ وَتَكْسُو الدَّارِعِينَ الْقَوَانِيسَا

وقال كثير عزة (٤٠ - ١٠٥هـ)^(٤):

وَذِي قَوْنَسٍ يَوْمًا شَكَتَ لُبَانَهُ بِذِي جُمَةٍ فِي عَامِلِ الرُّمَحِ لَهْزَمِ

أي: رب شجاع يحمي ببيضته طعنته في صدره برمحك النافذ فهو يتلوى

المَغْفَرُ وَالتَّسْفِغَةُ:

المَغْفَرُ، والمَغْفَرَةُ، والغِفَارَةُ: زَرَدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدُّرُوعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ يُلبَسُ
تَحْتَ الْقَنْسُوَّةِ^(٥) أَوِ الْخُوْذَةِ أَوِ الْبَيْضَةِ، وقيل: هو رَفْرَفُ الْبَيْضَةِ، وقيل: هو حَلَقٌ
يُنَقَّعُ بِهِ الْمُتَسَلِّحُ. قال ابن شميل: المَغْفَرُ حَلَقٌ يَجْعَلُهَا الرَّجُلُ أَسْفَلَ الْبَيْضَةِ تُسَبَّحُ
عَلَى الْعُنُقِ فَتَقِيهِ^(٦)، وكذا على الأَنْثَيْنِ، وربما غَطَّتْ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ الْوَجْهَ كُلَّهُ،
فَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا الْعَيْنَانِ، ويوصف لا بسها بأنه مُقَنَّعٌ^(٧)؛ قال طفيل الغنوي (؟) -

(١) القدس والقدسة: خشبة للبنائين يستعملونها في بناء القناطر وتُعرف بالكندجة.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢٤٢.

(٣) ديوان الأخطل، ص ١٦١.

(٤) ديوان كثير عزة، ص ٣٤١.

(٥) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٥.

(٦) ابن منظور، مج ٥، ص ٣٠.

(٧) النويري، السفر السادس، ص ٢٤١.

٣١٣ ق. هـ) بعد ذكره للخيول السريعة^(١):

تجيءُ بِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ عَوَابِثًا مُسَوِّمَةً تَرْدِي بِكُلِّ مُقْتَعٍ

أي إن هذه الخيول تردى - ترمي - بفوارس مقتعين بالمغافر.

وإذا كان الشائع أن المغفر يلبس على الرأس أسفل الخوذة، فقد يكتفى به أحياناً - فيلبس بدون الخوذة، قال علي بن أبي طالب (رضي) (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ)^(٢):

أضربُ بالسيفِ على المغافرِ مع النبي المصطفى المهاجر

وقد أفاض ابن منظور في تعريف التسبغة، حيث قال: وَتَسْبِغَةُ الْبَيْضَةِ: مَا تُوَصَّلُ بِهِ الْبَيْضَةُ مِنْ حَلَقِ الدَّرُوعِ فَتَسْتُرُ الْعُنُقَ لِأَنَّ الْبَيْضَةَ بِه تَسْبِغُ، وَلَوْلَاهُ لَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَنْبِ الدَّرْعِ خَلْلٌ وَعُورَةٌ. قال الأصمعي: يُقَالُ بَيْضَةٌ لَهَا سَابِغٌ، وَقَالَ النَّضْرُ: تَسْبِغُ الْبَيْضُ رُفُوفُهَا مِنَ الزَّرْدِ أَسْفَلَ الْبَيْضَةِ يَاقِي بِهَا الرَّجُلُ عُنُقَهُ، وَيُقَالُ لَذَلِكَ الْمَغْفَرِ أَيْضًا، وَأَنشَدَ قَوْلُ أَبُو وَجْزَةَ (؟ - ١٣٠ هـ) فِي التَّسْبِغَةِ^(٣):

وَتَسْبِغَةٌ يَغْشَى الْمَنَاكِبَ رِيْعُهَا لِدَاوُدَ كَانَتْ نَسْجُهَا لَمْ يُهْلَهْلِ

ثم قال: وفي حديث قَتْلِ أَبِي بَنٍ خَلْفَ: زَجَلَهُ بِالْحَرْبَةِ فَتَقَعُ فِي تَرْقُوتِهِ تَحْتَ تَسْبِغَةِ الْبَيْضَةِ؛ التَّسْبِغَةُ: شَيْءٌ مِنْ حَلَقِ الدَّرُوعِ وَالزَّرْدِ يَغْلُقُ بِالْخُوذَةِ دَائِرًا مَعَهَا لِيَسْتُرَ الرِّقْبَةَ وَجَنْبَ الدَّرْعِ. وفي حديث أبي عبيدة (رضي): إِنَّ زَرْدَتَيْنِ مِنْ زَرْدِ التَّسْبِغَةِ نَشِبَتَا فِي خَدِ النَّبِيِّ ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ^(٤).

(١) ديوان طفيل الغنوي، ص ٧٤.

(٢) ديوان الإمام علي، ص ٥٢.

(٣) شعر أبي وجزة السعدي، (... - ١٣٠ هـ)، جمع ودراسة، وليد محمد السراقبي، المجمع

الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠ م، ص ١٥٨. وانظر، الزمخشري، ج ١، ص ٤٢٠.

(٤) ابن منظور، مج ٨، ص ٥١٤، ٥١٥. وعن التسبغة. انظر أيضاً، الفيروز آبادي، ج ٢،

ص ١٠٤٦.

ومن خلال ما تقدم يُمكن القول: إن التسبغة والمغفر من حيث الشكل والوظيفة متقاربين، غير أن المغفر يكون على الرأس أسفل البيضة، بينما التسبغة تُعلق أسفل البيضة، فتكون لها كالرفرف. قال الزمخشري: وسالت تسبغته على سابغته وهي رفر ف البيضة، وأنشد لمُزرد بن ضرار الذبياتي (؟) - ١٠هـ) (١):

وتَسْبِغَةٌ فِي تَرْكَةِ حِمِيرِيَّةٍ دَلَامِصَةٌ يَرْفُضُ عَنْهَا الْجَنَادِلُ

على أية حال فلدينا كثير من الإشارات الصريحة إلى المغفر والتسبغة، كما أن لدينا إشارات تُشير إلى المحاربين المقتنعين، وهي تدل على أنهم يلبسون مغافر لا تظهر غير عيونهم.

وقد ورد ذكر المغفر في قول مهلهل بن ربيعة (؟ - ٩٤ ق. هـ) (٢):

وَالْمَشْرِقِيَّةُ لَا تُعَرِّجُ عَنْهُمْ ضَرْبًا يَقْدُ مَغَافِرًا وَدَرُوعًا

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟ - ؟) (٣):

عَتَاكَ مِنْهَا لَأَمَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمِغْفَرُ

وقول أمية بن أبي الصلت (؟ - ٥٥ هـ) (٤):

لَا يَضْجَرُونَ وَإِنْ حُرَّتْ مَغَافِرُهُمْ وَلَا تَرَى مِنْهُمْ فِي الطَّعْنِ مِيَالًا

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ) (٥):

وَهُمْ يَضْرِبُونَ غَدَاةَ الصَّبَا حِ أَنْفَ الْمُدَجَّجِ ذِي الْمِغْفَرِ

(١) الزمخشري، ج ١، ص ٤١٩.

(٢) دوان مهلهل بن ربيعة، ص ٤٨.

(٣) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٧٠.

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص ١٧٦.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٦٧.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ / ٢١١هـ) (١):

لَمَّا انْتَمَى لِأَبِيهِ شَدَّ بِصَارِمٍ يَقْرِي الْجَمَاجِمَ تَحْتَ زَرْدِ الْمَغْفَرِ

وقول أبو ذؤيب الهذلي (؟ - ٢٧هـ) (٢):

وَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَاتِهِ مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الْحَدِيدَ مُقْتَعٌ

حَمِيَتْ عَلَيْهِ الدَّرْعُ، حَتَّى وَجْهَهُ مِنْ حَرِّهَا، يَوْمَ الْكَرْيَةِ، أَسْفَعُ

ويتحدث الشاعر في البيت الأول عن مصرع البطل الفارس الكامل السلاح.

ويقول: إن الدهر لا يبقى نوائبه لابس حلق الحديد - الدرع - مقتع: أي لابس

المغفر. ويقول في البيت الثاني: ويوم الكريهة - الحرب - حميت عليه الدرع -

حتى أن وجهه - أسفع - اسود من حرها.

وقول الأسود بن عمرو بن كلثوم (؟ - ؟) (٣):

وَحَيٌّ إِذَا مَا أَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ بِشَهَابٍ فِيهَا حَاسِرٌ وَمُقْتَعٌ

وقول لبيد (؟ - ٤١هـ) (٤):

قَذَبَ عَنْ بِلَادِهِ وَوَرَّعَا (٥)

وَحَابَسَ الْحَاسِرَ وَالْمُقْتَعَا (٦)

وقول الشاعر المخضرم متم بن نويرة (؟ - ؟) (٧):

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٢١.

(٢) المفضليات، ص ٤٢٧؛ القرشي، ص ٢٤٦.

(٣) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٨١.

(٤) ديوان لبيد، ص ٩٦.

(٥) ورع: كف ورد.

(٦) حابس: حبس.

(٧) القرشي، ص ٢٦٦. كلمة "تاكل" وردت في المفضليات، ص ٢٦٦: "بِرْه"، والبز: السلاح. وعن

متم بن نويرة. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٠، ٥١؛ ابن قتيبة،

ص ٢١٤.

وَلَا بِيكْهَامٍ نَاكِلٍ عَنْ عَدُوِّهِ إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقْتَنَعًا^(١)

وقول لقيم العبسي (؟ - ؟) في فتح خيبر (٧هـ) (٢):

ومهاجرين قد أعلموا سيماهم فوق المغافر لم ينوا الفرار

وقول عباس بن مرداس (؟ - ١٨هـ) يوم حنين (٨هـ) (٣):

كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقتنع

وقول علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٣ق. هـ / ٤٠هـ) (٤):

أضرب بالسيف على المغافر مع النبي المصطفى المهاجر

وقول حمزة بن مالك يوم صفين (٣٦هـ) (٥):

أنا الذي كنت إذا الداعي دعا مُصَنَّمًا بالسيف ندبًا أروعا

فأنزل المُسْتَنَلِمَ المُقْتَنَعَا وأقتل المُبَالِطَ السَّمِيدَعَا

وقول الأخطل (١٩ - ٩٠هـ) (٦):

وشهباء المغافر قارعتنا مملمة يلوذ بها القلول^(٧)

وقول ابن هاتي الأندلسي (٣٢٦ - ٣٦٢هـ) (٨):

لبسوا الحديد على الحديد مظاهرا حتى اليلامق والدروع سواء^(٩)

(١) الكهـام: الكليل. الناكل: الناكص، الجبان.

(٢) ابن هشام، ج ٣، ص ٢١٨.

(٣) ابن هشام، ج ٤، ص ٦٦.

(٤) ديوان الإمام علي، ص ٥٢.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص ٩٢.

(٦) ديوان الأخطل، ص ٢٢١.

(٧) قارع: ضرب بالسيف. القلول: الجموع المنهزمة.

(٨) ديوان ابن هاتي الأندلسي، ص ١٦.

(٩) مظاهرا: أي الواحد منه فوق الآخر. اليلامق: ج يلماق: القباء المحشو.

وتَقْتَعُوا الفولاذَ حتى المقلّة النَّجْـ سلاءُ فيها المقلّةُ الخوصاء^(١)

وقول قول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥ م)^(٢):

تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةَ عَلَى رُؤُوسِ بِلَا نَاسٍ مَغَافِرُهُ

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ)^(٣):

وَتَرَى الشُّجَاعَ يُدِيرُ فِي حَمْسٍ الْوَعَى حَذَقَ الشُّجَاعُ يَلْحَنَ تَحْتَ الْمَغْفَرِ

وقول ابن اللبّانة (؟ - ٥٠٧ هـ) في قصيدة يمدح المعتمد^(٤):

مَلِكٌ إِذَا عَقَدَ الْمَغْفَرَ لِلْوَعَى حَلَّ الْمُلُوكُ مَعَاقِدَ التَّيْجَانِ

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) في قصيدة يمدح صلاح الدين،

ذاكراً فيها قوة جيشه، وقال^(٥):

وَكَمْ فِيهِ مَنْ يَلْقَى الْكَمِّيَ مَقْتَعًا بِفَرْخَةٍ مِنْ يَلْقَى الْحَبِيبَ مُعَمَّمًا

وقول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥ - ٦٤٩ هـ) يمدح الوزير أبا عمر بن الجند

سنة (٦٤١ هـ)^(٦):

أَوْ هُذِبُ حَلَّتِهِ فِي السَّلْمِ يَلْبِسُهَا وَهَذِهِ فِي الْوَعَى سَرْدٌ يُدَرِّعُهُ

أَوْ تِلْكَ مَغْفَرٌ عَزِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَتِلْكَ تَاجٌ مَعَالِيهِ تُرَصِّعُهُ

وضح مما تقدم أننا نملك ثروة معلوماتية زاخرة لما كان يستعمله المقاتل

لحماية جسمه، مع الأخذ في عين الاعتبار أن الدراسة تتبعت أسماء وصفات

(١) المقلّة النجلاء: العين الواسعة الحسنّة. الخوصاء: الضيقة

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١٦٤.

(٣) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) الحجاري، ج ٢، ص ٤١١.

(٥) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

(٦) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص ٢٣٦.

الدروع، ولم تقف كثيرًا عند لفظة الدرع ذاتها، أو لفظة الدارع وما إلى ذلك، رغم شيوعهما إلى حد كبير في المصادر التي بين أيدينا، إذ وجدت أنه لا فائدة كبيرة من إشارة تفيد أن هذا المحارب كان لابسًا درعه، أو دخل الحرب وهو دارع. غير أنه لدينا كثير من النقاط الأخرى التي تحتاج إلى شيء من الاهتمام، فقد لاحظت أنه يُشار أحيانًا إلى الفارس الدارع، بالألفاظ أخرى غير ما تناولناه من أسماء الدروع وصفاتها، فيُقال: هذا فارس لابس الحديد، وذلك فارس كمي، وهذا فارس شاك سلاحه، والمقصود بذلك أنه لابس درعًا.

لابسو الحديد:

نطالع في كثير من المصادر الأدبية وغيرها الإشارة إلى المقاتلين لابسِي الحديد^(١)، فيُقال: مُقَنَع في الحديد، ومُستَلَم في الحديد، ومُذَجَج في الحديد، ومُكْفَهَر في السلاح -أي الحديد- ومتكتم في الشبكة -وهي الحديد^(٢)، أي أن الحديد مادة صناعة الجنن الواقية من دروع وبيض ومغافر، تُذكر عوضًا عن ذكر هذه الجنن.

فيصف السموأل (؟ - ٦٤ ق. هـ) فرسانًا يمتطون صهوات جيادهم في ساحة الوغى، ويقول^(٣):

حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَضَانُ بَرَقَ أَوْ شُعَاعُ شَمُوسٍ

والمعنى: إن هؤلاء الفرسان الأشاوس طال مقامهم وثباتهم يوم الوغى، فحمي عليهم الحديد الذي يلبسوه -دروع، وبيض، ومغافر- وقد لمع فبدا كأنه

(١) عن الحديد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ سورة الحديد: الآية

(٢) قدامة بن جعفر، أبي الفرج، جواهر الألفاظ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، سلسلة

الذخائر، العدد (١١٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٨.

(٣) ديوان السموأل، ص ١١٠.

ومضان البرق أو شعاع الشمس.

ويفخر عمرو بن كلثوم (؟ - ٣٩ ق. هـ) بقومه، ويقول^(١):

وَأَنَا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ يُوَارِينَا إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ

أي: ونحن لا يُماثلنا أو يقاومنا حي من قبيلة معد، إذا تُهيأ للحرب ولُبِسَ الحديد - الدروع، والبيض، والمغافر.

كما يفخر عبيد بن الأبرص (؟ - ٢٥ ق. هـ) بقومه ويقول^(٢):

تَمْشِي بِهِمْ أُنْمُ تَنْطُ نُسُوعُهَا خُوصٌ كَمَا يَمْشِي الْهَجَانُ الرَّبْرَبُ
وَهُمْ قَدْ اتَّخَذُوا الْحَدِيدَ حَقَائِبًا، وَخِلَالَهُمْ أُنْمُ الْمَرَائِلِ تُجْتَبُ

والمقصود بالحديد هنا: الدروع، التي اتخذوها حقائبًا: أي أحقبوها على الركائب التي وصفها في البيت الأول. جدير بالذكر أن للنابغة الذبياني (؟ - ١٨ ق. هـ) قصيدة، أشار فيها إلى جيش قادم يركب رجاله الإبل، ويقودون الخيل، وقال عنهم^(٣):

رَهْطُ ابْنِ كُوزٍ مُحَقِّبٍ أَذْرَاعِهِمْ^(٤)

كما أن له بيت آخر يقول فيه^(٥):

مُسْتَحَقِّبِي حَلَقِ الْمَازِي يَقْدُمُهُمْ شَمُّ الْعَرَائِينِ ضَرَابُونَ لِلْهَامِ

ويقصد بحلق المازي: الدروع المعروفة بالمازية، وهم هنا يستحقبونها، أي يحملوها في حقائب خلف ركائبهم.

وعن الدروع التي تُستحبب خلف الركائب، قال عبد الرحمن بن عُدَيْسٍ

(١) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٢٢؛ شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١١.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٣٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص ٥٥.

(٤) هط ابن كوز: من بني أسد.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص ٨٣.

البلوي حين سار إلى المدينة من مصر سنة (٣٥هـ) قاصدا عثمان بن عفان
عليه السلام (١):

أقبلن من بلبس والصعيد مُستَحَقَاتِ حَلَقِ الحَديدِ

وقول علي (رضي) في صفين (٣٦هـ) (٢):

مُجَنَّبِينَ الخيل بالقلاص مُستَحَقِّينَ حَلَقِ الدَّلَاصِ

ونستدل من هذه الإشارات أن المحاربين كانوا يجعلون دروعهم داخل حقائب
تحقب على الركائب، وأن هذه الدروع لم تكن تلبس إلا عند الحاجة لها.

وإذا عاودنا الحديث عن استعمال كلمة الحديد كإشارة إلى الدروع، فلغترة
ابن شداد (؟ - ٢٢٢ ق. هـ) قصيدة يفخر فيها بنفسه ويقول (٣):

لا يكتسي إلا الحديد إذا اكتسى وكذلك كل مغاورٍ مستتبسل (٤)

قد طالما لبس الحديد، فأنما صدأ الحديد بجلده لم يغسل (٥)

أي: وإذا اكتسى فإنه لا يكتسى سوى الحديد - دروع، وبيض، ومغافر -
وهكذا يفعل أولئك الذين يمتنون الإغارات، ويرمون بأنفسهم في الأهوال
والمخاطر.

وقول بشر بن أبي خازم (؟ - ٢٢٢ ق. هـ) (٦):

(١) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٢، ص ٦٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص ٧١.

(٣) ديوان عنتر، ص ٨١.

(٤) المغاور: الذي يمتن الإغارات. المستبسل: من يرمي نفسه في المهالك ومخاطر الأمور.

(٥) صدأ: ما يعلو الحديد من خبث، وهو تأكسده.

(٦) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت،

حلب، ١٩٩٥م، ص ٨٣. وعن بشر بن أبي خازم، انظر، ابن قتيبة، ص ١٦٨.

وَلَرُبَّ زَحْفٍ قَدْ سَمَوْتَ بِجَمْعِهِ فَلَيْسَتْهُ رَهْوًا بِأَرْعَنَ مُطْنِبٍ^(١)
بِالْقَوْمِ مُجْتَابِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ عَلَى لُحْقِ الْأَيَّاطِلِ شُرْبٍ^(٢)

وهو في البيت الأول يُشير إلى الجيش الزاحف للقاء العدو. أما في البيت الثاني، فيقول: إنهم وهم يمتطون صهوات جياده مرتدين الحديد -الدروع، والبيض، والمغافر- يبدون كالأسود.

وقول الشاعر الجاهلي كليب (؟ - ؟)^(٣):

إِذَا كَثُرَتْ قَرَابَتُكُمْ عَلَيْنَا بِأَحْلَاسِ الْحَدِيدِ مُلَبَّسِينَ

والأحلاس: جمع حِلَسٍ وحَلَسٍ، وهي الثياب، وطالما من حديد فيقصد بها هنا الدروع.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ ق. هـ / ٢١ هـ)^(٤):

فِيَوْمًا تَرَانَا فِي الْخَزْوِزِ نَجْرُهَا وَيَوْمًا تَرَانَا فِي الْحَدِيدِ عَوَّاسَا

والمعنى: إن لكل قول مقال، فعند السلم ترانا نتبختر مزهين في ثيابنا الثمينة المصنوعة من الخز، أما عند الحرب فترانا لابسين الحديد -الدروع، والبيض، والمغافر- متجهمي الوجوه.
وقوله أيضًا^(٥):

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ يَدَ تَتَمَرُّوا حَلَقًا وَقِدَا

(١) الرهو: يكون بمعنى الساكن والسريع، وكلاهما يصح به المعنى. الأرعن: الجيش العظيم له فضول كرعان الجبال. مطنب: بعيد الذهاب.

(٢) مجتابو الحديد: أي لابسوها، من اجتأب فلان ثوبًا إذا لبسه. الأياطل: ج الأيطل، وهو الخاصرة. لحق: ج لاحق، وفرس لاحق الأياطل: أي ضامر. الشُرْب: ج شازب، والفرس الشازب: الضامر.

(٣) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ١٣٣.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ١٢٦.

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص ٨٠.

أي: إنهم إذا لبسوا الدروع والقِدَدَ -أي دروع اليَلَب- تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، أو ربما يقصد: تلونوا بألوان النمر لطول ثباتهم وملازمتهم للحديد أي الدروع.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يبكي حمزة بن عبد المطلب قتيل يوم أحد (٣هـ)^(١):

وَتَرَاهُ يَرْقُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَتْنُ الْبِرَاثِنِ أُرِيدُ^(٢)

أي: وتراه في ساحة الوغى، يتبختر في درعه، كأنه أسد أريد -أي أغبر اللون- له لبدة، وأظافر غليظة.

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ) -أحد مشركي قريش- يوم أحد (٣هـ)^(٣):

غَدَاةَ لَقِينَاكُمْ فِي الْحَدِيدِ كَأَسَدِ الْبِرَاحِ، فَلَمْ تَعْنَجْ^(٤)

والمعنى: غداة واجهناكم، ونحن في دروع الحديد كأننا أسود نصول في أرض متسعة، ولا يعوقها عائق.

وقول كعب بن مالك يرثي أصحاب مؤتة (٨هـ)^(٥):

فمضوا أمام المسلمين كأنهم فتق عليهم الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول

(١) ديوان كعب بن مالك، ص ٣٧؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٨٨.

(٢) ذو لبدة: أي الأسد. شتن: أي غليظ. البراثن: هي للأسد بمنزلة الأصابع للإنسان. أريد: أي أغبر يخالط لونه سواد.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٤٩؛ ابن هشام، ج ٣، ص ٧٦.

(٤) البراح: المتسع من الأرض. لم تعنج: لم تكف، ولم تُصرف.

(٥) ابن هشام، ج ٤، ص ١٤.

وقول علي بن أبي طالب (٢٣ق. هـ - ٤٠هـ) (١):

سهامُ التبعِ ترمي عن قسيّ تبلغها إلى الغرض البعيدِ
تشقُّ إليه صفًا بعدَ صفٍّ وليسَ يهولُها عدَدُ الحديدِ
فتأخذُ روحهم فيها اغتصابًا ولو لبسوا الحديدَ على الحديدِ

وفي هذه الأبيات يصف ^ص سهام القسي، ويعطينا قوله في البيت الأخير، بأن هذه السهام لا محالة ستتال منهم، وستستلب أرواحهم حتى ولو أنهم لبسوا دروعًا فوق الدروع.

وقول الراعي النميري (٢- ٩٦ - ٩٧هـ) (٢):

فَقَوِّدُوا الْجِيَادَ الْمُسْتَفَاتِ وَأَحْقِبُوا عَلَى الْأَرْحَبِيَّاتِ الْحَدِيدَ الْمُقَطَّعَا

ويقصد بالحديد المقطع هاهنا: الدروع. والحديد المقطع بوجه عام: هو المتخذ سلاحًا. يُقال: قطعنا الحديد أي صنعناه دُرُوعًا وغيرها من السِّلَاح (٣).

وقول أبو وجزة السعدي (٤- ١٣٠هـ) (٤):

يَوْمَ تُنَادِي الْخَيْلُ بِالصَّعِيدِ كَأَنَّهُ فِي جَنَنِ الْحَدِيدِ

وقول أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ) في قصيدة يرثي ابنه أحمد (٥):

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالرُّمَحِ يَغْدُلُ صَدْرَهُ غَدَاةَ الطَّعَانِ لَهْزَمٌ وَكُغُوبٌ
يَقْضُ الْحَدِيدُ الْمُحْكَمَ النَّسْجَ حَدَّهُ وَيَبْذُو وَرَاءَ الْقَرْنِ وَهُوَ خَضِيبٌ

وقول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦هـ) (٦):

(١) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) ديوان الراعي النميري، ص ١٧٢.

(٣) ابن منظور، مج ٨، ص ٣٣٦.

(٤) شعر أبي وجزة السعدي ص ١٣٧.

(٥) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٤٥.

(٦) ديوان ابن المعتز، ص ٣١.

لَبَسُوا حُصُونًا مِنْ حَدِيدِهِمْ، صَبَارَةً لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
وقوله أيضًا^(١):

جاءهم بحرٌ حديدٌ، تحتَ أظلالِ بُنودٍ
فيه عِقبانُ خيولٍ فوقها أسدٌ حديدٌ

وقول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) مادحًا سيف الدولة لما ظفر ببني كلاب سنة
(٣٤٨هـ)^(٢):

رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ

والشاعر في هذا البيت جعل قومه بحرًا من حديد لكثرة لابسِي الدروع فيه،
وجعل سيرهم كعباب البحر أي موجه.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح صلاح الدين
الأيوبي، مشيرًا إلى جيشه^(٣):

لَهُ جَحْفَلٌ جَرٌّ الْقَنَا فَتَعَثَّرَتْ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَنْفَسُ
وَكُلُّ حِصَانٍ بِالْحَدِيدِ مَلْتَمٌ عَلَيْهِ كَمِيٌّ بِالْحَدِيدِ مَقْلَنَسُ

وله قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين، يهنئه بكسر الفرنج وملك بلاد
الشام، منها^(٤):

لَمْ تَلَقِ الْجِيوشَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ سَنَّاكَ لَأَقِيَّتَهُمْ بِلَادًا وَمُدُنًا
كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ الْحَدِيدَ لَهُ ثَوْبًا وَتَاجًا وَطَيْكَسَاتًا وَرِدْنًا

وفي البيت الأخير إشارة إلى أن جيوش الفرنجة كانوا مختفين في الحديد

(١) ديوان ابن المعتز، ص ١٥٤.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٤٤.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

(٤) ديوان ابن سناء الملك، ص ٣٤١.

تمامًا، فهم يلبسون دروعًا تغطي أبدانهم، وواقيات حول سواعدهم، ويضعون
خوذًا على رؤوسهم.

وله في مدح الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٩٥هـ) قصيدة،
أشار فيها إلى بطولاته عند الوغى، وقال^(١):

إِيَّاكَ فَاحْتَرَّ مِنْهُ إِمَامٌ فِي الْحَدِيدِ إِذَا اجْتَبَى أَوْ بِالْحُسَامِ إِذَا ارْتَدَى
كما أن له قصيدة نظمها يمدح الملك العادل أبي بكر ويهنته بسنة (٥٧٧هـ)،
واصفا جيشه ويقول^(٢):

وَمَا هُوَ جَيْشٌ مِثْلُ مَا يَزْعُمُ الْعَدَى وَلَكِنَّهُ بَحْرُ الْحَدِيدِ تَمُوجًا
وعلاوة على ما تقدم، فكثيرًا ما نقرأ عن الكتائب التي تبرق أو تضيء،
إشارة إلى البريق الذي ينجم عن حديدها، وربما يعتقد البعض أن في ذلك إشارة
فقط إلى السيوف التي يحملونها، غير أن البريق كان ينجم أيضًا من الحديد الذي
كانوا يلبسونه، وقد مر بنا في غير موضع ذكر الدروع والخوذ البراقة اللامعة.
على أية حال فقد ورد ذكر الكتائب ذات البريق في قول لبيد (؟ - ٤١هـ)^(٣):

بِكَتَائِبٍ تَرْدِي تَعَوَّدَ كَبْشُهَا نَطَحَ الْكِبَاشِ، كَأَنَّهُنَّ نُجُومُ
والمعنى: بكتائب تمشي الرديان، اعتاد كبيرها مواجهة الكبار. كأنهن نجوم:
أي كأن هذه الكتائب نجوم من شدة ما يبرق الحديد فيها.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠هـ) يصف كتيبة^(٤):

تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النَّجْوِ مِ رَجَاجَةٍ تُبْرِقُ النَّاطِرِينَا

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص ٩٧.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ٥٤.

(٣) ديوان لبيد ص ١٥٧.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٠٢.

أي: وتبدو هذه الكتيبة متألئة كتلألؤ النجوم، لامعة تبرق من ينظر إليها.
وقول كثير عزة (٤٠ - ١٠٥ هـ) (١):

إذا عَرَضْتَ شَهْبَاءُ خَطَارَةَ الْقَتَا تَرِيكَ السُّيُوفَ، هَزَّهَا وَاسْتَلَّهَا
وَالشَّهْبُ وَالشُّهْبَةُ: لَوْنُ بَيَاضٍ، يَصْدَعُهُ سَوَادٌ فِي خِلَالِهِ (٢)، وَيُقْصَدُ بِالشَّهْبَاءِ
فِي هَذَا الْبَيْتِ وَغَيْرِهِ مِمَّا وَرَدَ فِي الدِّرَاسَةِ: الْكُتَيْبَةُ، وَيُقَالُ كُتَيْبَةُ شَهْبَاءٍ: لَمَّا فِيهَا
مِنْ بَيَاضِ السِّلَاحِ وَالْحَدِيدِ، فِي حَالِ السَّوَادِ؛ وَقِيلَ هِيَ الْبَيِضَاءُ الصَّاقِيَةُ الْحَدِيدَ (٣).
وَالْمَعْنَى: إِذَا حَشَدْتَ لَكَ الْأَعْدَاءَ حَشُودَهَا بِالْكَتَائِبِ الشَّهْبَاءِ، أَيِ: الْمَدْجَجَةِ بِالْفُولَانِ
الْأَشْهَبِ، تَهْزُ أَمَامَكَ سَيُوفُهَا ...

وقول ابن ميادة (؟ - ١٤٩ هـ) (٤):

بملمومة كالطودِ شَهْبَاءُ فَيَلْقَى رَدَاحٍ يَصْمُ السَّامِعِينَ صَلِيلُهَا
أي: بكتيبة عظيمة مجتمعة كالجبل العظيم، شهباء لما فيها من بياض
السلاح، وهي كتيبة كثيرة الفرسان ثقيلة السير، إذا تحركت تسمع لها صوتاً
شديداً يصم صليله السامعين.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧ هـ) (٥):

لولا الخليفةُ أَنَا لَا نَخَالِفُهُ لَقَدْ دَلَفْنَا لِأَرْوَادٍ بِأَرْوَادٍ
حَتَّى تَرَوْنَا وَعَيْنُ الشَّمْسِ فَاتِرَةٌ فِي كَوْكَبِ كَشَعِ الشَّمْسِ وَقَادٍ
وَالْأَرْوَادُ هُمْ قَادَةُ الْجَيْشِ. وَكَوْكَبٌ: بَرِيقُ الْحَدِيدِ وَلَمْعَانِ الدَّرُوعِ.

(١) ديوان كثير عزة، ص ٢٢٩.

(٢) ابن منظور، مج ١، ص ٥٩٠.

(٣) ابن منظور، مج ١، ص ٥٩٠.

(٤) الجاحظ، ج ٤، ص ٣٩٤.

(٥) ديوان بشار بن برد، ص ٢٣٧.

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) ^(١):

بمُؤممة، تحت العجاج، مُضِيئة، تحوز الأعادي خُطفة من عقابها
والمؤممة هي الكتيبة المجموعة، مضية بما عليها من سلاح.

الكتائب الخضراء:

الكتائب الخضراء، يُقصد بها فرق الفرسان لابسِي الدروع، وقد ورد ذكرها
في قول النابغة الذبياني (؟ - ١٨ ق. هـ) ^(٢):

يَهْدِي كَتَائِبَ خُضْرًا لَيْسَ يَغْصِمُهَا إِلَّا ابْتِدَارٌ إِلَى مَوْتٍ بِإِلْجَامٍ
كما ورد ذكرها في قول الأعشى (؟ - ٧هـ) ^(٣):

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرَسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا ^(٤)
تَأْوِي طَوَائِفَهَا إِلَى مُخْضَرَةٍ مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الْكَمَاءُ نِزَالَهَا

وورد ذكر هذه الكتائب الخضراء أيضًا في قول بجير بن زهير (؟ - ؟) ^(٥):

ترتد حسرانا إلى رجراجة شهباء تلمع بالمنايا فيلق
ملمومة خُضراء لو قذفوا بها حصنًا لظل كأنه لم يُخلق

وقول حسان بن ثابت (؟ - ٥٤هـ) عن جيش المسلمين يوم بدر (٢هـ) ^(٦):

لما رأى بدرًا تسير جلاؤه بكتيبة خُضراء من بلخزج ^(٧)

(١) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ٣٥٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ٨٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٣.

(٤) الكتيبة الخرساء: هي التي لا يسمع لها صوت من وقارهم في الحرب، وقيل التي صمتت من كثرة الدروع.

(٥) ابن هشام، ج ٤، ص ٨١.

(٦) ابن هشام، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٧) الجلاه: ج جهلة، وهو ما استقبلك من عودة الوادي.

وإذا كان في الأمثلة السابقة إشارات مباشرة إلى أن اللون الأخضر كان لون دروع هذه الكتائب، فقد تكون الإشارة إليها بالتشبيه كقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟ - ؟) ^(١):

لا يَصْدِفُونَ عن الوَغَى بنُحُورهم في كلِّ سَابِغَةٍ كَلَوْنِ العِظْمِ

فالشاعر في هذا البيت يُشبه لون الدروع، بلون عصارة شجر "العظم" الذي يتميز بلون أخضر إلى الكدرة.

جدير بالذكر أن ابن هشام تطرق إلى "الكتيبة الخضراء" مفسراً معناها، وهو يعرض لفتح مكة (٨هـ) وإسلام أبي سفيان، حيث أشار إلى أن الرسول ﷺ طلب من العباس (رضي) أن يحبس أبا سفيان "بمضيقي الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها" ففعل العباس، ثم تم عرض الجيش على أبي سفيان "ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي وسليم، ... حتى مر رسول الله في كتيبته الخضراء".

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها. وأنشد قول الحارث بن حلزة اليشكري (؟ - ٥٤ هـ) ^(٢):

ثُمَّ حُجِرًا أُعْثِيَ ابْنُ أُمِّ قَطَامٍ وَكَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعني الكتيبة الخضراء. ثم أنشد بعد ذلك بيت حسان بن ثابت -المذكور عليه-. وذكر أن هذه الكتيبة كان فيها المهاجرون والأنصار ~~ولا يرى منهم~~ لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال -أبو سفيان: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة،... ^(٣).

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٣٢.

(٢) البيت في ديوان الحارث بن حلزة، ص ٥٠.

(٣) راجع، ابن هشام، ج ٤، ص ٢٧.

ويبدو أن وسم فرق الفرسان وهي لابسة الدروع بالكتيبة الخضراء يرجع إما لأن صداً حديد هذه الدروع ذو لون أخضر، أو لأن العرب كانت تُسمى الأسود أخضر، حيث إن اللون الأسود كان سمة للكتائب المدرعة، حتى أن النابغة الذبياني (؟ - ١٨٠ ق. هـ) شبه جيشاً بأنه:

كَاللَّيْلِ يَخْلُطُ أَصْرَامًا بِأَصْرَامِ

قال محقق الديوان: إن الشاعر شبه هذا الجيش بشدة سواد الليل، لأن الكتيبة تُوصف بالسواد لكثرة واسوداد سلاحها^(١)، من دروع وخوذ وغير ذلك. كما نجد الإشارة إلى سواد لون الدروع في معاني مختلفة، كقول الحطيئة (؟ - ٤٥ هـ)^(٢):

يَمْشُونَ فِي نَسْجِ دَاوُدَ مُضَاعَفَةٍ بَزَلٍ طَلَى أَدَمَهَا بِالزَّفْتِ طَالِيهَا

أي: ويمشون وهم لابسون دروعاً مضاعفة تُنسب إلى داود ~~بِالسَّيْفِ~~، كأنهم جمال مطلية بالزفت. قال ابن السكيت: شبههم في سواد الحديد كمن طلي بالزفت^(٣).

صداً الحديد:

ويُقصد به صداً حديد الدروع التي يلبسها المقاتلون، وقد وردت الإشارة إليه في قول النابغة الذبياني (؟ - ١٨٠ ق. هـ)^(٤):

سَهَكِينَ مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ، تَحْتَ السَّنَوْرِ، جَنَّةُ الْبَقَارِ^(٥)

والمعنى: إن فرسان هذا الجيش أتوك عليهم سهكة - وهي الرائحة المتغيرة -

(١) ديوان النابغة الذبياني، ح ٦، ص ٨٣.

(٢) ديوان الحطيئة، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) ديوان الحطيئة، ص ٢٨٢.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص ٥٦.

(٥) البقار: اسم رمل زعم أنه كثير الجن، وهو من أدنى بلاد طيء إلى بني فزارة.

موجودہ وقت کے لیے یہ سب سے زیادہ مناسب ہے۔

یہ سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

النفاق

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

(میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔)

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

نہیں

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

میں نے اس کے لیے سب سے زیادہ مناسب ہے۔

قول مهلهل بن ربيعة (؟ - ٩٤ ق. هـ) (١):

هُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ يَنْضَةُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْقَمَاءِ سَبَائِبُ
يَجْأَوَاءُ يَنْفِي وَرْدَهَا سَرَاعَتَهَا كَأَنَّ وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ

وقول زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣ ق. هـ) بعد إشارته إلى الفرسان الذين
يلبسون أنواع عدة من الدروع (٢):

فَاتَّبَعَهُمْ فَيَلَقَا كَالسَّرَابِ جِأَوَاءُ تَتَّبِعُ شُخْبًا ثَعُولًا (٣)

ففي هذا البيت يقول الشاعر: إن هذا الجيش كالسراب - للون الحديد
ولعمومها الأرض - جأواء: أي عليها صداً الحديد لكثرة لبس الدروع.

وقول الأعشى (؟ - ٧ هـ) (٤):

وَجِأَوَاءُ تَتَّعِبُ أَبْطَالَهَا كَمَا أَتَّعِبَ السَّابِقُونَ الْكَسِيرَا

أي: وإذا نازل أبطال الحرب هذه الكثيبة، وقد تراكم فوق رجالها الدروع
الجلأواء: حتى لا ترى فيها إلا سواداً - جراء صداً حديدتها - أتعبتهم، كما يتعب
الجواد السابق الجواد الأعرج إذا جرى معه مسابقاً.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يوم أحد (٣ هـ) (٥):

وَدَفَاعُ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفَرَاتِ تَقْدُمُ جِأَوَاءُ جَوْلًا طَحُونًا

أي: ورجال جيشنا كثيرو العدد يتقدمون مندفعين كموج الفرات، في كثيبة
جأواء تطحن أعداءها وتفتك بهم.

(١) ديوان مهلهل بن ربيعة، ص ١٠٧.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٥٤.

(٣) الشخب: خروج اللبن من خلف الناقة. الثعول: الذي يركب خلفها، خلف: أي ولد لها صغير.

يُريد القول: إن هذا الفيلق يجيء وله أمداد يزيد فيه ويقويه.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٢.

(٥) ديوان كعب بن مالك، ص ١٠٢.

وقوله يوم الخندق (هـ) (١):

وكتيبة يتفي القرآن قتيروها وترد حذ قواحر النشاب
جأوى مملمة كأن رماحها في كل مجمعة ضريمة غاب

ويقول في البيت الأول: إن هذه الكتيبة كانت محصنة بالدروع، التي ترد رؤوس مسامير حلقها السهام. وفي البيت الثاني يُشير إلى لون دروع هذه الكتيبة، المختلط فيها السواد بالاحمر - أي جأواء.

وقول السيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣ هـ) (٢):

أما الزبير فحاص حين بدت له جأواء تبرق في الحديد الأشهب (٣)

وإذا كانت "الجأواء" إشارة إلى صدأ حديد الدروع، فقد يُشار إلى لون هذا الصدا بمعان أخرى، كقول جرير (٣٣ - ١١٤ هـ) في قصيدة يهجو الأخطل (٤)، مفتخرًا بقومه (٥):

مضاعيب أمثال الهذيل رماحهم بها من دماء القوم خضب على خضب
ستعلم ما يغني الصليب إذا غدت كتائب قيس كالمهناة الحرب

فالشاعر في البيت الثاني يُشبه فرسان كتائب جيش قومه بالجمال الجربة لما عليها من دروع ذات صدا. وقد توصلت إلى هذا المعنى، من قول الزمخشري:

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٢٨.

(٢) ديوان السيد الحميري، ص ٣٦.

(٣) الزبير: يقصد به الزبير بن العوام. حاص: عدل وابتعد. الأشهب: الأبيض يتخلله سواد. ويؤخذ في عين الاعتبار أن هذا الشاعر كان شيعيًا، وهذا البيت ورد في قصيدة يمدح فيها سيدنا "علي" (رضي)، وفيه يتعرض للزبير بن العوام (رضي)، الذي خرج مع جيش السيدة عائشة (رضي) يوم الجمل.

(٤) عن الأخطل. انظر، ابن قتيبة، ص ٣٢٥.

(٥) ديوان جرير، ص ٥٤، ٥٥.

سيف أجرب إذا كثف الصدا عليه حتى يحمراً فلا ينقلع عنه إلا بالمسحل، قال الشاعر:

من القلعيّات لا مَحْدَثٌ كَلِيلٌ ولا طَبِيعٌ أَجْرَبُ^(١)

وعلاوة على ما تقدم فقد يُشار إلى صدا حديد الدروع برائحته لا بلونه، ومن ذلك قول قال لبيد (؟ - ٤١ هـ)^(٢):

فَخَمَّةٌ ذَفْرَاءُ تُرْتَى بِالْعُرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرْكًا كَالْبَصَلِ

وقوله ذفراء: أي متغيرة الرائحة، وفخمة: إما إشارة إلى الكتيبة أو الدرع. والمعنى: إن لهذه الكتيبة أو الدرع رائحة متغيرة، وهي رائحة صدا حديدها.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧ هـ) ما دخا روح بن حاتم^(٣):

يُطَبَّبُ ذَفْرَاءُ الدروعِ بِجِلْدِهِ

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) مائحا الأمير "علي بن يحيى" واصفاً جيشه^(٤):

وَأُسْدٌ عَلَى مِثْلِ السَّعَالِيِّ عَوَابِسٍ لَهَا لَبَدٌ مِنْ صَنْعَةِ الْحَلَقِ السَّرْدِ
كُفَاةٌ وَغَيْدٌ، أَهْدَتْ الرِّيحُ مِنْهَا لَنَا سَيْهَكَ الْمَاضِي فِي أَرْجِ النَّدَى

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشاعر في البيت الأول يُشبهه فرسان جيش الممدوح وهي تمتطي الخيول النشيطة، بالأسود، العوابس، أي: الكريهات المنظر من أثر الحرب والجهد. ويُشبه ما يلبسونه من مغافر مسرودة بلبد الأسود، أما في البيت الثاني، فيقول: إن لهذا الجيش رائحة متغيرة، وهي رائحة صدا حديد الدروع التي يلبسونها.

(١) الزمخشري: ج ١، ص ١١٥.

(٢) ديوان لبيد، ص ١٤٦.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ١٢١.

(٤) ديوان ابن حمديس، ص ١٤٩.

المدججون:

المدجج والمدجج: أي اللابس سلاحه التام. قال الليث: المدجج الفارس الذي قد تدجج في شِكَتِه أي شاكُّ السلاح، قال أي دخل في سلاحه كأنه تغطي به. وفي حديث وهب: خرج داود مدججاً في السلاح، أي عليه سلاح تام، سُمي به لأنه يدج أي يمشي رويداً لثقله؛ وقيل: لأنه يغطي به، من دججت السماء إذا تغيّمت^(١)، وقيل: المدجج: أي المظلم، لاختفائه في الدرع، ويقال: ددج الليل أي أظلم^(٢).

وقد وردت الإشارة إلى المدججين أي لابسِي السلاح التام في قول الشاعر الجاهلي عبد قيس بن خفاف (؟ - ؟)^(٣):

وسابغة من جِيادِ الدُرُوعِ عِ تَسْمَعُ للسَّيْفِ فيها صليلاً
كَماءِ الغديرِ زَفْتَهُ الدُّبُورُ يَجُرُّ المدججُ منها فُضُولاً

وقد سبقت الإشارة من قبل إلى الدروع السابغة، وأن الشاعر يُشبهها بماء الغدير، ويعني هنا أن الشاعر يُشير إلى أن المقاتل لابس السلاح التام، كان يجر فضول هذه الدرع السابغة أي الطويلة.

كما قال عنتر بن شداد (؟ - ٢٢ ق. هـ)^(٤):

وَمَدَجَجِ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمَعِنَ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمَ

أي: وفارس لابس سلاحه التام، خشي الكُماة ملاقاته، فهو لا يفر، ولا يلقي السلاح فيأسره العدو.

وقال عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ - ١١ هـ)^(٥):

(١) ابن منظور، مج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ح ٢٩، ص ٥٤.

(٣) المفضليات، ص ٣٨٦.

(٤) ديوان عنتر، ص ٢٣؛ القرشي، ص ١٦٧.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٦٧.

وَهُمْ يَضْرِبُونَ غَدَاةَ الصَّبَا حَ أَنْفَ الْمُدْحَجِ ذِي الْمَغْفَرِ
 أي: وعند الغارة يضربون أنف المدحج في سلاحه، اللابس المغفر مقتع فيه.
 كما قال ضرار بن الخطاب الفهري (٤- ١٣هـ) -أحد مشركي قريش- يوم
 الخندق (٥هـ) (١):

نُرَاوَهُمْ، وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِي السِّلَاحِ مُدْحَجِينَا
 أي: ونتقدم إليهم كل يوم في الغداة والرواح، وعلينا أسلحة تامة، من دروع
 وخوذ ومغافر وغير ذلك.

وقال علي بن أبي طالب (رضي) (٣٣ق. هـ - ٤٠هـ) في حرب صفين
 (٣٦هـ) حين برز إليه عمرو بن حسين السكسكي طالباً للمبارزة (٢):

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جُلْدٌ حَازِمٌ وَفِي يَمِينِي ذُو غَرَارٍ صَارِمٌ

وَعَنْ يَمِينِي مُدْحَجُ الْقِمَاقِمِ وَعَنْ يَسَارِي وَائِلُ الْخَضَارِمِ

وقال الأخطل (١٩ - ٩٠هـ) (٣):

وَلَقَدْ أَوْكَلُ بِالْمُدْحَجِ، تَتَقَى بِالسِّيْفِ، عُرَّتُهُ كَعْرَةَ أَجْرَبِ (٤)

يَسْعَى إِلَيَّ بِيَزَّهُ وَسِلَاحِهِ يَمْشِي بِشِكَّتِهِ كَمْشِي الْأَنْكَبِ (٥)

الْمُتَلَبِّبُونَ:

في اللسان (٦): الْمُتَلَبِّبُ: هو الذي تحزم بثوبه عند صدره. وكل من جمع ثوبه

(١) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص ٩١.

(٢) ديوان الإمام علي، ص ١٩.

(٣) ديوان الأخطل، ص ٣٦.

(٤) العرة: الأذى.

(٥) الأنكب: المائل المنحرف عن الطريق.

(٦) ابن منظور، مج ١، ص ٨٦٢.

متحزماً، فقد تلبب به، قال أبو ذؤيب (؟- ٢٧ هـ) (١):

ونميمة من قانصٍ متَلَبِّبٍ، في كفِّه جشٌّ أجشٌّ وأقْطَعُ

ومن هذا قيل للذي لبس السلاح وتَشَمَّرَ للقتال: مُتَلَبِّبٌ، ومنه قول المتنخل (٢):

واستلأموا وتَلَبَّيُوا، إِنَّ التَّلَبُّبَ للمُغِيرِ

وعن التلبب بمعنى لبس السلاح أيضاً قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ ق. هـ) (٣):

وأما يوم لا نخشى عليهم فنمعن غارةً متَلَبِّينَا

أي: وفي اليوم الذي لا نخشى فيه عليهم -أي على الأبناء والأهل- من أعدائنا، فإننا نمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا.

الكِماءُ:

الكِماءُ: جمع الكميّ، قال أبو العلاء المعري: الكميّ: الذي كَمَى نفسه بالسلاح أي سَتَرَهَا، وهو فعيل في معنى مفعول، وأصله مَكْمِيٌّ (٤). كما قيل: الكمي: هو الشجاع أو لابس السلاح، سُمِّيَ به لأنه كَمَى نفسه، أي سَتَرَهَا بالدرع والبيضة (٥) أو المغفر؛ وهو مثل المدجج والشاك (٦).

وقد ورد ذكر الكماء في قول ابن قميئة (١٧٩- ٨٥ ق. هـ) (٧):

كَأَنَّ سَنَا الْبَيْضِ فَوْقَ الْكِمَاةِ فِيهِ - الْمَصَابِيحُ تُخْبِي الذَّبَالَا

(١) عن أبي ذؤيب. انظر، ابن قتيبة، ص ٤٤٠.

(٢) عن المتنخل. انظر، ابن قتيبة، ص ٤٤٣.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٦١؛ القرشي، ص ١٤٣.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٥) ديوان المتلمس الضبعي، ح ٤، ص ٢٥٥.

(٦) ابن سلام، كتاب السلاح، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٧) ديوان ابن قميئة، ص ١٧٨.

وقول النابغة الذبياني (؟ - ١٨ ق. هـ) (١):

لِيَهْتِيْ بَنِي ذُبْيَانَ أَنْ بِلَادَهُمْ خَلَّتْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَوْلَى وَتَابِعِ
سِوَى أَسَدٍ يَحْمُونَهَا كُلَّ شَارِقٍ بِالْفَيْ كَمِيٍّ ذِي سِلَاحٍ وَدَارِعِ

وقول أوس بن حجر (٩٥ - ٢ ق. هـ) (٢):

لَمَّا رَأَوْكَ عَلَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ يَسْعَى بِبِزٍّ كَمِيٍّ غَيْرِ مِغْزَالٍ

والمعنى: ولما رأوك على فرس واسع الجوف، ساعياً بلباس كمي: أي مدجج في سلاحك من درع وخوذة، وغير أعزل: أي مصطحب سلاحك معك.

وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟ - ؟) (٣):

وَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ شَكَّكْنَا قَمِيصَهُ بِأَزْرَقٍ عَسَالٍ إِذَا هَزَّ عَامِلُهُ

والقميص ها هنا يعني درع هذا الفارس الكمي. ويريد الشاعر القول: وكـم من فارس مدجج في سلاحه خزقنا درعه برمح أزرق السنان.

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ / ١١ هـ) (٤):

بِالْبَاسِلِينَ مِنَ الْكُمَاةِ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ يَزِينُهَا السَّرْدُ

وقول علي بن أبي طالب (رضي) (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ) (٥):

وَأَحْزَمُ صَبْرًا حِينَ يَدْعَى إِلَى الْوَغَى إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الْكُمَاةِ نَغْمًا

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٨٦.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص ١٠٤.

(٣) ديوان ابن مقبل، ص ١٨٠.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٤٢؛ وانظر، ديوان امرئ القيس، مج ٢، ح ٦، ص ٤٨٤؛ ديوان

شعر المتلمس الضبعي، ح ٢، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) ديوان الإمام علي، ص ٢٣.

وقول أبو وجزة السعدي (؟ - ١٣٠ هـ) ^(١):

في خيل قَيْسٍ والكُماةِ الصَّيْدِ كالسَّيْفِ قَدْ سَلَّ مِنَ الْغُمُودِ

وقول البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) ^(٢):

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ، كَأَن مَّتُونَهَا، فِي كُلِّ مَغْرَكَةٍ، مَّتُونُ نِهَاءِ

بَيْضٍ تَسِيلُ، عَلَى الْكُماةِ، فَضُولُهَا سَيْلُ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ يَبِيدُ

وقوله أيضًا ^(٣):

أَيَّدُوا مَلَكَنَا، وَشَدَّوْا قَوَاهُ بِكُماةٍ، تَحْتَ السَّتُورِ، حُمَسِ

وقال كذلك ^(٤):

يَخْتَالُ فِي شَيْئَةٍ، يَمْوُجُ ضِيَاؤُهَا، مَوْجُ الْقَتِيرِ عَلَى الْكَمِيِّ الرَّامِحِ

كما قال الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) ^(٥):

يَطْوُونَ أَذْيَالَ الدُّرُوعِ كَأَنَّهُمْ أَسْدُ الشَّرَى، وَكَأَنَّهُنَّ إِضَاءُ

وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ الْوُجُوهِ كَأَنَّا تَحْتَ الْكُماةِ، إِذَا انْجَرَدْنَ، ضِرَاءُ

وقوله كذلك ^(٦):

وَإِذَا الْوَعْيُ حَذَرَ الْكُماةِ لِثَامَةٍ وَوَشَى بِسِرِّ الْمَشْرِفِيِّ صَلِيلٍ ^(٧)

وَرِمَاحُهُ تُوجِنُ مِنْ هَامِ الْعِدا وَلِخَيْلِهِ بِدِمَائِهِمْ تَنْعِيلُ

نُشِرَتْ رَفَارِفُ دِرْعِهِ عَنْ ضَيْغَمٍ يَحْمِي الْحَقِيقَةَ وَالْأَسِنَّةَ عَيْلٍ ^(٨)

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) في قصيدة يمدح فيها صلاح الدين

(١) شعر أبي وجزة السعدي، ص ١٣٦.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٣٨٤.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص ١٩٤.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٢٩١.

(٥) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٢٦٨.

(٦) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٥٣٩.

(٧) الوعي: مثل الوعي، وهو الجلبة والأصوات. الصليل: صوت السيف.

(٨) رفاف الدرع: أسافله. الحقيقة: ما يجب على المرء حفظه من الأهل والعيال.

الأيوبي^(١):

لَهْ جَحْفَلٌ جَرَّ الْقَنَا فَتَعَثَّرَتْ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَنْتَفُسُ
وَكُلُّ حِصَانٍ بِالْحَدِيدِ مَلْتَمٌ عَلَيْهِ كَيْمٌ بِالْحَدِيدِ مَقْلَنَسُ

وقوله في قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين، أشار فيها إلى قوة جيشه،
وقال^(٢):

وَكَمْ فِيهِ مَنْ يَلْقَى الْكَمِيَّ مَقْتَعًا بِفَرْحَةٍ مَنْ يَلْقَى الْحَبِيبَ مُعْتَمًا
وقوله في قصيدة يمدح فيها الملك العادل أبا بكر ويهينه بسنة (٥٧٧هـ)^(٣):

يَكْفُ كَمَا أَوْصَاهُ عَنْ كُلِّ حَاسِرٍ فَمَا يَنْتَهِي إِلَّا الْكَمِيَّ الْمَدْجَا

الشكاة:

الشاكُّ السلاح: مثل المدجج والكمي، وهو مأخوذ من الشِكة. والشاكي،
بالتخفيف، والشائك جميعاً ذو الشوكة والحد في سلاحه^(٤)، قال أبو العلاء
المعري: شاكي السلاح: كامله، وأنشد قول طريف بن تميم^(٥):

فَتَعَرَّفُونِي أَنِّي أَنَا نَلِكُمْ شِيَاكٍ سِلَاحِي فِي الْخَوَادِثِ مُعَلَّمٌ

وقد ورد ذكر الشكاة في قول زهير بن أبي سلمى (? - ١٣٠ ق. هـ)^(٦):

لَدِي أَسَدٌ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٌ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمْ^(٧)

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ص ٥٤.

(٤) ابن سلام، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، ج ٢، ص ١٤٧.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٨٤؛ القرشي، ص ١٠٩.

(٧) مقذف: الذي يقذف نفسه في الحروب.

والشاكى السلاح: هو المدجج تام السلاح، ويُشبهه هنا بالأسد، وكان ما يلبسه من حديد أو أسلحة دفاعية -خاصة على الرأس- كلبد الأسد، وما يحمله من أسلحة هجومية -كالسيف- هي براثن الأسد.

وقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟ - ؟) (١):

ودعا بني أمّ الرواع فأقبلوا عند اللقاء بكلّ شاكٍ معلّم (٢)

يمشون في حلق الحديد كما مشّت أسد الغريّف بكلّ نحسٍ مظلم (٣)

والشاعر في البيت الأول يشير إلى الفرسان المدججين في السلاح، والذين يعلمون أنفسهم في الحرب لفرط شجاعتهم. أما في البيت الثاني فهو يشبه هؤلاء الشجعان وهم يمشون في الدروع التي يلبسونها بالأسود.

وقول علي بن أبي طالب (٢٣ق. هـ - ٤٠هـ) في بعض أيام صفين (٣٦هـ) (٤):

شدّوا عليّ شكّي لا تنكشف بعد طليح والزبير فأتلف

وقول الحطيئة (؟ - ٤٥هـ)، بعد وصفه للفرسان المدججين بالدروع، إن أفراسهم (٥):

تمشي بشكّتهم شعثٌ مسومةٌ تحت الضبابيّة معقودٌ نواصيها

(١) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٢٣٢.

(٢) الروع، والرواع: الفزع. ولعله أراد بأم الرواع: الحرب.

(٣) الغريّف: الشجر الكثيف الملتف، النحس: الغبار، يُقال: هاج النحس، أي الغبار. ويعني أنهم يمشون في أمر جلل.

(٤) ديوان الإمام علي، ص ٢٣.

(٥) ديوان الحطيئة، ص ٢٨٣.

وقول الأخطل (١٩ - ٩٠ هـ) (١):

يَسْعَى إِلَى بِيْزِهِ وَسِلَاحِهِ يَمْشِي بِشِكَّتِهِ كَمْشِي الْأَنْكَبِ (٢)

أيهما الأحكم؟ ١:

لاحظت أثناء اطلاعي على كثير من الدواوين الشعرية، أن كثيراً من الشعراء يشيدون بأولئك الذين يدخلون الحروب وهم لا بسون دروعهم، غير أن بعض الشعراء كانوا يفخرون بأن ذاك البطل كان جسوراً مغواراً؛ حتى أنه يدخل الحرب غير لابس للدرع، وقد سجلت بعض الإشارات إلى ذلك في أثناء الدراسة، إلا أنني وجدت أنه من الأفضل أن أطرح هذه القضية بشيء من التفصيل، لنتبين أي الفريقين الأحكم، من يخوض غمار الحرب لابساً الدرع أم من لا يحرص على لبسها - لفرط شجاعته؟

وفيما يتعلق بالإشادة بشجاعة مقتحمي ساحات الوغى بغير دروع، نذكر قول البحري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٣):

صَنَادِيدُ، يَلْقَوْنَ الْأَسِنَّةَ حُسْرًا عَجَالًا وَيَخْشَوْنَ الْمَذَلَّةَ دُرْعًا

أي: وإنهم شجعان لا يهابون الموت، فيدخلون الحرب بلا دروع، غير مكترئين بأسنة الرماح، وهم يرون في لبس الدروع مذلة.

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ) (٤):

وَلَا يَرْتَضِي السَّرْدَ الدَّلَاصَ وَبَاسُهُ يُحَصِّنُهُ مَا لَا يُحَصِّنُهُ السَّرْدُ

أي: ويرفض لبس الدرع، فإنه يتوقى ببأسه؛ الذي يحميه عوضاً عن الدرع.

(١) ديوان الأخطل، ص ٣٦.

(٢) الأنكب: المائل المنحرف عن الطريق.

(٣) ديوان البحري، ط دار صادر، مج ٢، ص ٣٣٨.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٧١.

وقوله كذلك^(١):

وَيَرَى التَّوَقَّى بِالسَّتَوْرِ ذِلَّةً وَالدِّرْعُ يَكْرَهُهُ الْهَزْبُ الْأَرْوَعُ

أي: إنه شجاع مغوار، يدخل الحرب بلا درع، فهو يرى أن الاحتماء في الدروع ذلة، ويذكر أن الأسد لا يلبس درعاً.

وقول الأبيوردي (٤٥٧ - ٥٠٧ هـ) يمدح أحد السلاطين، واصفاً فرسان كتائبه بأنهم^(٢):

هُمْ الْأَسَدُ يَلْقَوْنَ الْوَقَائِعَ حُسْرًا وَهَلْ يَلْبَسُ الْأَسَدُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا

أي: إن هؤلاء الفرسان كالأسود، يقتحمون ساحات الوغى بلا دروع، هل رأيتم أسوداً تلبس دروعاً؟!

وقوله كذلك^(٣):

فَتَى الْحَيِّ يَأْتِي صُحْبَةَ الدَّرْعِ فِي الْوَغَى وَلَا تَكَلَّفُ الْأَرْمَاحُ إِلَّا بِحَاسِرٍ

أي: ومن فرط شجاعة هذا الفتى لا يعبا أن يخوض غمار الحرب وعليه درع.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) في قصيدة يمدح فيها الملك الأفضل (٥٨٢ - ٥٩٢ هـ)، ويقول عنه^(٤):

زَانَ السَّلَاحَ الَّذِي يَحْوِي وَشَرَفَهُ قَالْمَشْرِقِيُّ بَذَا سَمَّوَهُ وَالْيَزَنِيُّ
وَقَدْ بَكَتْ إِذْ قَلَّهَا كُلُّ سَابِغَةٍ فَشِدَّةُ الْبَاسِ تُغْنِيهِ عَنِ الْجُنِّ
يَعِزُّ لِلدَّرْعِ مَنْ قَرَّتْ شَجَاعَتُهُ وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ كَالْكَفَنِ

(١) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٣٥.

(٢) ديوان الأبيوردي، ج ٢، ص ١٤٤.

(٣) ديوان الأبيوردي، ج ١، ص ٤٧٠.

(٤) ديوان ابن سناء الملك، ص ٣٥٥.

أي: فشدة البأس تغني الممدوح عما يتخذ من جنن للوقاية، فالشجاع في غير حاجة للبس الدرع، فهو لبعض الناس كالكفن.

وأخيراً نذكر قول الأعشى (؟ - ٧هـ) في قصيدة يمدح قيس بن معدي كرب^(١):

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرَسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا
تَأْوِي طَوَائِفَهَا إِلَى مُخْضَرَّةٍ مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الْكُمَاةُ نِزَالَهَا
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ غَيْرَ لَابِسٍ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا

وفي هذه الأبيات يقول الشاعر: إذا أقبلت الكتيبة مجتمعة خرساء، تغشى رماحها العطاشُ الذائدين. وقد تراكم فوقها الحديد، فأوقعت الرعب في قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح. في ذلك الوقت تتقدم -أي الممدوح- مندفعاً لا تسترك درع، وتضرب بسيفك فيترك أثره في الفرسان^(٢).

جدير بالذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) كان معجباً بهذه الأبيات، حتى أن الأخطل كان يصفه في بعض قصائده بأنه يغشي الحرب مدججاً بالسلاح مثقلاً بالدروع، فقال له: هلا قلت كما قال الأعشى:

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... (الأبيات)

فأجاب الأخطل متخلصاً: وصدفتك بالحكمة، ووصف الأعشى ممدوحه بالتهور والحمق^(٣).

وقد وضحت حكمة لابس الدرع في قول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥ - ٦٩٤هـ)، يمدح الشيخ أبا فارس الفتح بن فارس ابن أبي حفص والي أشبيلية

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٣.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٢.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ٨٢.

سنة ٦٤٣ هـ (١):

تَهَشُّ إِلَى الْأَقْرَانِ حَتَّى كَانَمَا تُلَاقِي لَدَى الرَّوْعِ الْحَبَائِبَ لَا الْعِدَا
يَمِينًا لِأَنْتَ اللَّيْثُ لَوْلَا حَزَامَةٌ تُرِينَا بِعِطْفِيكَ الدَّلَاصَ الْمُسَرِّدَا

والمعنى: إنه كالليث في صفاته، لولا أن الحزم يُحتم عليه أن يلبس الدرع
المسرودة، فهو يلبس الدرع يفترق عن الأسد.

* * *

إن تاريخ استعمال الدروع عند العرب والمسلمين طويل، ومن المعروف أن
العرب قد اهتموا بأمر الدروع سواءً قبل الإسلام^(٢) أو بعده، وإن كانت حظيت بعد
الإسلام بشيء أكثر من الاهتمام، وقد اشتهرت الدروع زمن الرسول ﷺ شهرة
من كان يرتديها، وقد سبقت الإشارة إلى أنه وصلنا ما يُفيد أنه كان للرسول ﷺ
سبع أدرع، هي: ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وقضة،
والبتراء، والخرنق.

وأورد "البخاري" باباً في صحيحه تحت عنوان "ما قيل في درع النبي ﷺ
والقميص في الحرب"، أشار فيه إلى ارتداء الرسول ﷺ للدروع، وذكر أنه ﷺ كان
له درع من حديد؛ قد رهنه عند يهودي، بثلاثين صاعاً من شعير، كما روي فيه

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص ١٠٧.

(٢) عرف العرب الدروع منذ القدم، وذلك عن طريق الفرس. ووصلنا ما يُفيد أن أثمن ما كان
يقتنيه "امروء القيس"، وأهداه إلى "السموعل"، حوالي سنة (٥٢٧م) "خمس دروع:
الفضفاضة، الصافية، المحسنة، الخريق، وأم الديول، وكانت منذ وقت طويل ملكاً للأمراء من
بني عقيل الذين كانوا يتناقلونها من أب إلى ولد". واصف بطرس غالي، تقاليد الفروسية عند
العرب، ترجمة، أنور لوقا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م، ص ٢٠١. كما عرفوا كذلك دروعاً
جلبوها من الخارج، منها ما أطلقوا عليه اسم "الفرعونية"، نسبة إلى فرعون مصر. سيد
حفني، الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سلسلة أقرأ، العدد (٢١١)، دار المعارف
بمصر، يولييه ١٩٦٠م، ص ٣١. وإن كان كما مر بنا - هناك خلاف حول معنى "الفرعونية".

قول النبي ﷺ: "أما خالد فقد احتبش^(١) أذراعَهُ في سبيل الله"^(٢).

كما ورد ذكر "لأمة" الرسول ﷺ في أكثر من موضع، خاصة عند استعداده ﷺ لمعركة "أحد"، وقد قال حينئذ: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُقاتل"^(٣)، وورد ما يفيد أنه ﷺ كان يرتدي يوم "أحد"، درعين: درعه ذات الفضول، والسعدية^(٤)، وأنه كان يرتدي في هذا اليوم مغفراً، وقام أحد المشركين بجرحه في وجنته "فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته"^(٥). وعلاوة على ذلك فقد وصلنا ما يفيد أنه كان للرسول ﷺ مغفر حديد يقال له "الموشح"، وآخر يدعى "السبوغ" أو "ذو السبوغ"، وهو الذي كان على رأسه الشريفة حين دخل مكة^(٦).

وقد استمر اهتمام المسلمين بالدروع طيلة العصور الإسلامية، وإن كانت صناعة الدروع المزردة؛ قد وصلت إلى أوجها عندهم زمن الحروب الصليبية؛ أي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين / ١١ - ١٣ م^(٧).

-
- (١) حبش الشيء يخبشه حبشاً وخبشه وتخبشه واحتبشه: جمعه. ابن منظور، مج ٦، ص ٣٣٥.
- (٢) راجع، البخاري، (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، متن البخاري مشكول بحاشية السندي، ج ٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ١٥٦.
- (٣) ابن هشام، ج ٣، ص ١٩.
- (٤) الإقصراني، (محمد بن عيسى)، نهاية السؤل والأمنية في تعلم الفروسية، نشر وتحقيق، نبيل عبد العزيز، رسالة دكتوراه، مع دراسة تاريخية عن نظام الفروسية في عصر سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢ م، ج ٢، ص ٣٩١.
- (٥) ابن هشام، ج ٣، ص ٣٢.
- (٦) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤. وقد سبقت الإشارة إلى أن رسم الكلمة في هذا المصدر "السبوغ"، و"ذا السبوغ"، وصحتها "السبوغ"، و"ذا السبوغ".
- (٧) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ١، ص ٩٣. ومن الجدير بالذكر أنه كما اهتم المسلمون بأمر دروع فرسانهم وخيولهم، فقد كان ذات حال الصليبيين أيضاً، بل إنه في بعض الأحيان لعبت هذه الدروع دوراً في علوهم على المسلمين، وعن هذه الواقعة يذكر "ابن شداد": "وكان عسكر العدو قد رتب فكانت الرجالة حوله كالسور عليهم اللبود الثخينة والزرديات =

وتحفل المصادر التاريخية الإسلامية في كل عصر ومكان؛ بالإشارة إلى الدروع وأهميتها، ونقتطف منها شذرات؛ بطلها مجاهد قل الزمان أن وجود بمثله، ألا وهو "صلاح الدين الأيوبي" (ت ٥٨٩هـ)؛ الذي كان يحرص على ارتداء معدات وقاية الجسم؛ ليس في أوقات الحروب فحسب، بل وكذلك في غيرها^(١)، ويخبرنا عنه "ابن شداد" قائلاً: إنه ذات يوم نظر إلى "صلاح الدين" فلم يجد عليه كزاعنده، ولم يكن معتاداً أن يركب بدونه، فلفت "ابن شداد" نظره إلى ذلك، وحدثه في إهماله الكزاعنده، "فكانه استيقظ فطلب الكزاعنده"^(٢).

وذات مرة في وقت سلم، كانت هذه الجنن الواقعة سبباً في نجاة "صلاح الدين الأيوبي" من القتل، وذلك حينما وثب عليه باطني، فضربه بسكين في رأسه فجرحه، ولولا وجود المغفر الزرد تحت قلنسوته لقتله، واستمر الباطني في ضربه بالسكين في رقبتة؛ إلا أنه كان يرتدي كزاعنده فتقع الضربات في زيق الكزاعنده فتقطعها، ولكن الزردية التي كان يرتديها، منعت وصول الضربة إلى رقبتة^(٣).

= السابعة المحكمة، بحيث يقع فيهم الشباب ولا يتأخرون، وهم يرموننا بالزنبوك فيجرح خيل المسلمين وخيالتهم ...". سيرة صلاح الدين، ص ١٥٧.

(١) لم ير الناس "صلاح الدين" منذ انفتحت عليه أبصارهم قد خلع لباس الجندي؛ إلا مرة واحدة في دمشق وكانت قبل وفاته، ونظراً لكثرة ركوبه بمعدات الوقاية، وما لها من ثقل حمل، فكان إذا مشى على الأرض عرج. عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٠، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٢٨.

(٢) ابن شداد، ص ٢٢٣.

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١٠، ص ٧٦؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص ١٣٣. وللاستزادة عن هذه الحادثة. راجع، البنداري (الفتح بن علي)، سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ / ١١٦٦م - ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، من-

جدير بالذكر أنه نظرًا إلى أن دروع الفرسان، كانت في غاية الثقل؛ فلم يكن بعض المقاتلين يحتملون لبسها أوقاتًا طويلة، وذلك رغم تشديد القادة على لبسها، كما أنه ليس كل فرس يصلح أن يتحمل فارسًا لابسًا مثل هذه المعدات^(١). لذا فالخيل حين تجيد العدو بالدارع فهو شيء مستحسن، قال امرؤ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ)^(٢):

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ وَهِيَ كَأَنَّهَا بِالْدَّارِعِينَ نَقَاتِقٌ تَعْدُو

أي لقد كانت هذه الخيول قوية، حتى أنها تعدو كالنقائق -النعام- وهي تحمل على صهواتها الفرسان لابسِي الدروع.

ويمكننا أن نعطي مثالاً على مدى ما يُشكله ثقل الدروع من عبء على الفرسان وخيولهم، بواقعة^(٣) جرت فصولها بين "صلاح الدين محمد بن أيوب الغسياني" و"أسامة بن منقذ" (ت ٥٨٤ هـ)، خلاصتها أن "صلاح الدين" المشار

= كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٧٩م، ص ١٠٠، ١٠١.

(١) كان هذا الأمر ملموساً في مختلف العصور، وبالإضافة إلى ما أثبتناه عاليه، نشير إلى قول "عمرو بن معدي كرت" حين سأله الخليفة "عمر بن الخطاب" عن السلاح، قائلاً: فما تقول في الدرع؟ قال: متقلّة للرجال مشغلة للراكب وإنها الحصن الحصين". ابن عبد ربه، مج ١، ص ١٨٨؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٠٠. كما نشير إلى واقعة حدثت للأمير المملوكي الجركسي "قانسوه كرت" وجنوده، وذلك في موقعة جرت بينهم وبين العثمانيين، وقد ذكرها "ابن زنبيل الرمال"، قائلاً: "ولما وقع الأمير قانسوه كرت في البحر ثقل على الفرس من لبس الحديد، وقد كان الفرس قد كل من الجري، فلم يقدر أن يعدي إلى ذلك البر، ففرق هو وفرسه وغالب مماليكه، وذهب تحت الماء، وما سلم منهم إلا القليل". آخرة الممالك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبد المنعم عامر، ألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢١١.

(٢) ديوان امرؤ القيس، مج ٢، ص ٦٧٢.

(٣) راجع، ابن منقذ، ص ١٢٢، ١٢٣. ولا تفيدنا هذه الواقعة عن الأمر المثبت عاليه فحسب، بل تضيف إلينا تفاصيل مهمة عن تكوين الدروع، وأشكالها وغير ذلك.

إليه، أمر جنده بالاستعداد للخروج لنصرة "أتاك زكي"، وقال: "البسوا سلاحكم"، فلبسها أكثرهم، وبعضهم لم يفعل ومنهم "أسامة"، فقال "صلاح الدين": "كم أقول لكم البسوا سلاحكم؟". فقال "أسامة": "يا مولاي، لا تكون تعينني؟! قال: نعم"، فرد "أسامة"، قائلا: "والله ما أقدر ألبس، نحن في أول الليل. وكراغندي فيه زرديتان مطبقة إذا رأيت العدو لبسته، فسكت". وبعد فترة سير نزل الجند لتناول الطعام، فقال "صلاح الدين" مخاطباً "أسامة": أين كراغنديك؟ فلم يجد حينئذ "أسامة" بداً فأمر أحد الغلمان بإحضار الكراغند، وأخرجه من عيبته^(١)، وتناول سكيناً، ففتقه عند صدره، وأظهر جانب الزرديتين، "وكان فيه زردية إفرنجية إلى ذيله، وفوقها أخرى إلى وسطه، على كل زردية البطائن، اللبد، اللاسين^(٢)، ووبر الأرنب. وآنذاك أمر "صلاح الدين" بإحضار حصان كميت "كالصخرة الصماء قُدَّت من قنّة الجبل. وقال: هذا حصان يصلح لهذا الكراغند".

ويمكننا تلمس ثقل دروع الفرسان في قول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)^(٣):

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرَبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ

والمعنى: إن القلب يرى الجسم الذي هو فيه يتنعم بلبس الشفوف -الثياب الرقيقة- التي تستره، فيأبى ذلك ويختار له أن يكسى دروعاً تهده بثقلها.

وثقل الدروع التي كان يلبسها المحاربون، لم تكن هي عيبها الوحيد، فقد كانت شدة حرارة الجو تعيبها كذلك، حتى أن السلطان "صلاح الدين الأيوبي" كان يشفق على جنوده "من لبس الحديد ومن أوار^(٤) الحر الشديد"^(٥).

ورغم تلك العيوب فقد كانت الدروع من القوة والمنعة بحيث يستحيل على

(١) العيبة: زبيل من جلد، وهو ما يُجعل فيه الثياب.

(٢) اللاسين: هو نفاية الحرير.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١٢٩.

(٤) الأوار: شدة حر الشمس ولفح النار ووهجها والعطش.

(٥) راجع، البنداري، ص ٢٥٩.

فرسان تلك الفترة من الاستغناء عنها، وإن كانت مع مرور الزمن لم تصمد أمام تطور العلوم العسكرية. وإذا كان من الثابت أن المماليك قد تفتنوا في استعمال مثل هذه المعدات الحصينة الثقيلة؛ فإن حصانتها لم تفلح أمام مقذوفات البنادق العثمانية، كما أن ثقلها كان عائقاً أمام خفة حركة الجيش العثماني^(١). وإن كان يُؤخذ في عين الاعتبار أنه رغم استعمال العثمانيين لمقذوفات البنادق ضد المماليك، فقد كانت السيادة بينهم عند الالتحام للأسلحة التقليدية ولمعدات الوقاية المعدنية، ويصف لنا "ابن زنبل الرمال"، إحدى معارك العثمانيين مع المماليك في مصر، فيقول: "والجراكسة قد التحموا في الروم -أي العثمانيين- حتى صارت بينهم حملات ومحاربات ومصادمات ومهاجمات ومضايقات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وصار لهم وقع بالسيف والدبابيس على الأبدان كوقع مطارق الحداد على السندل، أو كوقع حوافر الخيل على الحجر الصوان"^(٢).

جدير بالذكر أن استعمال الدروع لم يقتصر على الوقاية في المعارك الحربية فحسب، بل كان يحرص الصائدون كذلك على لبسها^(٣)، ويجب ألا نستهيئ بأبسط ما يرتدى من هذه المعدات عند الصيد، فربما خف في قدم أو ساق موزة^(٤)؛

(١) للاستزادة راجع، الرمال، ص ٥١، ٩٦.

(٢) الرمال، ص ١٩٣.

(٣) تنص المصادر المتخصصة على أن الصائد الراجل؛ إذا أراد أن يقترب من سبع بمفرده؛ فعليه "أن يتخذ لنفسه لباساً وساعدين ورائين من جلود الخيام الغلاظ، ويضرب عليه شعباً من حديد حداد الرءوس ... ثم يلبس ذلك جميعاً، ويشدها على نفسه برباط وثيق، ثم يتقدم إلى السبع، وأن يتخذ ترساً عظيماً من جلود على هيئة نصف تنور، ويضرب عليه مثل هذا الشعب التي قلنا ... وأن يتخذه من حديد كان أمكن". نبيل عبد العزيز، رياضة الفروسية في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠٩؛ نهاية السؤل، ج ١، ص ٣٨٣.

(٤) ما يُلَف على الساق من جلد أو قماش، وهو أطول من الخف. ابن منقذ، ح ٢٣٢، ص ١٠٩. ومن أسمائها السر موز، السر موزة، السر موج، الزر موزة، الجر موق؛ وهي جميعها كلمات محرفة من الكلمة الفارسية "سر موزة"، التي تعني نوع من الطماق أي من غطاء =

أنقذت صاحبها من الهلاك!

ويحدثنا "أسامة بن منقذ" -أحد مهرة الصيادين العرب- عن واقعة رآها بأم عينه تدل على أهمية أبسط معدات الوقاية في حالة صيد الحيوانات المفترسة، فذكر أنه بينما كان مع رفاق له في رحلة صيد، خرج عليهم سبع؛ فتصدى له أحد مرافقيه، فاستقبله السبع فحاص به الجواد فرماه أرضاً، فهاجم عليه السبع وهو ملقى، فرفع الرجل رجله فتلقمها الأسد، فهاجم "ابن منقذ" ومن معه على السبع فقتلوه. ثم سألوا هذا الرجل؛ لم رفعت رجلك إلى قم السبع؟ فقال: "جسمي كما ترون ضعيف نحيل، وعلي ثوب وغلالة، وما في أكسى من رجلي، فيها الرانسات والخف والساق موزا. فقلت: أشغله بها عن أضلاعي أو يدي أو رأسي إلى أن يُفرج الله تعالى" (١).

وأختم تناولنا لدروع المحاربين، مشيراً إلى أنه إذا كان من الشائع أن "الزرديات" تصنع من الحديد؛ فتحدثنا بعض المصادر التاريخية أنها كانت تصنع أحياناً من الذهب، فيشير "الدواداري" إلى أنه بعد دخول "سيف الدين طغتكين بن أيوب" إلى اليمن سنة ٥٧٨هـ، وقتله "قحطان بن منقذ"، كان من جملة ما استولى عليه من "سلاح خاناته" أربعمئة زردية ذهب عين أبريز (٢).

* * *

= للساق يلبس فوق الخف. دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد، ١٩٧١م، ، ص ١٦٧.

(١) ابن منقذ، ص ٧٦.

(٢) الدواداري، ج ٧، ص ٧٣. وبالطبع فإن الزرديات المصنوعة من الذهب، لا تتحمل أو تصمد في مواجهة الأسلحة الهجومية، وذلك نظراً لطبيعة هذه المادة. لذا فيصعب الاعتقاد أن هذه الدروع كانت تستعمل في الحروب، وقد سبق أن مر بنا أن سادة القوم كانوا يدخلون في دروعهم أنواعاً ثمينة من الجواهر.

دروع الخيول:

سبق أن عرفنا الحرص على إلباس الخيول الدروع خاصة أثناء الحروب، وأنه كان يُستخدم مصطلح "فرس مدرع" للإشارة إلى الحصان المكسو بالزرد^(١)، كما أن الخيول كانت تخرج في بعض الاحتفالات وهي على حد قول القلقشندي: "ملبسة البركستونات والوجوه الفولاذ كما في القتال"^(٢).

والجدير بالذكر أن الجنن الواقية للخيول، كانت على أشكال مختلفة، فمن بينها ما يُستعمل لوقاية أبدانها، أو يقي أجزاء معينة منها، خاصة الوجه، والساقين.

والحق أن الإشارة إلى دروع الخيول قليلة وذلك بالنسبة لما وصلنا عن دروع المقاتلين، ومن الإشارات التي وصلتنا عنها قول عمرو بن كلثوم (؟) - ٣٩ ق. هـ) بعد وصفه لما يلبسه فرسان قومه من دروع^(٣):

وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَا نَقَائِدَ وَافْتَلِينَا^(٤)

وَرَدْنِ دَوَارِعًا وَخَرَجْنِ شُعًا كَأَمْثَالِ الرِّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا^(٥)

وهو يقول في البيت الأول: وتحملنا في الحروب خيول جرد عرفن لنا وفطمت عندنا وخلصناها من أيدي أعدائنا بعد استيلائهم عليها. ويقول في البيت الثاني: وردت خيولنا في الحرب وعليها دروعها، وخرجن منها شعًا قد بلين بلي عقد الأعنة لما نالها من المشاق والتعب فيها.

(١) راجع، Dozy, R., Tome Premier, p. 407

(٢) انظر، القلقشندي، ج٤، ص ٥٩. ووصلنا وصف لدرع فرس أحد كبار المقاتلين الصليبيين زمن الأيوبيين؛ بما نصه "حصان عظيم ملبس بالزرد إلى حافره". ابن شداد، ص ١٢٥.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٦٧.

(٤) الروع: الفرع، ويقصد الحرب. الجرد: الفرس التي رُق شعر جسدها وقصر، والواحد أجرد والواحدة جرداء. النقائد: المخلصات من أيدي الأعداء. الفلو والافلات: البظام.

(٥) الرصائع: ج الرصيعة، وهي عقدة العنان على قذال الفرس.

وقول المرقش الأصغر (؟ - ٥٤٠ هـ) يصف فرسه^(١):

تَرَاهُ بِشِكَاكِ الْمُدَجَّجِ، بَعْدَمَا تَقَطَّعَ أَقْرَانُ الْمُغِيرَةِ، يَجْمَحُ

أي: وتراه بسلاح المدجج: لابس السلاح كله، بعدما تقطع الحبال التي تقرنه،
يجنح: أي يقفز لنشاطه.

وقول كعب بن مالك (؟ - ٥٠ هـ) يوم الخندق (٥٥ هـ)^(٢):

إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا جِيَادُ الْجَدَلِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ

والجدل: جمع جدلاء، وقد سبق أن عرفنا أنها الدروع المحكمة النسج،
وقوله: أشرجنا عليها جياذ الجدل: أي ربطنا عليها الدروع محكمة النسج. وقوله
عليها عائدة إلى الخيول، التي ذكرها من قبل في قوله^(٣):

خُيُولٌ لَا تُضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ خُيُولُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَمَادِ^(٤)

وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟ - ؟)^(٥):

وَالْخَيْلِ قَدْ طُوِيَتْ إِلَى الْأَصْلَابِ

مُتَسَرِّبَلَاتٍ فِي الْحَدِيدِ تَكْفُهَا شَقِيَّةٌ يُقَرَّعْنَ بِالْأَنْيَابِ^(٦)

والخيل متسرבלات في الحديد: أي على هذه الخيول دروع تحميها في
المعركة.

وقول المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)^(٧):

-
- (١) القرشي، ص ٢٠٠.
(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٤٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٦٠.
(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٤٠؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٦٠.
(٤) السنة الجماد: سنة القحط والجذب.
(٥) ديوان ابن مقبل، ص ٢٥، ٢٦.
(٦) الشقية: بمعنى اللجم ها هنا، منسوبة إلى شق، وهي قرية من قرى فذك تعمل فيها اللجم.
(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٣٢٤.

لها في الوغى زِيُّ الفوارسِ فوقها فكلُ حصانٍ دارِعٌ مُتَلَثِّمٌ

والمعنى: إن لهذه الخيول عند الحرب ذِيًا كزي الفوارس - أي دروع - الذين يمتطوها، فكل فرس منها دارع لابس درع، متلثم: أي مقتنع.

وإذا كان الشاعر في هذا البيت يصف خيول سيف الدولة، فله قصيدة أخرى ذكر فيها جيش الروم وأفراسهم المدرعة، فيُخاطب سيف الدولة في قصيدة ويقول^(١):

أَتَوَكَّ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

أي: لقد أتى الروم على خيل غابت قوائمها تحت الأسلحة التي يجرونها وتحت الدروع التي تلبسها فبدت كأنها بلا قوائم.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) في قصيدة يمدح فيها صلاح الدين الأيوبي^(٢):

لَه جَحْفَلٌ جَرَّ الْقَتَا فَتَعَثَّرَتْ قَتَا الْخَطِّ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَنْفَسُ

وَكُلُّ حِصَانٍ بِالْحَدِيدِ مُلَثَّمٌ عَلَيْهِ كَمِيٌّ بِالْحَدِيدِ مُقْلَنَسُ

وقوله: وكلُّ حصانٍ بالحديد ملثَّم: أي وكل حصان مقتنع بالحديد، أي لابس درعًا تامة.

ومن أهم الجنن الواقية التي كانت تُستعمل لحماية الخيول، "التجافيف": جمع "تجفاف" وهي بمثابة آلة للحرب، تتخذ من حديد وغيره، يلبسه الفرس أو الإنسان، ليقويه في الحرب^(٣)، وقد ورد ذكر التجافيف التي تلبس للفرس كالدرع،

(١) ديوان أبي الطيب المتنبى، ص ٣٢٩.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٧٤.

(٣) ذكر "عبد الرحمن زكي" أنه إذا كان درع الدابة من اللباد أو القماش المبطن أطلق عليه التجافيف - Tidigfah. الجيش المصري، ج ٢، ص ٢٤. كما ذكر في ذات الوقت، أن التجفاف كالدرع يلبسها المحارب للوقاية، فارسية الأصل تن بناء، أي حارس البدن، ومعناها في -

في قول العجاج (؟ - ٩٠ هـ) ^(١):

إِذَا ارْجَحَنَّ وَأَضَعَ الْأَكْنَافِ وَقَنَّعَ الْبِلَادَ فِي تَجَقُّفٍ ^(٢)

وعن شرح هذا البيت قال الأصمعي: والتَّجَقُّفُ: الذي يُلْبَسُ الدَّابَّةَ. يقول الشاعر: هذا الليلُ قد أُلْبِسَ البلادَ الظلمةَ، كما أُلْبِسَ الدَّابَّةُ التَّجَقُّفَ.

وقول بشار بن برد (٩٥ - ١٦٧ هـ) ^(٣):

قَادَ الْخِيُولَ مِنَ الْبُصَيْرَةِ لِلْعَدَى حَتَّى وَقَعْنَ بِصَيْنٍ بَغِيرَ قُودٍ ^(٤)

خِيلاً مَجْفَفَةً، وَخِيلاً حُسْرًا لَا يَعْتَلِجَنَّ مَعَ الشَّكَاكِمِ عُودًا

وقوله خيلاً مَجْفَفَةً: أي عليها التجافيف وهو من حديد وغيره.

وقول للمتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) في قصيدة يمدح سيف الدولة ويقول ^(٥):

وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاوُهُ عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّوَابَةُ مِنْهُمْ ^(٦)

حَوَالِيهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْنَهُمْ ^(٧)

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨ - ٤٥٧ هـ) في قصيدة قالها بديها حين قدوم

خيول عليها غلمان لابسين عدة وهي مُجَفَّفَةٌ ^(٨) أي عليها التجافيف:

= اللسان "الذي يوضع على الخيل من حديد وغيره في الحرب". الجيش المصري، جـ ٢، ح ١، ص ٣٩.

(١) ديوان العجاج، ص ١٤٢.

(٢) المرجح: الثقيل. الواضع: الذي كان لَزَقَ بالأرض من ظَلْمَتِهِ .. الأكناف: النواحي.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ٢٤٧.

(٤) بغير: يريد بغبور الصين.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٦) الذُّوَابَةُ: ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها. وأراد بالفارس: سيف الدولة، أي أنه كان بهاء الجيش.

(٧) الأيهم: الذي لا يهتدي فيه.

(٨) ديوان ابن أبي حصينة، ج ١، ص ٢٠٣.

كُفِيتَ الْعِدَى وَوُقِيتَ الرَّدَى فَمَا زِلْتَ تَغْمُرُ رَبْعَ النَّدَى
فَلَمْ أَرِ مِثْلَكَ قَادَ الْجِيَادِ مُجَلَّلَةً بِثِيَابِ الْوَعَى

والمقصود بثياب الوعى: التجافيف التي تلبس للخيول عند الحرب.

وقول ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٢٧ هـ) واصفاً جيشاً^(١):

وَدَهَمَ بِفِرْسَانِ الْكِفَاحِ سَوَابِحَ تَجَافِفُهَا فِي الرُّوْعِ مَنْسَدِلُ اللَّبَدِ

ومن المعدات المهمة التي استعملت لوقاية الخيول في العصر المملوكي خاصة، "البركستونات" وهي عبارة عن أغطية للخيول^(٢)؛ تُتخذ من الفولاذ وغيره^(٣). والجدير بالذكر أنه لدينا إشارة مهمة تفيد أن أمراء المماليك كانوا يحرصون على وضع رنوكهم على بركستونات خيولهم، كحرصهم على وضعها على منشآتهم، وأسلحتهم^(٤).

وقبل الشروع في دراسة الدروع التي وصلتنا منفذة على الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية، نود لفت الانتباه، أنه ليس من اليسير على المرء أن يحدد بشكل قاطع، ما إذا كان اللباس الذي يرتديه الشخص أم مكبس للفرس هو درع بالفعل، إذ أن هذا الأمر يحتاج إلى خبرة خاصة عن نوعية ملابس الأشخاص وكسوات الخيول من ناحية، وعن الزخارف المنفذة عليها من ناحية أخرى.

وإذا كان من بين ما وصلنا من الأعداد الهائلة لملابس الأشخاص أو لكسوات الخيول المنفذة على الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية، قد وقفت على عدة

(١) ديوان ابن حمديس، ص ١٥٣.

(٢) راجع، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٣٣. ويقال لها إلى جانب "بركستوان": "بركصطوان"، "بركشتوان". وأصله بالفارسية: "بركشتان"، أي حافظ لحم الصدر. القلقشندي، ج ٤، ح ٢، ص ٥٩.

(٣) راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٦٠.

(٤) راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها، ص ٩٥.

نماذج منها؛ معتقداً أنها تُعبر بالفعل عن الدروع، فأحسب أن اختياري لها؛ لا يرجع إلى خبرتي -المتواضعة- بشأن ملابس الأشخاص أو كسوات الخيول وزخارفها فحسب^(١)، بل وإلى عوامل أخرى أسهمت في ذلك الاختيار، منها نوعية الموضوع التصويري المنفذ، هذا علاوة على عوامل أخرى سوف يتم الإشارة إليها في حينه.

* * *

(١) نجمت هذه الخبرة من خلال دراستي المعنونة بـ "مناظر الفروسية على الخزف الإسلامي" -دراسة تحت النشر- حيث اهتمت فيها بشكل رئيس، بدراسة ملابس الفرسان، وكسوات الخيول.

الفصل الثاني
رسوم الدروع على الفنون
والعمائر الإسلامية

وصلتنا عدة نماذج لدروع منفذة على مواد فنية مختلفة، كالفخار والخزف، والمعادن، والجص، ومن حسن الطالع أن هذه النماذج تنتمي إلى أقطار متنوعة، كإيران، والعراق، والشام، وبلاد المغرب الإسلامي، كما أنها تغطي فترة زمنية طويلة، إذ تمتد على أقل تقدير - فيما بين القرنين الثالث والعاشر للهجرة/ ٩ - ١٦م، وعلاوة على ذلك فقد مثلت في موضوعات متنوعة، إذ إن بعضها ظهر في موضوعات ذات طبيعة حربية، كما أن بعضها الآخر ظهر في موضوعات صيد.

إيران:

ظهرت الدروع على الفنون التطبيقية الإيرانية منفذة في التحف الفخارية والخزفية، وكذا المعادن، وعلاوة على ذلك فقد وصلتنا نماذج أخرى محفورة على الجص؛ كانت تزين إحدى العمارات الإيرانية.

الخزف والفخار:

تعد التحف الخزفية والفخارية الإيرانية، أكثر الفنون الإسلامية على الإطلاق - التي احتوت على تمثيل للدروع، وأهميتها بالنسبة لنا لا تقف عند هذا الحد فحسب، بل ولأنها أيضاً تشتمل على أقدم النماذج التي بين أيدينا للدروع. وأقدم ما توصلت إليه من الدروع على الفخار الإيراني ما هو منفذ على صحن^(١) من النوع المرسوم بألوان متعددة، يُنسب إلى نيسابور فيما بين القرنين الثالث والرابع للهجرة/ ٩ - ١٠م، وعلى هذا الصحن منظر قوامه فارس في رحلة صيد، متسلحاً بسيفه، ويقبع على مؤخرة فرسه فهد صيد (لوحة ١، شكل ١)، ويرتدي هذا الفارس درعاً يصل حتى ركبتيه، وقد تمنطق حول وسطه بحزام؛

(١) محفوظ في متحف إيران. عنه انظر، Wilkinson, Ch., Nishapur, Pottery of the Early Islamic Pottery, the Metropolitan Museum of Art, New York, pp. 20- 22, pl. 62 a.

يقسم الدرع إلى جزئين كل منهما منفذ بأسلوب زخرفي مختلف عن الآخر:

والجزء العلوي للدرع -الذي يستر نصف بدن الفارس العلوي- يتميز بأنه محكم على بدن الفارس، ومقفول من الأمام، وله فتحة رقبتة دائرية محكمة القفل حول الرقبة، وله كمان طويلان ضيقان. وقد زُخرف هذا الجزء بواسطة خطوط صغيرة متقاطعة -تعبّر عن الزرد- مكونة صفوفًا منتظمة في وضع رأسي وأفقي، ويلاحظ أن الكم الأيسر مشغول في منطقة العضد بصفيين من الدوائر الصغيرة، وفي منطقة الساعد بصف واحد من هذه الدوائر، وربما تعبّر هذه الدوائر عن المناطق المعدنية التي كانت تثبت في أجزاء من الدروع المزودة.

أما الجزء السفلي -الذي يستر الجزء السفلي من بدن الفارس- وهو يمتد من أسفل الحزام واصلًا حتى ركبتيه، فقد زُخرف بزخرفة على هيئة مربعات منتظمة -تعبّر عن الزرد- في تشكيل رأسي وأفقي، ويلاحظ أن هذه المربعات متصلة فيما بينها بواسطة مناطق دائرية صغيرة.

وبالإضافة إلى الدرع الذي يرتديه الفارس، والسلاح الذي يشهده في يده، فإنه يضع على رأسه غطاءً، وينتعل في قدمه حذاءً من النوع ذي الرقبة الطويلة، وهو بذلك يكمل منظومة معدات وقاية بدنه^(١)؛ إذا ما هجم عليه حيوان مفترس أثناء الصيد.

(١) يؤخذ في عين الاعتبار أننا نتناول في هذا المقام الأسلحة الدفاعية، وليست الملابس التي يرتديها الصائدون بصفة عامة، والأخيرة هذه ظهرت لنا بأعداد لا حصر لها في الفن الإسلامي. ولمزيد من الاستزادة عن أنواعها وأشكالها وزخارفها. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، دراسة تحت النشر. ومما يجدر ذكره، أن هناك مواصفات خاصة للملابس التي كانت تستعمل في الصيد. راجع، نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد، ص. ٤١ - ٤٣.



(شكل ١) رسم على صحن من الفخار، إيران، ق ٣ - ٤ هـ، بمتحف
إيران، عمل الباحث، انظر: Wilkinson, Ch., pl. 62. A

كما ظهرت الدرع في منظر صيد آخر، منفذ على سلطانية^(١) من الفخار المرسوم بألوان متعددة، ترجع إلى نيسابور في القرن الرابع الهجري/ ١٠م، ونرى في هذا المنظر فارساً في رحلة صيد كذلك، شاهراً خنجراً في يده، ومصطحباً معه بازاً وکلب صيد (لوحة ٢، شكل ٢). ويرتدي هذا الفارس درعاً مشابهاً بوجه عام للدرع المنفذ على القطعة السابقة، وإن كان مختلفاً عنه في التفاصيل، ويكمن الفرق بينهما في هيئة الزخرفة التي تُعبر عن الزرد، إذا أنها في هذه القطعة؛ عبارة عن خطوط زجاجية متصلة في الجزءين العلوي والسفلي -المقسومين بواسطة حزام الوسط- من الدرع، ويلاحظ أنه ينتشر عليهما دوائر

(١) محفوظة في متحف المترو بوليتان بنيويورك. انظر، Rice, T., Islamic Art, London,

pl. 43؛ أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط ٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٧م،

شكل ٩٩.

مطموسة، ربما كانت معبرة عن المناطق التي ترصع بها الزرديات.
 ويلاحظ أن هذا الفارس يضع على رأسه غطاءً مخروطي الشكل، كما أنه
 ينتعل حذاء ذا رقبة طويلة - كما هو الحال في القطعة السابقة - وهو بذلك يكون
 قد أحكم وقاية جسمه إذا ما تعرض لهجوم حيوان مفترس، وعلاوة على ذلك
 فالخنجر الذي يشهده في يده، يكمل مهام حمايته.



(شكل ٢) رسم على سلطانية من الفخار، إيران، ق ٣ - ٤ هـ،
 بمتحف المتروبوليتان، عن: الرفاعي، شكل ٩٩.

كما وصلنا من نيسابور أيضاً صحن^(١) آخر من الفخار المرسوم بألوان
 متعددة، يرجع كذلك إلى القرن الرابع الهجري / ١٠م، عليه منظر لفارس في
 متنزه، أو مستعد لرحلة صيد (لوحة ٣، شكل ٣)؛ ويرتدي هذا الفارس درعاً
 قصيرة، مشغولة بمناطق شبه مستطيلة الشكل، وهي منتظمة في هيئة أفقية

(١) محفوظ في "David Collection". عنه أنظر، Erwin, R., Islamic Art, London, 1997, Fig. 205.

ورأسيّة، وبداخل كل مستطيل خط في وضع رأسي، وربما تعبّر هذه الأشكال المستطيلة عن الرقائق المعدنية المشغول منها الدرع. ويلاحظ أيضًا أن هذا الفارس؛ يتعل في قدمه حذاء له رقبة طويلة، مما عهدناه في الظهور مع معدات وقاية البدن، أثناء رحلات الصيد.

وربما يتشكك البعض في كون اللباس الذي يرتديه الفارس هنا درعًا حقيقية، خاصة أنه منفذ في موضوع أقرب إلى موضوعات التنزه من موضوعات الصيد! غير أنه بمقارنة هذا اللباس مع بعض الدروع التي وصلتنا منفذة على تحف أخرى^(١)، يجعلنا نميل إلى أن اللباس هنا درع.



(شكل ٣) رسم على سلطانية من الفخار، إيران، ق ٤ هـ،

بمجموعة ديفيد، عمل الباحث، انظر: Irwin, fig. 205

وعلى بلاطة خزفية^(٢) من إيران، تنسب إلى القرن السادس أو السابع للهجرة/ ١٢ - ١٣ م، نجد شخصًا واقفًا في وضع مواجهة، مرتديًا درعًا (شكل ٤) مكونًا

(١) قارن مع الأشكال: ٤، ٧، ١٤.

(٢) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Nicolle, D., Saljûq Arms and Armour, in the Art and Literature, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994, pl. 266, p. 253, fig. 18.

من نفس الرقائق مستطيلة الشكل -التي ظهرت في الدرع بالمنظر السابق- ويرى أحد العلماء أن الدرع الذي يرتديه هذا الشخص من نوع "الجوشن"^(١)، وهو ما نوافقه عليه، خاصة أن الدرع هنا يغطي منطقة الصدر، وهو ما يتناسب مع ما وصلنا -كما سبقت الإشارة- من وصف للجوشن.



(شكل ٤) رسم على بلاطة من الخزف، إيران، ق ٦-٧هـ، بمجموعة كير، عن: Nicolle, D., fig. 18.

كما ظهرت الدرع كذلك في منظر صيد متفد على سلطانية من الخزف ذي الزخارف المذهبة فوق الدهان^(٢)، من صناعة قاشان في القرن السادس الهجري/ ١٢م^(٣)، ويمثل هذا المنظر "بهرام جور" ومحظيته "أزدة"، على سنام جمل، وقد جلست "أزدة" في وضع معاكس، خلف "بهرام"، وهي تعزف على آلة موسيقية، ويبدو "بهرام" قد أطلق سهم قوسه تجاه غزالة، وهو يرتدي درعاً مشكلاً من

(١) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Nicolle, D., pl. 266, p. 253. Fig. 18

(٢) في مجموعة "Mortimer Schiff"

(٣) انظر، Pope, A., A Survey of Persian Art, from Prehistoric Times to the Present, London and New York, 1939, vol. V, pl. 672.

مناطق هندسية قوامها أشكال سداسية الأضلاع تشبه خلايا النحل (لوحة ٤، شكل ٥)، ويرجح أحد العلماء أن هذا القميص من نوع قمصان الزرد، ذاكرة أن زخرفته تتشابه مع شكل هذا النوع من القمصان، التي كانت تستعمل في مثل هذه المناسبات^(١)، وهو ما نتفق فيه معه، وإن كان يؤخذ في عين الاعتبار، أن الدرع هنا يغطي الجزء العلوي من بدن "بهرام" وهو المكسو بالأشكال السداسية، وأنه يوجد معلق في الجانب الأيسر من وسط "بهرام" وعاء قوسه، وقد زُخرف هذا الوعاء بأشكال مربعات متجاورة.



(شكل ٥) رسم على سلطانية من الخزف المينائي مع التذهيب، إيران، ق ٦هـ،
بمجموعة مارتا بمرشيف، عمل الباحث، انظر، Pope, A., vol. V, pl. 672

(١) صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٠٣)، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م، ص ٢٠٧، ٢٠٨. مما يجدر ذكره أن نفس الموضوع ظهر في كثير من القطع الخزفية الإيرانية الأخرى، ولكن يلاحظ فيها أن اللباس الذي يرتديه "بهرام جور"، مزخرف بزخارف نباتية. انظر، Pope, A., vol. V, pl. 664

كما وصلتنا درع أخرى منفذة على بلاطة^(١) من الخزف المرسوم بألوان متعددة مع التذهيب، ترجع إلى القرن السابع الهجري / ١٣م، وعلى هذه البلاطة منظر صيد يمثل "بهرام جور" على سنام جمل وهو يشرع في رمي سهم قوسه، وتجلس محظيته "أزدة" من خلفه في وضع معاكس، وهي تعزف على آلة موسيقية، والدرع الذي يرتديه "بهرام" من النوع الطويل؛ إذ يمتد حتى منتصف ساقيه، ويلاحظ أنه عُبر عن الزرد هنا بأشكال مربعات متصلة (لوحة ٥، شكل ٦). وعلاوة على ذلك فيضع "بهرام جور" على رأسه خوذة، وينتعل في قدمه حذاءً من النوع ذي الرقبة الطويلة، وهي نفس الأدوات التي وجدناها بصفة عامة في أكثر موضوعات الصيد، التي ارتدى فيها الصائدون دروعاً.



(شكل ٦) رسم على سلطانية من الخزف ذي الزخارف البارزة بالألوان والتذهيب، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة Mme E. Paravicini، عمل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V. pl. 679

(١) محفوظة في مجموعة "Mme E. Paravicini". عنها انظر، Wiet, G., L' Exposition Persane de 1931, Imprimerie de l' Institut Français d' Archéologie Orientale, le Caire, 1933, pl. XXIII; Pope, A., vol. V, pl. 679.

كما تظهر الدروع منفذة على سلطانية من الخزف^(١) المينائي، ترجع إلى قاشان في القرن السابع الهجري/ ١٣م، وعلى هذه السلطانية منظر لمعركة حربية أمام قلعة أو حصن، يتسلح فيها المحاربون بشتى أنواع الأسلحة الهجومية والدفاعية، ونلاحظ أنه يوجد بأعلى سطح هذه القلعة، أربعة دروع قصيرة، ذات أكماس تصل إلى نصف الذراع، وهي لا شك من نوعية "الجواشن"، وهذه الدروع مصطفة في وضع رأسي؛ ثلاثة منها معتدلة، والرابعة في وضع معكوس، وثلاثة من هذه الدروع تُعبّر تعبيراً تاماً عن أقمصّة الزرد ذات الحلقات المتصلة؛ وإن لوحظ اختلاف تفاصيل نسجها؛ ما بين دقيق وكبير النسج، أما الدرع الرابع فقد شُغل بوحدات شبه مستطيلة الشكل، يتوسطها خط رأسي (اللوحتان ٦أ، ب، شكل ٧).

الجدير بالذكر أن ما أتت عليه هذه الدروع من تنوع في أشكال تكويناتها الزخرفية، المعبرة عن الزرد وغيره، تتشابه مع بعض هينات الدروع التي سبق وصفها، والتي ظهرت في مناظر الصيد المنفذة على الخزف الإيراني (الأشكال ٣-٥).

(١) محفوظ في "Freer Gallery". انظر، Pope, A., vol. V, pl. 675



(شكل ٧) رسم على سلطانية من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ،
بمجموعة فريز، عمل الباحث، انظر، Pope, A., vol. V, pl. 675

وطالما نحن في متناول الحديث عن الدروع الكاملة أو أجزائها، فلا يفوتنا الإشارة إلى بلاطة^(١) من الخزف المرسوم بالألوان المتعددة والبريق المعدني، منفذ عليها منظر حربي يمثل مجموعة من القادة العسكريين وأتباعهم، ظهروا يمتطون صهوات جيادهم، وعلى الرغم من أن ملابسهم^(٢) ليست من الدروع، فيلاحظ أن القادة يضعون على رؤوسهم قلنسوات، تشبه إلى حد كبير الخوذ التي

(١) محفوظة في متحف "بوسطن" للفنون الجميلة، عنها انظر، Pope, A., vol. V, pl. 706

(٢) لمزيد من التفاصيل عن المنظر في هذه القطعة، خاصة تفاصيل ملابس الفرسان. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

كانت تُستعمل في المعارك الحربية، ويلاحظ أنها مدببة من الوسط، ويزين سطحها العلوي دوائر صغيرة مستديرة، وينسدل منها مدارئ تغطي الأذنين والقفأ (شكل ٨)، يرى فيها أحد العلماء أنها تشبه الزرد الذي يرتديه الفرسان أثناء الحروب^(١)، وإن كنت أعتقد أنها عبارة عن صفائح، وليست زرد.

على أية حال فالخوذات هنا طالما زودت بمدارئ أو شمالات^(٢) تغطي الأذنين والقفأ؛ فهي تذكرنا بالخوذ المزودة بالتسبغات، وقد سبق أن عرفنا أن الخوذ من الأسلحة الدفاعية، وهي جزء من الدروع الكاملة، وأنها على نوعين، أولهما البيضة، وهي التي تقي الرأس فيما عدا الرقبة والأذنين، أما ثانيهما فالبيضة تزود بتسبغة كالتى في المنظر محل التناول - تدور أسفلها، أو بمغفر يكون تحتها على رأس المحارب.



(شكل ٨) رسم على بلاطة من الخزف المينائي والبريق المعدني، إيران، ق ٧هـ، بمتحف بوسطن للفنون الجميلة، عن: العبيدي، شكل ٦٩.

(١) صلاح حسين العبيدي، ص ١٥٠.

(٢) لعل أقدم مثل وصلنا من الخوذ، هو ما عُثر عليه منقوشاً على الحجر في القصر الأموي بخربة المفجر، ومما يلاحظ أن هذه الخوذة مزودة بشملة تغطي الأذنين والرقبة، ولكنها ليس من الزرد. ماير، ص ٧٤.

كما ظهرت الخوذ كذلك على بلاطة^(١) من الخزف ذي الزخارف متعددة الألوان، ترجع إلى حوالي القرن العاشر الهجري/ ١٦م، وعلى هذه البلاطة منظر لفارس محارب (لوحة ٧، شكل ٩) يمتطي صهوة جواده الراكض، شامداً في وسطه سيفاً، ممسكاً في يده رمحاً، ويضع على رأسه خوذة نصف دائرية الشكل، يظهر من أسفلها مدارئ تقي الأذنين والرقبة، ومشدود حول هذه الخوذة عصابة.



(شكل ٩) رسم على بلاطة من الخزف ذي الزخارف متعددة الألوان، إيران، ق ١٠هـ، كانت بمجموعة بتلر الخاصة، عمل الباحث، انظر: فرغلي، الفنون الزخرفية، لوحة ٥٢.

(١) كانت بمجموعة "بتلر" الخاصة. انظر، أبو الحمد محمود فرغلي، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين، لوحة ٥٢.

وصلنا صحن من الفضة^(١)، يُنسب إلى القرن الثالث أو الرابع للهجرة/ ٩-١٠م، عليه حفر يُمثل حصار قلعة^(٢)، (لوحة ٨) يظهر فيه قلعة يحاصرها مجموعة من المحاربين الفرسان، ويظهر أعلى الطابق الثاني من القلعة سبعة أشخاص، ستة منهم يبدو أنهم ينفخون في أبواق، كما يظهر أعلى الطابق الأخير من القلعة ثلاثة جنود يدافعون عنها، وفيما بينهم جنديان صريعان يتدلى نصف كل منهما العلوي من دروة القلعة إلى أسفل.

ويلاحظ أن الجنود الفرسان مدججون بالأسلحة، ويهمننا هنا الإشارة إلى أنهم يرتدون دروعًا كاملة، قوامها قمصان طويلة من الزرد، تصل حتى أقدامهم، وهي من نوعية الدروع المعروفة باسم "زرديات سابلة" أو "زردية مسبلة"، وعلاوة على ذلك فكل منهم يضع على رأسه خوذة، يظهر من أسفلها مغفرًا يقي الأنين والرقبة، ويلاحظ أنه يعلو منتصف كل خوذة قائم.

أما بالنسبة لنا فخي الأبواق بالطابق الثاني من القلعة، فيرتدي معظمهم أيضًا زرديات من نفس نوع أقمصاة الزرد السابقة "زرديات سابلة"، ويلاحظ عدم وجود الخوذات على رءوسهم.

وفيما يتعلق بالجنود الثلاثة المدافعين عن القلعة، والجنديين الصريعين المتدليين من دروة القلعة، فهم يرتدون أيضًا دروعًا. ولما كان لا يظهر من هؤلاء الجنود الخمسة سوى النصف العلوي من جسم كل منهم، فلا نستطيع الجزم ما إن كانت الدروع التي يرتدونها من نفس نوعية الدروع السابقة "زرديات سابلة"، أم أنها من نوع "الجواشن"؛ التي كانت تتميز بأنها تغطي منطقة الصدر. وعلاوة

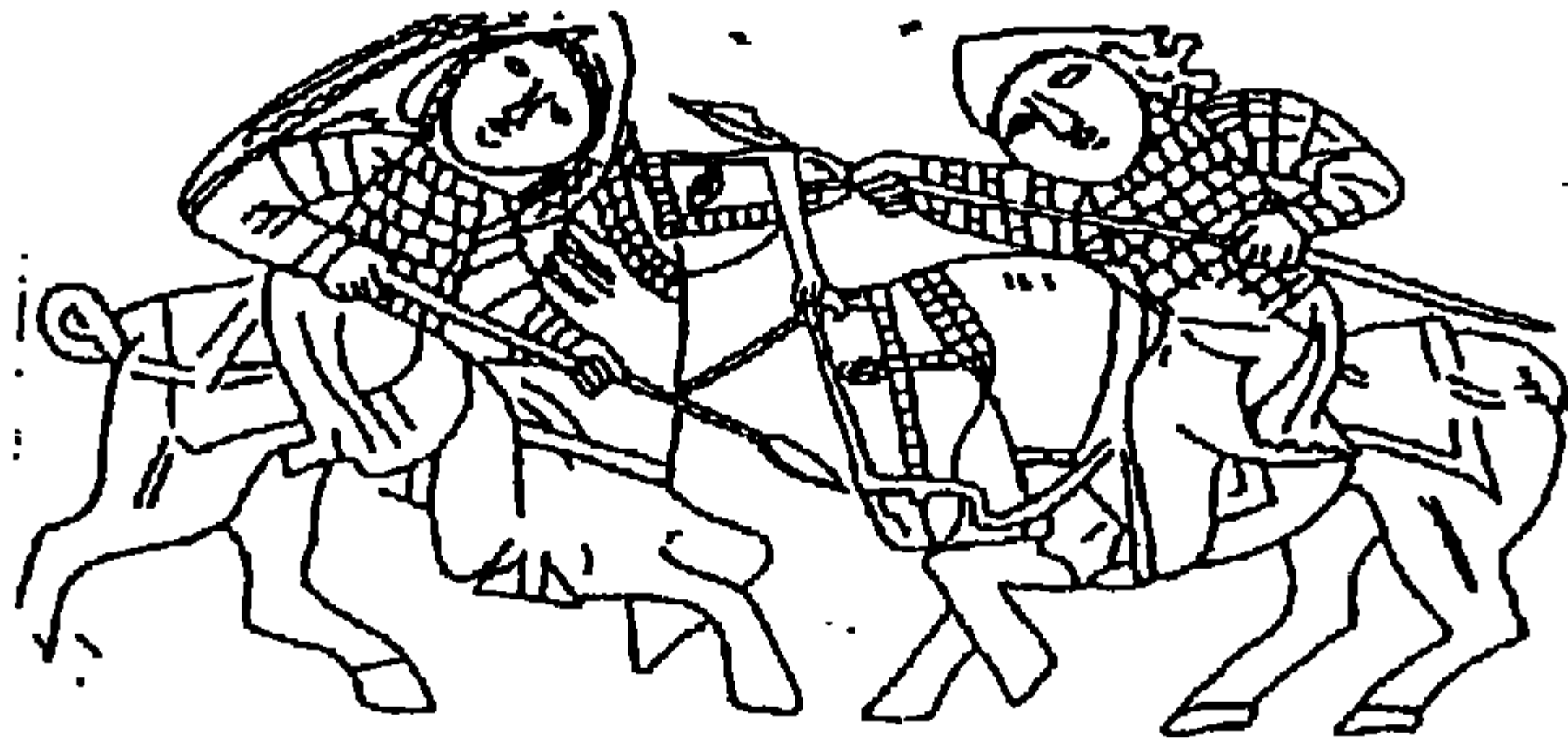
(١) محفوظ في متحف الهرميتاج.

(٢) انظر، حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الخامس، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، مج ٥، لوحة ٩٥٠، ص ٩٤.

على ذلك فيلاحظ أن الجنود الثلاثة؛ يُغطون رءوسهم بخوذ من نفس نوع الخوذ السابق وصفها، أما الجنديان الصريعان؛ فلا خوذ على رأسيهما، وتمثيلهما على هذا النحو توفيق من الفنان المنفذ للمنظر؛ إذ من الطبيعي أن يؤدي مصراعهما وتدلي النصف العلوي من بدن كل منهما على دروة القلعة؛ إلى سقوط خوذتيهما.

الجص:

ظهرت الدروع على كسوة من الجص^(١)، تنسب إلى مدينة الري في القرن السادس أو السابع للهجرة/ ١٢ - ١٣م، وعلى هذه الكسوة منظر بالنقش البارز، قوامه فارسان يمتطي كل منهما صهوة جواده، ممسكاً برمح يحاول أن يطعن به الآخر، ويرتدي كل منهما درعاً قصيراً، يغطي منطقة الصدر، لذا فالدرع هنا من نوع "الجوشن"^(٢) (شكل ١٠).



(شكل ١٠) رسم لنقش بالبارز على الجص، الري، ق ٦ - ٧هـ،

عن: Nicolle, D., fig. 5

جدير بالذكر أن أسلوب تشكيل هذه الدرع، يتشابه مع نماذج أخرى وصلتنا منفذة على الخزف الإيراني (الأشكال ١ - ٤)، كما يلاحظ أن الرقسانق المعدنية

(١) محفوظة في "Art Museum, Seattle"

(٢) صلاح حسين العبيدي، ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ وانظر، Nicolle, D., pl. 253, p. 252, fig. 5

-المشكلة للدرع- تأخذ هيئة مربعات متماسة، ومنتظمة في هيئة أفقية ورأسية، وهو أسلوب قد وجدناه في إحدى الدروع، التي ارتداها "بهرام جور"، وهو يصطاد (شكل ٦).

سوريا:

ظهرت الدروع على الفنون التطبيقية في سوريا ممثلة بصورة رئيسة على التحف الخزفية والمعدنية، ومن حسن الحظ أن ما وصلنا منها على المعادن فهو ثري ليس من ناحية العدد فحسب، بل وأيضاً في قيمته.

الخزف:

وصلنا تمثال^(١) من الخزف المرسوم بالألوان المتعددة، يُنسب إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م؛ قوامه فارس محارب يمتطي صهوة جواده، متسلحاً بسيف وترس. ويرتدي هذا الفارس زياً يتكون من قطعتين، أحدهما سفلي، يتميز بأنه طويل حيث يصل إلى منتصف ساقيه، كما أنه مشقوق أسفل منتصفه من الأمام، أما الرداء العلوي؛ فهو عبارة عن سترة قصيرة، محكمة حول بدنه (لوحة ٩)، ونظراً لعدم اشتغالها على الأشكال الزخرفية الهندسية التي كانت تعبر عن الزرد أو عن الرقائق المعدنية، فمن المرجح أن هذه السترة من الجلد، وقد سبق أن عرفنا أن دروع المحاربين -خاصة الجوشن- لم تقتصر صناعتها على الحديد، بل كانت تصنع من مواد مختلفة كان من بينها الجلد.

وبالإضافة إلى ما سبق فما يجعلنا نرجح مطمئنين أن هذا الرداء العلوي يُعد نوعاً من الدروع، أن هذا الفارس المقاتل مدجج بالسلاح، سواء أكانت أسلحة هجومية، متمثلة في سيف يشهره بشماله، أم أسلحة دفاعية: تتمثل في ترس يقبض عليه بيمينه، وبالإضافة إلى ذلك فهو يرتدي من معدات الوقاية أيضاً

(١) محفوظ في متحف "مشق". عنه انظر، Rice, D. T., p. 131, pl. 131; Nicolle, D., pl. 257, p. 252.

خوذة؛ ذات شكل مخروطي مقبب من أعلى، ومن هذه المعدات كذلك ما انتعله في قدمه، والمتمثل في حذاء ذي رقبة طويلة.

المعادن:

ظهرت الدروع على تحفة تُعد من أهم التحف المعدنية المنسوبة إلى سوريا، وهي طست^(١) - يُعرف بمعدانة سان لوي - من النحاس المكفت بالذهب والفضة، يُنسب إلى ما بين سنتي (٦٨٩ - ٧١٠هـ)، عليه اسم صانعه بما نصه "عمل المعلم محمد ابن الزين"، "عمل ابن الزين". ويزين الشريط الرئيس حول بدن الطست، مناظر مختلفة كالصيد واقتياد أسير، نرى من بينها أمراء مع كبار رجال الدولة، يظهر من بينهم حامل البقجة "الجمدار"، وحامل عصا الجوكان "الجوكندار"، وحامل الكأس "الساقى دار"، وحامل السيف "السلحدار"، وحامل الدبوس "الجمقدار"، وحامل القوس "البندقار"^(٢)، ويقطع هذا الشريط أربع دوائر،

(١) محفوظ في متحف "اللوفر" بباريس. انظر، Migeon, G., L' Orient Musulman, Conservateur des Objets d' Art au Musée du Louvre, Armes, Sculpture, Bois, Lvoires, Bronzes et Cuivres, Tapis Tissus, Miniatures, pl. 71 . ومن الجدير بالذكر أن هذه التحفة الرائعة لا تحتوي على ما يشير إلى تاريخ أو مكان صناعتها وقد نسبها بعض العلماء إلى بلاد الجزيرة. انظر، Migeon, G., Manuel d' Art Musulman, Arts Plastiques et Industriels, Tome. II, Paris, 1927, p. 62, Fig. 243. ونسبها البعض الآخر إلى مصر أو الشام. انظر، Blair, Sh., and Bloom, J., The Art and Architecture of Islam (1250- 1800), Yale University, 1994, p. 99, pl. 127. بينما هناك من نسبها إلى إيران أو إلى بلاد الشام. انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م، شكل ٤٨٣، ٤٨٤. كما أكد البعض الآخر على أنها "عمل مصري". رابيس، د. ت. الفن الإسلامي، ترجمة، منير صلاح الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧م، ص ١٥١.

(٢) ترتبط هذه الوظائف بالأدوات التي يحملونها، ولما كان معظمهم من العسكريين أو حملة الأسلحة، فسوف يتم دراستها بشيء من التفصيل في دراستنا الموسعة عن الأسلحة الهجومية.

بها مناظر صيد بالقوس، والرمح.

كما يُزين الشريط الرئيس الذي يزن الطست من الداخل مناظر قتال، أو صيد، تقطعها أربع دوائر^(١)، يظهر في اثنتين منها: حاكم متوج يجلس على عرشه، وعلى جانبه اثنان من كبار رجال البلاط، أحدهما حامل الدواة "الدوادر"، والآخر حامل السيف "السلحدار".

وما يعنينا بالطبع في هذه المناظر، تلك الملابس التي يرتديها هؤلاء الأشخاص، وحين تناولت "اسن أتيل" هذا الطست بالدراسة، أشارت عرضاً إلى ملابس الأربعة أشخاص في الجامات التي تقطع الشريط الخارجي، وذكرت أن اثنين منهم يرتديان القبة والعباءة، والآخرين يرتديان ملابس فاخرة؛ قوامها عمامة، قباء، وحذاء ذو رقبة طويلة^(٢). والحق أننا في موضع يجعلنا في حل من تناول غناء وفخامة تفاصيل ملابس الأشخاص المنفذين على هذا الطست؛ سواء تلك التي في الشريط الخارجي، أو التي بالشريط الداخلي، وما يخصنا بشأنها، نطرحه في تساؤل بسيط مفاده هل بعض هؤلاء الأشخاص يرتدون دروعاً؟

إن المدقق في ملابس الأشخاص بالشريط الخارجي، يلمس نوعين من الملابس، أولهما: قوامه أقبية واسعة تصل إلى منتصف الساق (لوحة ١٠، شكل ١١ أ)، أما ثانيهما: فالملابس فيها تتميز بأنها محكمة على البدن، وقوامها سترة للنصف العلوي من البدن، من أسفلها منطقتان طويلتان حول الفخذين، تصلان إلى الركبتين، ثم حذاء ذو رقبة طويلة، ومن المرجح أن هذا النوع الثاني من الملابس، قصد به تمثيل الدروع.

ويمكننا أن نتبين ذلك من خلال المقارنة بين كلا النوعين من الملابس، ونأخذ على ذلك مثلين، أولهما: منظر يمثل "جمدار"، بجوار "جمقدار"، (لوحة ١١، شكل

(١) انظر، Atil, E., Art of the Mamluks, Washington, 1981, p. pl.79.

(٢) راجع، Atil, E., Art of the Mamluks, p. 77.

١١ ب)، فالجمدار يرتدي نوعًا صريحًا من الأقبية، أي من النوع الأول، أما "الجمدار" فملابسه تختلف عنها تمامًا، وهي ما نرجح أنها تمثل دروعًا، أي من النوع الثاني.

أما المثل الثاني، فيتضح من خلال مقارنة ملابس "الأمير" مع ملابس "الجمدار" (لوحة ١٢، شكل ١١ ج)، فبينما ملابس "الجمدار" هي قباء كما سبق القول - فإن ملابس الأمير كملابس "الجمدار"، أي أنها من النوع الثاني، الذي يُرجح أنه يمثل الدروع. وبالإضافة إلى المثلين السابقين، فيلاحظ أن ملابس الأشخاص بنفس هذا الشريط - الذين يصطادون بالفهود والكلاب^(١)، يرتدون ملابس من نفس النوع الثاني؛ الذي يُرجح أنه يمثل الدروع. وفي هذا الصدد علينا أن نتذكر ما سبقت الإشارة إليه، من أنه كان ينبغي على الصائدين أن يرتدوا دروعًا أثناء صيدهم، تحسبًا لأن يهجم عليهم بعض الحيوانات المفترسة.

وحين ننتقل إلى ملابس الأشخاص المنفذين في الشريط الداخلي بالطست، نجد أيضًا نوعين من الملابس، أولهما: يرتديه معظم الأشخاص؛ وقوامه الأقبية، أما الثاني: فظهر يرتديه فارس محارب رامي قوس^(٢)، وهو يختلف تمام الاختلاف عن الأقبية، وقوامه درع على هيئة قميص طويل يمتد من أسفل الرقبة حتى أسفل الركبتين، يلاحظ أنه مكون من جزعين رأسيين طويلين، كل منهما مقسم إلى مناطق عرضية مستطيلة، وفيما بينها مربعات رابطة (شكل ١١ د).

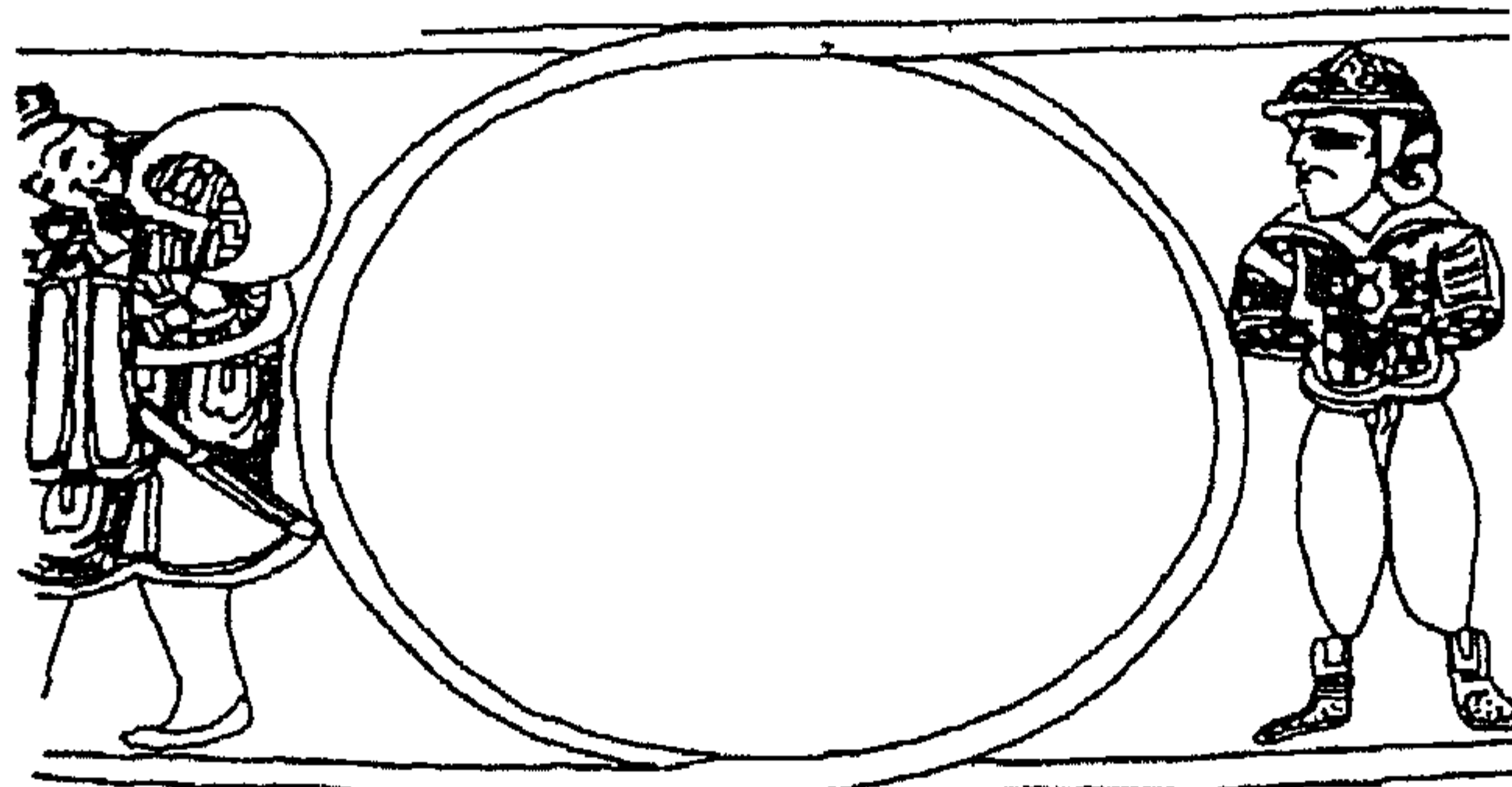
(١) انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون، شكل ٤٨٤.

(٢) انظر، Migeon, G., L' Orient Musulman, pl. 71; Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 79

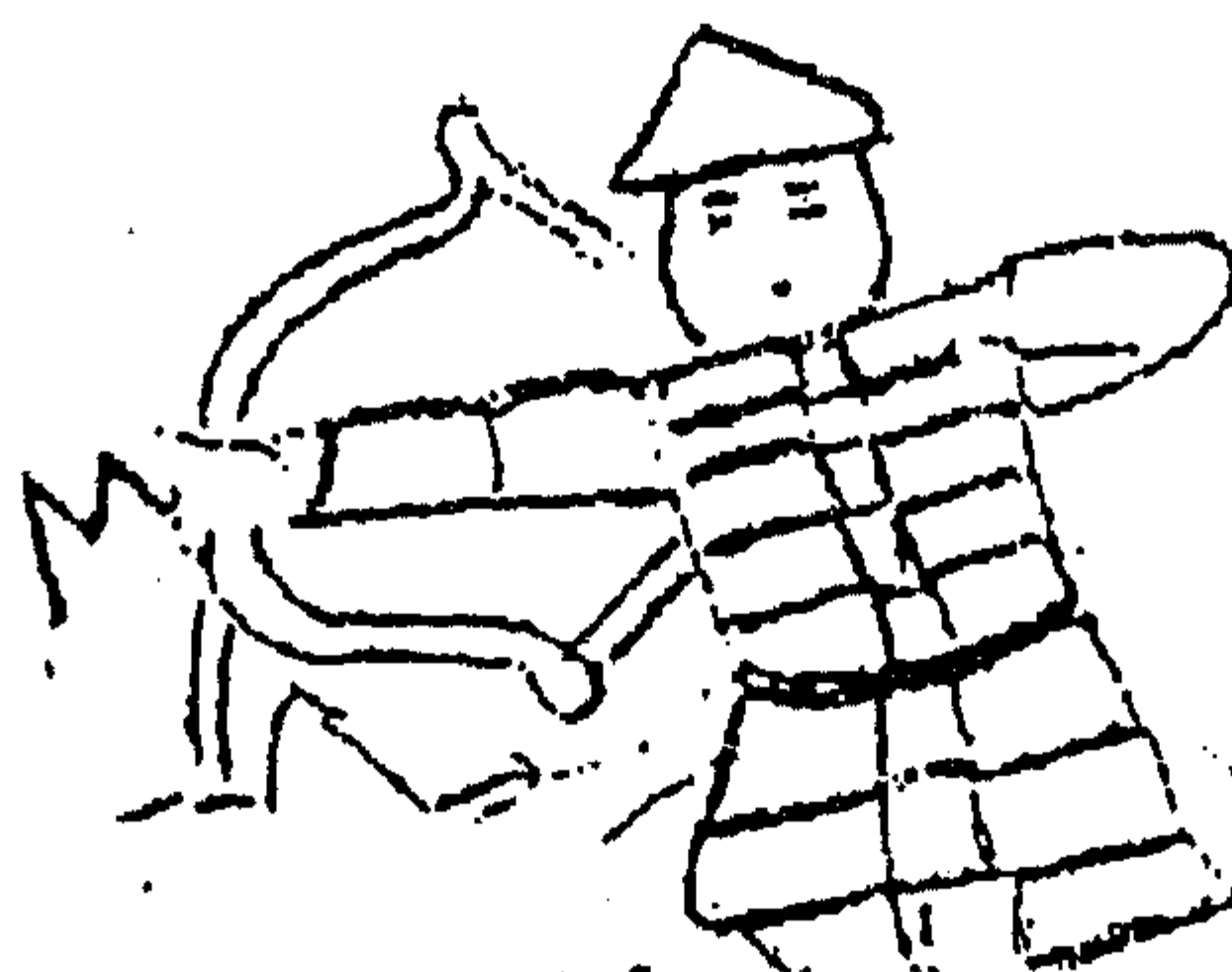
ج.



ب.



د.



(شكل ١١ أ، ب، ج، د) رسوم على طست من النحاس "معمادنة سان لويس"، سوريا
 Blair, Sh., and : انظر: شكل أ، ٦٨٩ - ٧١٠ هـ، بمتحف اللوفر، عمل الباحث، شكل أ، انظر:
 Bloom, J., The Art and Architecture, pl. 127 الأشكال ب، ج، د.
 انظر: Atil, E., The Art of Mamluks, pl. pp. 77, 79

ويُنسب إلى سوريا في القرن السابع الهجري / ١٣م، زمزية^(١) من النحاس المكفت بالفضة، تكوينها العام عبارة عن جزء كروي الشكل، يحيط به جدار دائري في الأجناب، وفي الخلف جزء مسطح، يحتوي على شريطين، الداخلي منهما - وهو ما يغينا - قوام زخرفته تسعة من الفرسان، في معركة أو مناورة حربية؛ وهم ما بين ممسك حربة، أو رامي سهم قوسه، أو حامل راية (لوحة ١٣).

ولهذه التحفة أهمية خاصة بالنسبة للدراسة، إذ أنها النموذج الأكمل - وربما الوحيد - الذي بين أيدينا، متضمناً تمثيلاً لدروع الخيل^(٢)، فمن بين التسعة خيول المنفذة عليها، هناك ثلاثة على أبدانها دروع لا شك فيها، تتميز بأنها تكاد تغطي كامل بدن هذه الخيول، واصله إلى ما يقرب من حوافرها، ومجرد مقارنتها مع كسوات الخيول الأخرى يتضح صحة ما ذهبنا إليه، فالسنة خيول الأخرى، على أربعة منها سروج من أسفل كل منها "لبد"، أما الاثنان الباقيان، فقد تميزا بكسوات أو عباءات تغطي مؤخرة ظهر الفرس وكفله، ويلاحظ وجود كسوة تغطي الجزء العلوي من رقبة كل منهما^(٣).

ومن حسن الحظ أن الدروع الثلاثة المنوه إليها عالية، واضحة المعالم، غنية الزخرفة، وبيان كل منها كما يلي:

(١) محفوظة في "Freer Gallery" بواشنطن. عنها انظر، Atil, E., Art of the Arab

World, Freer Gallery of Art, Washington, 1975 p. 71؛ عبد الناصر ياسين،

القنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص. ١٦٠ - ١٦٣.

(٢) جدير بالذكر أن بعض الخيول المنفذة على الخزف الإسلامي، قد احتوت على كسوات لها، غير أن هيئتها وزخارفها لا تتوافق مع الطبيعة الدفاعية التي يعالجها البحث هنا. ولمزيد من التفاصيل عنها. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

(٣) ولعلها ما يوصف بـ "الأرقاب الزركش". عنها راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها، ص. ١٦٠.

الدرع الأول:

عليه زخرفة قوامها مساحات مستطيلة الشكل، تتقابل في أوضاع رأسية وأفقية، عدا منطقة رقبه الحصان، فالزخرفة فيها عبارة عن لفائف حلزونية بسيطة، أما منطقة الرأس فملبس بها وجه مزخرف بخطوط طولية (لوحة ١٤، شكل ١٢ أ).

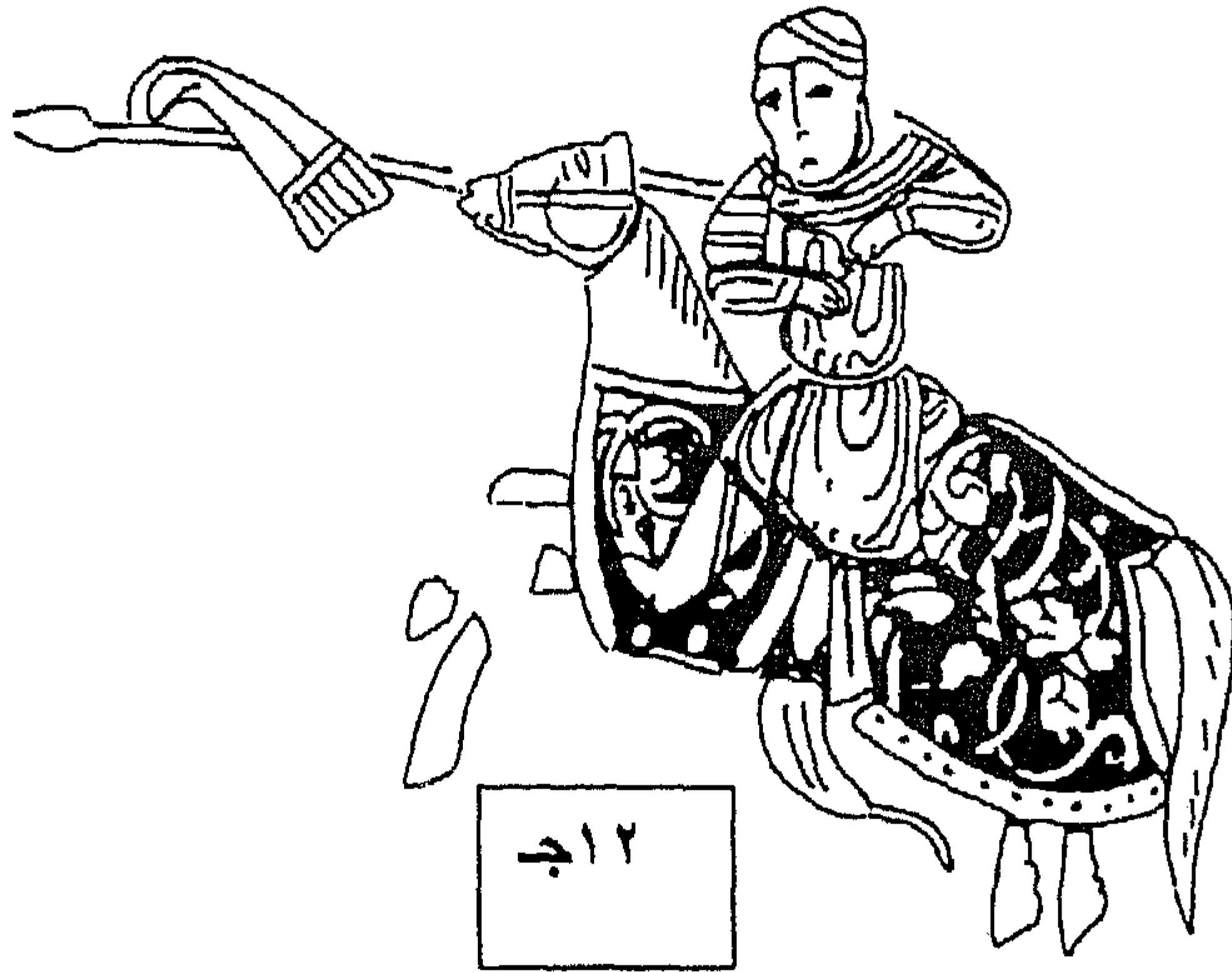
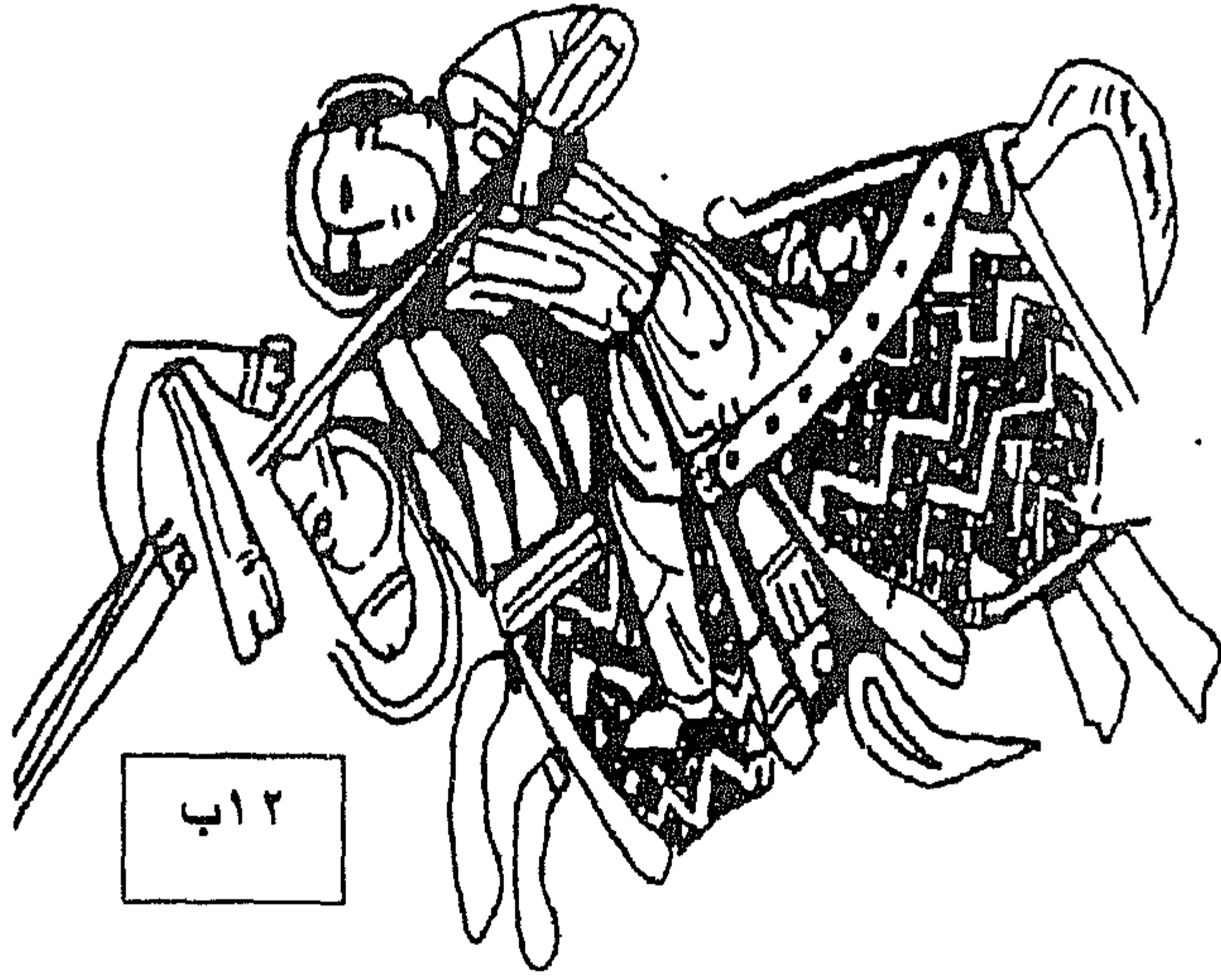
الدرع الثاني:

قوام الزخرفة فيه خطوط زجاجية، تنتهي من أعلى بشريط أفقي عريض، تضمن في الجزء الخلفي صف أفقي من الدوائر الصغيرة بينما تضمن في الجزء الأمامي خطوط أفقية رفيعة، أما رقبه الحصان، فيشغلها منطقة مكونة من أشكال أقرب إلى هيئة المثلثات، في صفين، العلوي منهما قاعدتها من أعلى، والسفلي قاعدتها من أسفل (لوحة ١٥، شكل ١٢ ب).

الدرع الثالث:

زخارفه نباتية، قوامها أفرع نباتية ملتفة، تنتهي بأشكال مراوح وأنصاف مراوح نخيلية، ويوجد في الجزء السفلي بالنصف الخلفي من الدرع، شريط أفقي عريض مزخرف بأشكال دائرية صغيرة (لوحة ١٦، شكل ١٢ ج).





(الأشكال ١٢ أ، ب، جـ) رسوم على زمرية من النحاس، سوريا، ق

٧هـ، مجموعة فريز، عمل الباحث، انظر: Atil, E., Art of the Arab

World, pl. p. 70.

العراق:

رغم توافر أنواع مختلفة من الأسلحة المنفذة على الفنون العراقية، فلم يصلنا من الدروع غير ما هو ممثل على تحفة من المعدن، وهي عبارة عن مقلمة مكفتة^(١)؛ تُنسب إلى بلاد الجزيرة في أوائل القرن السابع الهجري/ ١٣م، يظهر عليها منظر حربي نرى من بينه محارب مترجل مدجج بالسلاح، فهو يقبض بيمينه على سيف مستل، ويرتدي درعاً كاملاً؛ قوامه قميص زرد طويل "زردية مسبلة"، مكون من حلقات الزرد، وقلنسوة يظهر من أسفلها مفقراً، يغطي الأذنين والرقبة، بحيث لا يظهر من هذا المحارب سوى وجهه (شكل ١٣).



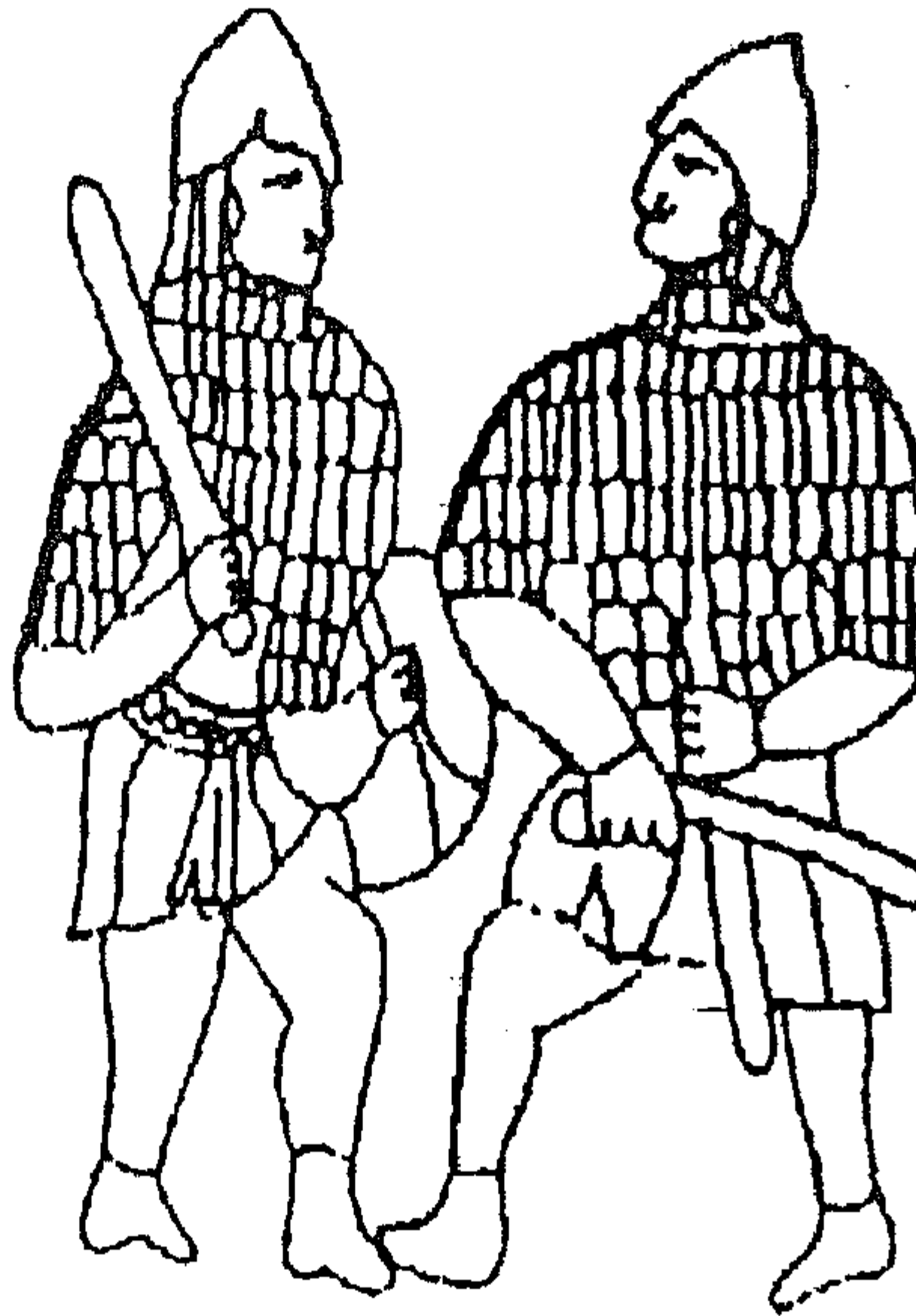
(شكل ١٣) رسم على مقلمة معدنية، بلاد الجزيرة، ق ٧هـ،

بالمتحف البريطاني، عن: Nicolle, D., fig. 10

(١) محفوظة في المتحف "البريطاني" بلندن. انظر، Nicolle, D., pl. 258, p. 252, fig. 10

الأناضول:

وصلنا نقش بارز^(١) من قونية يرجع إلى القرن السابع الهجري / ١٣م، في عهد سلاجقة الروم، قوامه محاربان مترجلان مدججان بالسلاح، فيقبض كل منهما بيمينه على سيف، كما أن أحدهما -الأيمن- يقبض بشماله على مقبض ترس (شكل ١٤). وبالإضافة إلى ذلك فيرتدي كل منهما درعاً قصيراً "جوشن"، ذا كُميين قصيرين، وهو مكون من رقائق مستطيلة الشكل، كما يضع كل محارب على رأسه خوذة مخروطية بأسفلها "مغفر".



(شكل ١٤) رسم لنقش بالبارز، قونية، ق ٧هـ، بمتحف الفن التركي

بإستانبول، عن: Nicolle, D., fig. 22

(١) محفوظ في متحف "الفن التركي" بإستانبول. انظر Nicolle, D., pl. 22, p. 253, fig. 22

المغروب:

على الرغم من أنه وصلنا من بلاد المغرب الإسلامي -على الخزف خاصة- بعض موضوعات صيد، وأخرى ذات طابع حربي، فيندر أن نجد من بينها ما يمثل الدروع تمثيلاً لا شك فيه، غير أنه وصلنا منظر منفذ على كسرة من الخزف، لفارس محارب ربما يرتدي ما يُعبر عن الدرع!

وهذا المنظر منفذ على كسرة^(١) من الخزف المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء، يُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس للهجرة/ ١٠ - ١١م، ونرى على هذه الكسرة فارساً يمتطي صهوة جواده، متسلحاً برمح، متحصناً بترس، ويرتدي هذا الفارس قميصاً قصيراً من أسفله سروال، ويتميز هذا القميص بأنه محكم على البدن، ومزين بأشكال تشبه المعينات، كما أن الفرس الذي يمتطيه الفارس، مزخرف أيضاً بنفس أشكال هذه المعينات (لوحة ١٧، شكل ١٥).

وعلى الرغم من أن الموضوع حربي الطابع، والحربة والترس في يدي الفارس، تجعلنا نرجح أن السترة العلوية التي يرتديها ربما تكون نوعاً من الدروع "جوشن"، فيجب الإقرار بصعوبة الجزم في هذا الأمر، كصعوبة الاعتقاد أيضاً، بأن ما على الفرس هو أيضاً نوع من دروع الخيل، إذ من الوارد أن تكون كذلك ليست إلا تعبيراً عن الكسوات أو العباءات، التي كانت تغطي أبدان الخيول!

(١) محفوظة في متحف "بناكي" بأثينا، عنها انظر، Philon, H., Early Islamic Ceramics, Ninth to Twelfth Centuries, vol. I, Museum Athens, Islamic Art Publication, 1980, vol. I, pl. VI, A



(شكل ١٥) رسم على كسرة من الفخار، شمال أفريقيا، ق ٤ - ٥ هـ، عمل

الباحث، انظر: Philon, H., pl. IV A

الأندلس:

وصلتنا عدة تصاوير^(١)، كانت تُزين جدران قاعة أحد منازل "البرطل" في الحمراء^(٢) بغرناطة، وهي تُنسب إلى القرن الثامن الهجري / ١٤ م. وقد احتوت هذه التصاوير -التي أصابها كثير من التلف- على موضوعات شتى، تمثل مناظر من الحياة العامة، والاحتفالات، ومشاهد الصيد، ومشاهد الحرب، وعودة فرقة من الفرسان إلى معسكراتها، هذا بالإضافة إلى رسوم تمثل جماعات من الرجال والنساء على ظهور الخيل والإبل، ومجموعة من الفرسان يتقدمهم بعض الأسرى

(١) محفوظة حالياً في متحف الحمراء.

(٢) سميت كذلك لأن اللون الأحمر كان يكسو جدرانها. فون شاك، الفن العربي في أسبانيا والأندلس، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م، ص ١٥٣. أما لفظ البرطل؛ فهو يُطلق على مجموعة من مباني قصر الحمراء، شرقي بهو السباع، وهي تتكون من برج السيدات، الذي يُلصقه عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، احتوى المنزل الأول منها على رسوم جدارية. عبد الرحمن زكي، غرناطة وآثارها الفاتنة، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٧٦، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١ م.

المقيدين بالأغلال، وقطعان من البقر مع حراسها وغير ذلك^(١). وما تبقى من هذه الموضوعات المصورة، فهي تُزين الجدار الشرقي والغربي من الحجرة، وقد رُسمت هذه الموضوعات بكل جدار في أربعة أشرطة، الشريط العلوي: يتضمن مناظر الصيد، وفي الشريطين الثاني والثالث: رسم الخيام والجنود والأسرى والماشية، وفي الشريط الرابع: رسم لمناظر الطرب^(٢).

ويعني من أمر هذه التصاویر -مؤقتاً^(٣)- أن بعض الجنود الفرسان يرتدون دروعاً من الزرد، ومما يلاحظ أن هذه الدروع، أقرب في هيئتها إلى شكل الجواشن (شكل ١٦ أ)، كما يغطي هؤلاء الفرسان رءوسهم بخوذات أو بيض بأسفلها مغافر (لوحة ١٨)، أو صفائح تتدلى على القفا^(٤) (لوحة ١٩، شكل ١٦ ب)، والبعض الآخر منها عبارة عن خوذة أو بيضة فقط (شكل ١٦ ج).

الجدير بالذكر أن "ابن الخطيب" ذكر عن الجنود الأندلسيين، قائلاً: "وزيهم في القديم شبه زي أقتالهم"^(٥) وأضادهم من جيرانهم الفرنج إسباغ الدروع وتطبيق الترسية وحفا البيضات،... ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرنا إلى الجواشن المختصرة، والبيض المرهفات"^(٦). وبتحقيق هذا النص مع ما سبق ذكره عن

(١) راجع، ثروت عكاشة، التصوير الإسلامي (الديني والعربي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م ص ٤١٦.

(٢) جمال محرز، التصوير الإسلامي في الأندلس وعلاقته بالتصوير المصري، دراسات في آثار الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٣٢٢، ٣٢٣. وعن التصاویر الجدارية بالبرطل. انظر، Perez, Hejuari, T., Objetos e Imagenes de Al- Andalus, Espana, 1994, pl. p. 69

(٣) وذلك لأننا سنتناولها مرة أخرى عند دراسة التروس.

(٤) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية في "البرطل" بالحمراء، مدريد، ١٩٥١م، ص ٣٤؛ وانظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٦٤.

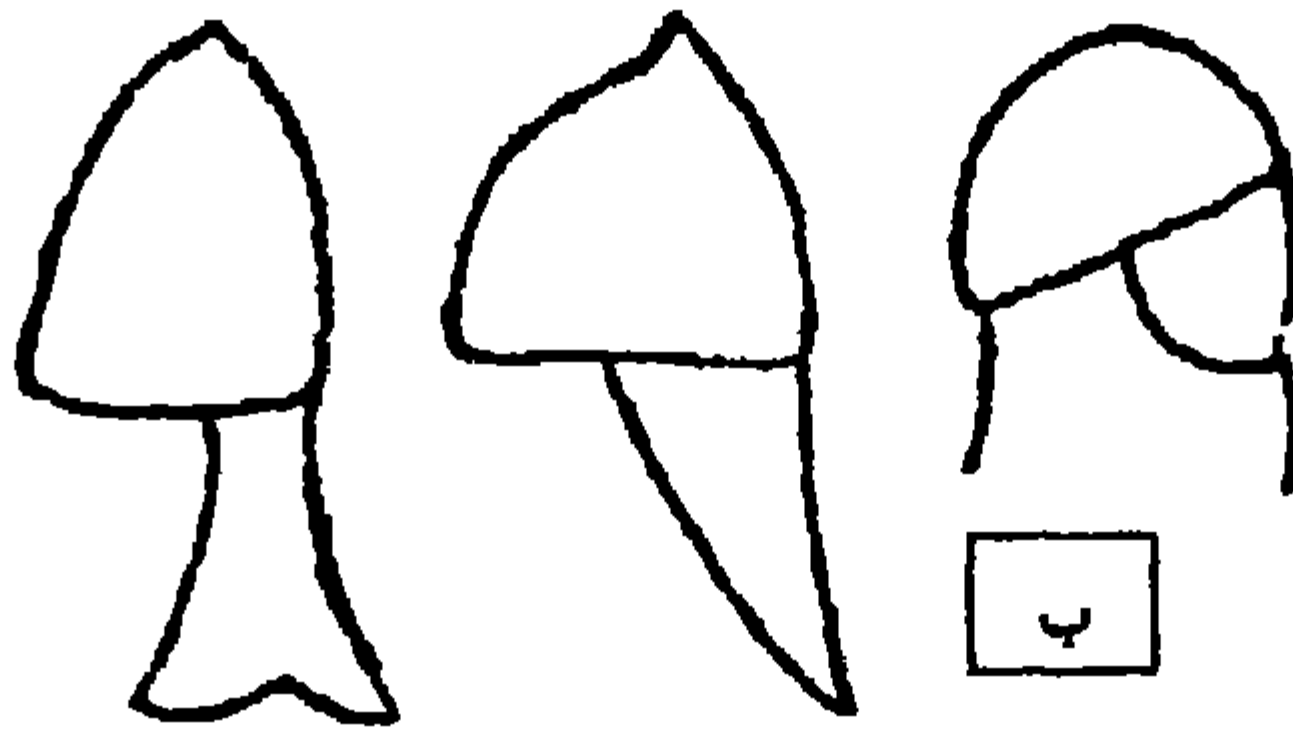
(٥) المقصود هنا الذين يقاتلونهم.

(٦) ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٣٦.

الخوذ والدروع في رسوم البرطل، يتضح توافق ما ذكره "ابن الخطيب" معها، خاصة فيما يتعلق بالجواشن، والخوذ، فمن الواضح أن الدروع ليست من "سابغات الدروع"، بل هي قصيرة كالجواشن، أما فيما يتعلق بالخوذ، فيذكر "جمال محرز" أنه على الرغم من أنها من الحديد، فهي من النوع الخفيف^(١).



١



(شكل ١٦ أ، ب، جـ) رسوم جدارية من البرطل بالحمراء، عصر بني نصر، عن: محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، الشكلان ١٦، ١٧.

(١) راجع، جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٤٠.

المبحث الثاني

التُّرُوس

الفصل الأول
أسماء الثُّرُوس وصفاتها
عبر العصور الإسلامية

قال ابن منظور: التُّرْس من السلاح: المتَوَقَّى بها، معروف، وجمعه أُرَاسٌ وتِرَاسٌ وتِرْسَةٌ وتُرُوسٌ؛ وأنشد قول الراجز:

كَأَنَّ شَمْسًا نَازَعَتْ شُمُوسًا دُرُوعَنَا وَالبَيْضَ وَالتُّرُوسَا

وكل شيء تَتَرَسَّتْ به، فهو مَتَرَسَةٌ لك. ورجل تَارِسٌ: ذو تُرْسٍ، ورجل تَرَّاسٌ: صاحب تُرْسٍ. والتَّتَرُّسُ: التَّسْتُرُ بِالتُّرْسِ، وكذلك التَّتَرِيسُ. وتَتَرَسُّ بِالتُّرْسِ: تَوَقَّى^(١).

والتروس عبارة عن آلات كان يستعملها المحاربون عادة -سواء كانوا فرساناً أو مترجلين- ليقوا أنفسهم من الضرب والرمي على الوجه، قال "الطرسوسي" (ت ٥٨٩هـ): الترس "هي الجَنَّةُ الواقية والسترة لمن باشر الحرب الكافية، بها يُردُّ شرُّ السيوف والرماح وتُكفى عادة كل سلاح،..."^(٢)، كالسهم وجميع ما يضرب بها من آلات الأضرار^(٣).

وتُصنع التروس من مواد مختلفة كالحديد، والفولاذ، والخشب، والجلد، والخيزران^(٤)، وقد نصت بعض المصادر المتخصصة على أنه من الأجدر للمحارب أن يكون عنده ترس من كل مادة من هذه المواد، وذلك إن قدر على شرائها^(٥).

ولعل تفضيل أن يملك المحارب ترساً من حديد وآخر من جلد وثالث من خشب، يرجع إلى أن كل مادة من هذه المواد صالحة للوقاية من أضرار بعينها، فقد ذكر ابن منكلي أن التروس المصنوعة من الخشب نافعة لرد النشاب والرماح، والتروس المصنوعة من الجلد نافعة لرد الحجارة والعُمد وضرب الخشب،

(١) ابن منظور، مع ٦، ص ٣٨.

(٢) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٥.

(٣) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٨.

(٤) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩؛ وانظر، الفلقشندي، ج ٢، ص ١٥٢.

(٥) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٦٤.

والتروس المصنوعة من الحديد نافعة عند ناضحة النار وعند كل سلاح^(١).

وللتروس - كما سنتناول بالتفصيل فيما بعد - أسماء وصفات عديدة، كما أن لها أشكالاً متباينة؛ فمن أشكالها كما ذكر "الطرسوسي": المدور اللطيف، والواسع التدوير، ومنها المستطيل في تدويره المستحسن التقدير^(٢)، ومنها كما ذكر "ابن منكلي": المسطح، ومنها: المستطيل، ومنها: المستدير الأعلى المٌخَصَر الوسط، ومنها: المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج^(٣)، كما ذكر "الإقصرائي"، عن أشكالها: "فمنها المسطح، ومنها المستدير الأملس، ومنها المستطيل، ومنها المستدير الأعلى المٌخَصَر الوسط مما يلي أعلاه، ومنها المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج، ومنها الدرق، ومنها الكبار التي للحصارات تسمى جنويات، ونوع آخر يُسمى جفاتي"^(٤).

وإذا كان للمواد التي تُصنع منها التروس دور في رد أضرار بعينها، فإن لأشكال التروس دور أيضاً في رد أخطار بذاتها، وقيل في ذلك: "كل منها مستجاد في فنه، ونافع فيما يراد من ستره وكنه"^(٥)، فالترس المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج: يصلح لتلقي السهام، والحجارة، والسيف، ولكنه لا يصلح لتلقي طعنة الرمح، حيث إنه إذا طُعِن ثَبَتَ الرمح في كعبته وصرع صاحبه إذا نفذ، أو طرحه عن فرسه إن لم ينفذ منه. أما الترس المسطح، فيصلح لتلقي الرمح، والسهم، والسيف، ولا يُتلقى به الحجارة. والترس المستوي المبسوط الأطراف، الذي فيه

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٥٢.

(٢) الطرسوسي (مرضي بن علي)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كلود كاهن، بيروت، ١٩٤٨م، ص ١٢؛ تحقيق، كارين صابر، ١٤٦، ١٤٧.

(٣) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٤٨؛ وراجع له كذلك، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩.

(٤) الإقصرائي، ج ١، ص ٣٥١. وعن أصناف التروس. راجع كذلك، الحسن بن عبد الله، ص ١٦١.

(٥) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص ١٢؛ تحقيق، كارين صابر، ص ١٤٧.

تقيب قليلاً: فإنه يصلح لتلقي جميع أنواع الأسلحة. أما الترس المستطيل أو المستطال: فيُتلقى به السهم لأن رأسه يستر رأس الفارس، وطوله يقيه، لأنه ينظر بإحدى عينيه من التخصير ولا يكشف رأسه^(١)، كما يُتلقى به كذلك الرمح والسيف لأنه يستر رأسه ورجليه أيضاً^(٢).

جدير بالذكر أن المتخصصين في الفنون الحربية قد أسهبوا شارحين ما ينبغي على المحارب من خطوات للترس من أنواع الأسلحة المختلفة، كالسيف، والرمح، والحجارة، والعمود، والسهم^(٣)، وأوصوا بوجه عام - أنه ينبغي على المحارب أن يكون ترسه أمام وجهه، احترازاً من السهم، فإذا التحم بغريمه فيكون طعنه بالسيف^(٤).

ومما يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار أن التروس لا تستعمل لصد خطر الأسلحة الهجومية فحسب، بل كانت تستعمل كذلك للدفاع عن النفس من خطر هجوم الحيوانات المتوحشة أثناء الصيد، وقد وصلنا ما يفيد أنه على الصائد المترجل؛ إذا أراد أن يدنو من السبع بمفرده، فعليه أن يرتدي ملابس ذات مواصفات خاصة، "وأن يتخذ ترساً عظيماً من جلود على هيئة نصف تنور"^(٥)، ...

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص. ٤٧، ٤٨؛ الحسن بن عبد الله، ص ١٦١.

(٢) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩. وللاستزادة عما يدفع كل نوع من التروس لأنواع الأسلحة المختلفة، راجع، الإقصرائي، ج ١، ص ٣٥١، ٣٥٢. وعن كيفية الترس (بالتراس) من الأسلحة المختلفة، انظر، ص ٣٥٤ من نفس المصدر والجزء. وراجع أيضاً، عبد العزيز محمود عبد الدايم، ص. ٤ - ٧.

(٣) أرى أنه لا حاجة لنا إلى التطرق لهذه الأساليب، ما لم يكن هناك ضرورة تحتّم ذلك. ولمزيد عن معرفة تفاصيلها. راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٤٨، ٤٩؛ ابن هذيل الأندلسي، ص ٧٨.

(٤) انظر، محمد مصطفى نجيب، ح ١٤٨، ص ٥٤.

(٥) التنور: تجويفة اسطوانية الشكل. الإقصرائي، ج ١، ح ٦، ص ٣٨٣.

وأن يتخذه من حديد كان أمكن^(١).

الجدير بالذكر أن حرفة "الترأس" -صانع التروس، وهي التراسّة- تُعد من الحرف شهيرة الذكر في نصوص البرديات العربية، ويشير أحد الباحثين إلى أنه اتضح من خلال هذه النصوص أن هذه الحرفة، كانت منتشرة بين العرب وبين أهل الذمة في مصر والشام، وأن ذلك ربما كان بسبب اختلاطهم بالبيزنطيين قبل الفتح الإسلامي، فأخذوا عنهم فنون هذه الحرفة التي تطورت مع مرور الزمن^(٢). غير أنه ينبغي أن يؤخذ في عين الاعتبار أن التراسّة كانت من الصناعات المتقدمة في كثير من الدول الإسلامية، ولدينا إشارة تفيد أنه كان لكل بلد منها طراز خاص، فمنها: الدمشقي، والبغدادى والغرناطي، وأنه كانت تُنقش على هذه التراس الآيات القرآنية والحكم، كما كانت تُزين بالرسوم المختلفة والرنوك^(٣).

وقد أشار "الطرسوسي" إلى تفنن الأمم المختلفة في صناعة هذه التروس، حيث قال: "وقد انفردت كل أمة بفنّ استعملوه وجعلوه الوقاية لهم في حين الحرب من عدوهم، واتّخذوه لذلك واعتدوه. فمنهم من استعملها من الحديد، ومنهم من جعلها من الخشب والعقب الشديد، ومنهم من كساها الخشب الكيمخت^(٤) المختار، ومنهم من كساها الجلود، وغلاها بالدهن والأصباغ، ومنهم من استعملها من جلود الزراف واستغنى بها عن الخشب المدهون، ومنهم من اتّخذها من جلود اللمط^(٥) وما شاكل هذه الفنون، ومنهم من ركبها من قضبان ولف عليها القطن

(١) الإقصراني، ج ١، ص ٣٨٣؛ نبيل عبد العزيز، ص ١٠٩.

(٢) سعيد مغاوري، الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مج ١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٧.

(٣) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ح ٤٦، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٤) الكيمخت: كلمة فارسية تعني نوعاً من أنواع الجلود.

(٥) منسوبة إلى لمنطة، وهي أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الأعظم يُقال للأرض والقبيلة معاً لمنطة، وإليهم تُنسب الدُرُقُ المنطية، قيل: إنهم كانوا يصطادون الوحش وينقعون =

المعزول، ومنهم من جعلها من الخشب المكشوف واستكفى بها في الحروب. فمن ذلك ما بقي ويمنع ومنه ما لا يغني ولا ينفع إلا من البادرة اليسيرة والضربة الحقيمة^(١).

ومما يجدر ذكره أن التروس تُقسم -بصفة عامة- من حيث الحجم إلى ثلاثة أنواع، أولاها: وهي أكبرها أو أعظمها حجماً وهي التي كان يستخدمها الرجال المتقدمين. وثانيها: أصغرها مقداراً وهي تروس أصحاب الجواشن من الفرسان. وثالثها: ذات الحجم الأوسط من التروس؛ وهي لمن دونهما في الموقف، وفي حكايته السلاح^(٢).

كما لا يفوتنا الإشارة إلى أنه على الرغم من أن المسلمين قد استعملوا تروساً ذات أشكال مختلفة فإن التروس الإسلامية، تميزت بصفة عامة بأنها مستديرة الشكل، تحيطها حافة، ولها مقبض^(٣) أفقي من الداخل، وعليها من الخارج بعض النهود القليلة^(٤).

وسوف نتناول حالياً أهم ما توصلنا إليه من أسماء التروس وصفاتها عبر

= جلوده في اللبن الحليب سنة كاملة ثم يتخذون منها الدرق فإذا ضربت بالسيف القاطع نبا عنها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، ج ٥، ص ٢٣.

(١) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٧.

(٢) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٢٩٦. ويقصد بعبارة "وفي حكايته للسلاح" أي أن هذا الحجم من التروس، يفعل مثلما يفعل السلاح. راجع، ح ٣، ص ٢٩٦ من المصدر نفسه.

(٣) يسمى مقبض الترس "صنارة". النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠. وكان مقبض الترس يتخذ شكل سير من جلد، أو قضيب من خشب أو معدن، وهو أفضلها لوجوب أن يكون المقبض صلباً، وكان المحارب يقبض عليه بكفه اليسرى عند استعماله للترس، وقد يُزود المقبض برقادة -أي دعامة- أو حشو يكون بين كف الساعد وحديدة المقبض، حيث كانت تساعد على إحكام القبض على المقبض، وتفادي احتكاك الكف به. حسين عليوه، السلاح المعدني، ص ٤١٠.

(٤) ماير، ص ٨٦.

العصور الإسلامية، مستهلين ذلك بعدة أبيات ورد فيها ذكر للفظ الترس تحديدًا، حيث قال الأخطل (١٩ - ٩٠ هـ) (١):

وتَرَى التُّرْسَ فِي دِمَاءِ غَنِيٍّ مُسْتَدِيرًا كَجَزِيَّةِ الْقَرْقُورِ (٢)

وقال ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ) (٣):

وَمِصْبَاحًا قَمَرًا مُشْرِقًا كَتُّرْسٍ لُجَيْنٍ يَشُقُّ الدُّجَا

وقال الصولي سنة (٣٢٢ هـ) في رغييف كبير بحرف وافر، استلبه الحضور دونه، وذلك في مجلس شراب بحضور الخليفة الراضي (ت ٣٢٩ هـ) (٤):

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ مُتَّقَى كَتُّرْسٍ وَافِرِ الْحَرْفِ مُشْرِفِ التَّفْرِيزِ

ومن أهم ما وقفت عليه من أسماء التروس وصفاتها:

١- البصيرة:

البصيرة: التُّرْسُ (٥)، وقيل هو ما استطال منه (٦)، وقد سبق أن عرفنا أن البصيرة تعني كذلك: الدرع (٧)، وأن كل ما يُبس من السلاح فهو بصائر السلاح. كما أشرنا إلى قول الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (؟ - ٥٠ هـ) يوم

(١) ديوان الأخطل، ص ١٥٨.

(٢) جزية القرقور: الصوف المقطوع من الخروف الصغير.

(٣) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٤٦.

(٤) الصولي، كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي والمتقي بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة

٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هـ، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٣)، الهيئة

العامية لقصور الثقافة، أول أغسطس، ٢٠٠٤م، ص ٣٧.

(٥) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٣٩.

(٦) ابن منظور، مج ٤، ص ٧٧.

(٧) انظر: مؤلف مجهول، خزنة السلاح، ص ٥٦.

وَمَنْجُوفَةٌ جَرْمِيَّةٌ صَاعِدَةٌ يَذَرُ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصَنِّعُ
تُصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ النَّصَارِ تَقَعَّقَعُ

ورجحنا أن البصار ها هنا: جمع بصيرة، ويقصد بها التروس.

٢- الجَوَّبُ:

هو التُّرْسُ^(٢)، وذكر ابن منظور أن جمع الجَوَّبُ: أَجْوَابٌ وَأَجْوِبَةٌ، وهو المَجْوَّبُ، وأنشد للبيد (؟ - ٤١ هـ)^(٣):

فَأَجَازَتِي مِنْهُ بِطَرَسٍ نَاطِقٍ، وَبِكُلِّ أَطْلَسٍ، جَوِّئُهُ فِي الْمَتَكِبِ^(٤)

قال: يعني بكل حَبَشِيٍّ جَوِّئُهُ أي ترسه في مَتَكِبِيهِ. وفي حديث غزوة أُحُدٍ: وأبو طلحة مُجَوَّبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَجَفَةٍ أَي مُتَرَسٌّ عَلَيْهِ يَقِيهِ بِهَا. ويقال للترس أيضًا: جَوْبَةٌ^(٥).

جدير بالذكر أن قول لبيد: "جَوِّئُهُ فِي الْمَتَكِبِ"، إشارة إلى إحدى الطرق التي كانت تُستعمل لحمل الترس في حالة عدم استعماله، وهو أن يتنكب به المحارب، أي يجعل ترسه بين منكبيه - والمنكب: هو مُجْتَمَعُ رَأْسِ الْكَتِفِ وَالْعُضْدِ - ويكون ذلك عن طريق سير يُسمى: الحميلة، يُعَقَدُ فِي حَلْقٍ بِأَطْرَافِ التَّرْسِ.

كما ورد ذكر المَجْوَّبِ فِي قَوْلِ طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ (؟ - ١٣ ق. هـ)^(٦):

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٦١.

(٢) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦؛ ابن سلام، ص ٢٤٠؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٣٩؛ خزائن السلاح، ص ٥٦.

(٣) انظر، ديوان لبيد، ص ٣٥.

(٤) الطرس: الكتاب، أي أعطاه كتابًا بتحقيق طلبه. الأطلس: الحبشي.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص ٣٣٩.

(٦) ديوان طفيل الغنوي، ص ٤٥؛ ابن منظور، مج ٨، ص ٣١٦.

فلَمَّا فَنَى فِي الْكَنَائِنِ ضَارِبُوا عَلَى الْقَرْعِ مِنْ جِلْدِ الْهَجَانِ الْمَجُوبِ

والمعنى: وعندما نفذت السهام التي في كنانهم ضربوا بأيديهم إلى الترسنة والسيوف ليقاتلوا. وفي شرح هذا البيت قال الأصمعي: الكنانة: الجعبة. والقرع: الترسنة. والهجان من كل شيء. والمجوب الذي قد جعل جوبًا. والجوب: الترس. وقال الشاعر المخضرم مزرد بن ضرار الذيباني (؟ - ١٠ هـ)، بعد أن وصف دروع المحاربين، وخوذهم^(١):

وَجُوبٌ يُرَى كَالشَّمْسِ فِي طَخِيَةِ الدُّجَى وَأَبْيَضُ مَاضٍ فِي الضَّرِيْبَةِ قَاصِلٌ^(٢)

ويقول الشاعر في الشطر الأول: وترس لامع يرى كالشمس في الظلام الدامس. أما في الشطر الثاني، فهو يصف السيف.

وقال البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)^(٣):

وَكَانَ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْءِ سَعَةٍ جُوبٍ فِي جَنْبٍ أَرَعَنْ جِلْسٍ

والشاعر في هذا البيت يُشَبِّه الإيوان -بديع الصنعة- في استدارته بترس في جنب بناء عظيم أو جبل غليظ.

٣- الجُنَّةُ:

الجُنَّةُ: من أسماء الترس^(٤)، والجُنَّةُ: هي كل ما وارك من السلاح واستترت به منه^(٥)، كالترس والدرع وما إلى ذلك من الجنن الواقية.

(١) المفضليات، ص ٩٩.

(٢) الطخية: القمام يحول دون السماء من دون الشمس.

(٣) ديوان البحتري، مج ١، ص ١٩٣.

(٤) التويري، السبق السادس، ص ٢٣٩؛ القلقشندي، ج ٢، ص ١٥٢.

(٥) ابن منظور، مج ١٣، ص ١١٢؛ وانظر، مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٦.

٤- الحَجَفَة:

ضَرَبَ مِنَ التَّرْسَةِ^(١) قِيلَ: هِيَ التَّرْسُ الصَّغِيرُ، جَمَعُهَا الْحَجَفُ^(٢). وَفِي حَدِيثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ: وَأَبُو طَلْحَةَ مُجَوَّبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَجَفَةٍ أَيْ مُتَرَسٌ عَلَيْهِ يَقِيهِ بِهَا^(٣). وَقِيلَ: إِنْ الْحَجَفُ تُصْنَعُ مِنَ الْجُلُودِ^(٤) خَاصَّةً، وَذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّهُ قِيلَ: هِيَ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ مُقَوَّرَةٌ، وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ سِيدَةَ قَوْلَهُ: هِيَ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ يُطَارِقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ؛ قَالَ الْأَعَشَى (٢- ٧هـ):

لَسْنَا بِعِيرٍ، وَبَيْتِ اللَّهِ، مَائِرَةٍ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا دُرُوعُ الْقَوْمِ وَالْحَجَفُ
وَأُرْدِفَ أَنَّهُ يُقَالُ لِلتَّرْسِ إِذَا كَانَ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ: حَجَفَةٌ
وَدَرَقَةٌ. وَأَنَّ الْمُحَاجِفَ: هُوَ الْمُقَاتِلُ صَاحِبُ الْحَجَفَةِ^(٥).

كَمَا وَرَدَ ذِكْرُ الْحَجَفَةِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ هَجْرَسِ بْنِ كَلِيبٍ (٢- ٢) (٦):

عَصْمَةُ النَّاسِ إِذَا مَا أَمَحَلُوا وَشِهَابٌ حِينَ تَصْنُتُكَ الْحَجَفُ

٥- الدَّرَقَةُ:

الدَّرَقَةُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّرْسَةِ، وَقِيلَ: الدَّرَقَةُ الْحَجَفَةُ وَهِيَ تُرْسٌ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ، وَالْجَمْعُ دَرَقٌ وَأَدْرَاقٌ وَدِرَاقٌ^(٧). وَالدَّرَقَةُ: تَرْسٌ حَرْبِيٌّ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُحَارِبَ يَتَدَرَّقُ بِهَا -أَيِ يَحْتَمِي- مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ وَطَعْنِ الرَّمَاكِ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مَدَوَّرَةٌ وَسَطُهَا مُقَبَّبٌ وَفِي بَطْنِهَا عُرْوَةٌ تُمَسَّكُ بِهَا، وَكَانَتْ

(١) انظر، ابن سلام، ص ٢٤٠.

(٢) النويري، السفر السادس، ص ٢٣٩.

(٣) ابن منظور، مج ١، ص ٣٣٩.

(٤) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٦.

(٥) ابن منظور، مج ٩، ص ٤٨.

(٦) شعراء تغلب، ج ٢، الديوان، ص ٣٣٨.

(٧) ابن منظور، مج ١٠، ص ١١٤؛ وراجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

تُصنع من الجلود^(١)، ويُقال لصاحب الدرق: دارق، قال الشاعر^(٢):

يَمْشُونَ بَيْنَ نَابِلٍ وَدَارِقٍ

وقد ورد ذكر الدرق في قول قائل في هوازن حين مسيرهم إلى الرسول ﷺ
يوم حنين (٨هـ)^(٣):

عليهم البيض والأبدان والدرق

وقول ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧هـ)^(٤):

وَمُرْهَفٍ يَفْرِي كَثِيفَ الْحَلْقِ لَا تُتَقَّى ضَرْبَتُهُ بِالدَّرَقِ

وهو في هذا البيت يصف سيفاً، ويقول: إن ذاك السيف المرهف يستطيع قطع
درع كثيفة الحلق، كما أن ضربته لا تحمي منها الدرق.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن البخاري عقد باباً بعنوان "الدَّرَق" ذكر فيه حديث
الرسول ﷺ عن السودان الذين كانوا يلعبون بالدرق والحراب، وإقرار الرسول
ﷺ بجواز هذا الأمر^(٥).

جدير بالذكر أن الطرسوسي (ت ٥٨٩هـ) أورد عدة أبيات كانت مكتوبة على
الدرق^(٦)، فقد قرئ على درقة:

من ينصر الله لا يغلبه ذو جلد ومن يرد ذلّة يلقاه مغلوب

وقرئ على درقة أخرى:

يا من يحاذر أن يلقي منيته لا بدّ منها فكن منها على حذر

(١) سعد بن عبد الله الجنيد، ص ٩٩؛ وانظر، ابن سلام، ص ٢٤٠.

(٢) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٣) ابن هشام، ج ٤، ص ٧٣.

(٤) ديوان ابن قلاقس، ص ٣٤٩.

(٥) راجع، البخاري، ج ٢، ص ١٥٤.

(٦) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٦.

وقرئ على درقة أخرى:

بربك لا تأتي أمورًا عظيمة يسألك عنها ذو الجلال فتندم

٦- ذوبقر:

قال ابن سيدة: ذو بقر: الترس الذي يعمل من جلود البقر، وأنشد^(١):
وَذُو بَقَرٍ مِنْ صَنْعٍ يَثْرِبَ مُقْفَلٌ وَأَسْمَرُ أَدَانَا الْهَلَالِيُّ يَغْتَرُ^(٢)

٧- الزلوق:

اسم من أسماء تروس الرسول ﷺ، سُمي بذلك لأنه يُزلق عنه السلاح^(٣) فلا يخرقه^(٤).

٨- العنبر:

العنبر: الترس^(٥)، وقد سُمي بذلك لأنه يُتخذ من جلد سمكة بحرية يُقال لها العنبر^(٦).

٩- الفتق:

اسم من أسماء تروس الرسول ﷺ^(٧)، ويبدو أنه سُمي بذلك لانفراجه

(١) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٢) مقفل: يابس.

(٣) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤.

(٤) ابن منظور، مج ١٠، ص ١٧٣.

(٥) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٣٩؛ وانظر،

مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥٧.

(٦) ابن منظور، مج ٤، ص ٧٠٢.

(٧) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص ٤١٤.

واتساعه، إذ يُقال: خرج فلان إلى فتق: أي خرج إلى مكان مُتَّسع^(١).

١٠- الفَرَضُ:

الفَرَضُ: الترس^(٢)، وقيل: هو الخفيف من التراس^(٣)، قال صخر الغي الهذلي (٢-؟) (٤):

أَرِقْتُ لَهُ مِثْلَ لَمَعِ الْبَشِيرِ سِرٌّ يُقَلِّبُ بِالْكَفِّ فَرَضًا خَفِيفًا

١١- الْقَرَّاعُ:

الْقَرَّاعُ: الترس الصلب^(٥) الشديد. وترسٌ أَقْرَعُ وَقَرَّاعٌ: أي صلبٌ شديد؛ قال الفارسي: سُمِّيَ بِهِ لَصْبَرُهُ عَلَى الْقَرَّاعِ^(٦).

وورد ذكر هذا الترس في بيت طفيل الغنوي (٢-؟ ١٣ ق. هـ) (٧):

فَلَمَّا فَتَى فِي الْكُنَائِنِ ضَارِبُوا عَلَى الْقَرَّاعِ مِنْ جِلْدِ الْهَجَانِ الْمَجُوبِ
وَقَوْلُ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسَلْتِ (٢-؟ ١ هـ) (٨):

مَاضٍ حُسَامٍ وَادِقٍ حَدَّةٌ وَمَارِنٍ أَسْمَرَ قَرَّاعٍ^(٩)

(١) عن هذا المعنى للفتق. راجع، ابن منظور، مج ١٠، ص ٣٥٧؛ الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٢١٥.

(٢) ابن سيده، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٤) انظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ ابن منظور، مج ٧، ص ٢٣٢؛ ابن سلام، ص ٢٤٠؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٦.

(٥) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٦) ابن منظور، مج ٨، ص ٣١٦.

(٧) ديوان طفيل الغنوي، ص ٤٥؛ ابن منظور، مج ٨، ص ٣١٦. سبقت الإشارة إلى هذا البيت وشرحه، عند تناول "الجوب".

(٨) ديوان طفيل الغنوي، ص ٤٥.

(٩) كلمة "ماضٍ" وردت في اللسان "صدق". ابن منظور، مج ٨، ص ٣١٦.

ويقصد بالأسمر القراع: الترس الصلب، وجعله أسمر لأنهم كانوا يتخذونه من جلود الإبل^(١).

١٢- القَفْع:

القَفْع: جُنَن كالمكاب تُتخذ من خشب يدخل تحتها الرجال إذا مشوا إلى الحصون في الحرب^(٢)، وقيل: هي تروس مثل الطوارق^(٣)، غير أن النويري قال: ويسمونها في زماننا الجنويات^(٤)؛ والجنويات تروس كالطوارق، وكلا النوعين من هذه التروس يتميز - كما سنشير تفصيلاً فيما بعد - بكبر الحجم والاستطالة؛ بحيث يستر الفارس والراجل، وإن كانت الطوارق تتميز بأنها تنتهي في آخرها بنقطة محدودة، بينما تتميز الجنويات بأنها مقطوعة من أسفل.

وعلاوة على التعريفات السابقة للقفع - وهي ما تعيننا بشكل رئيس - فقد ذكر ابن منظور أن الأزهرى قال: هي الدبابات^(٥) التي يُقاتل تحتها، واحداً قفعةً. وأردف قائلاً، والقَفْع: ضَبْرٌ تُتخذ من خشب يمشي بها الرجال إلى الحصون في الحرب يدخل تحتها الرجال^(٦). وعرف الضبر بأنه: جلد يُغشى خشباً فيه رجال تُقرب إلى الحصون لقتال أهلها، والجمع ضُبُورٌ، ومنه قولهم: إنا لا نأمن أن يأتوا

(١) المفضليات، ح ٨، ص ٢٨٥.

(٢) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨. وسنشير إلى الطوارق بشيء من التفصيل فيما بعد.

(٤) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٥) الديابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار ينقبون. وهي عبارة عن

بيت صغير تُعمل للحصون يدخلها الرجال فينقبون من داخلها ويكون سقفها حرزاً لهم من الرمي. وأول دبابه صُنعت في الإسلام دبابه صُنعت على الطائف حين حاصرها رسول الله ﷺ. عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي،

بيروت، د. ت، ج ١، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(٦) ابن منظور، مج ٨، ص ٣٤٤.

بضُبُور؛ هي الدَّبَابَات التي تُقَرَّبُ للخصون لتَنْقَب من تحتها، الواحدة ضُبْرَةٌ^(١).

١٣- الكَنِيفُ:

الترس الساتر، اشتقاقاً من الاكتناف^(٢)، قال ابن منظور: الكَنِيفُ: الترس لستَره، ويُصَف به فيقال: ترَس كَنِيف، وأنشد قول لبيد (؟- ٤١ هـ)^(٣):
حَرِيماً حِينَ لَمْ يَمْتَعِ حَرِيماً سَيُوفُهُمْ، وَلَا الْحَجَفُ الْكَنِيفُ

١٤- لَآي:

لم أتوصل إلى غير أنه: الترس^(٤).

١٥- المَجَنُّ:

سُمي الترس بِالْمَجَنِّ^(٥)، لأنه يُسْتَجَنُّ به^(٦)، أي يُسْتَر به. والمَجَنُّ: الصَّلَابَةُ، وقد مَجَنَّ وَتَمَجَّنَ: صَلَّبَ، قال ابن دريد: مَجَن الشيءُ يَمَجُنُ مَجُوناً: أي صَلَّبَ، ومنه المَجَنُّ الترس^(٧).

وقد ورد ذكر المجن في قول عنتره بن شداد (؟- ٢٢ ق. هـ)^(٨):
وَلَقَدْ لَقِيتُ الْمَوْتَ يَوْمَ لَقِيْتُهُ مُتَسَرِّباً وَالسَّيْفُ لَمْ يَتَسَرَّبِلِ

(١) ابن منظور، مج ٤، ص ٥٥٤.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨؛ وراجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧؛
النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٣) ابن منظور، مج ٩، ص ٣٦٨.

(٤) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٥) ابن منظور، مج ١٣، ص ١١؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٦) ابن سلام، ص ٢٤٠؛ ابن سيدة، ج ٢، ص ٤٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٧) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٨) ديوان عنتره، ص ٨٣.

- فَرَأَيْنَا مَا بَيْنَنَا مِنْ حَاجِزٍ إِلَّا الْمِجَنَّ وَنَصْلُ أَبْيَضٍ مِفْصَلٍ^(١)
 وقول النابغة الذبياني (؟ - ١٨٠ ق. هـ) عن بني أسد^(٢):
 فهِم دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَأَمْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ، وَهُمْ مِجَنِّي^(٣)
 وقول الأعشى (؟ - ٧٧ هـ)^(٤):
 فَتَأْبِرَ بِالرُّمَحِ حَتَّى نَحَا هُ فِي كَفَلٍ كَسْرَاةٍ الْمِجَنُّ^(٥)
 وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟ - ٢٠٠ ق. هـ)^(٦):
 هَلْ كُنْتُ إِلَّا مِجَنًّا تَتَّقُونَ بِهِ قَدْ لَاحَ فِي عَرَضٍ مَنْ بَاذَاكُمْ عَلَيَّ^(٧)
 وقول علي بن أبي طالب (رضي) يوم بدر (٢ هـ)^(٨):
 مَعِيَ سِلَاحِي وَمَعِيَ مِجَنِّي وَصَارَ يَذْهَبُ كُلُّ ضَغْنٍ
 وقول الشاعر العباسي ابن قنبر (؟ - ؟) ^(٩):
 وَإِلَّا فُغِضُوا الطَّرْفَ وَانْتَظَرُوا الرَّدَى إِذَا اخْتَفَتْ فِيكُمْ صَوَارِدُ أُسْهُمِي

-
- (١) حاجز: حد بفصل بيننا. نصل: حديد وشفرة، أبيض: سيف. مفصل: بتار.
 (٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٢٧.
 (٣) يعتز الشاعر في هذا البيت ببني أسد، ويقول: لقد كانوا في يوم النسار، درعي وترسي الذي أقوى بهم على مجابهة العدو.
 (٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ٧١.
 (٥) الكفل: العجز. السراة: الظهر. والشاعر هنا يُشبه كفل البقر بالمجن أو الترس. فيقول: ولا يزال - الغلام - يعدو برمحه، حتى يصيب البقر في عجز ضخم كأنه ظهر المجن.
 (٦) ديوان ابن مقبل، ص ٢٤٥.
 (٧) باذاكم: من البذاء، وهو الفحش والإفذاء. الغلب: أثر الضرب وغيره، ويريد به أثر اللسان.
 (٨) ديوان الإمام علي، ص ٩.
 (٩) ديوان صريع الغواني، ص ٣٨٩. وعن ابن قنبر. راجع، الأصفهاني، (أبي الفرج)، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١٤، ص ١٦٢، وعن هذا البيت، انظر، ج ١٩، ص ٧٥ من نفس المصدر.

ولم تجدوا منها مِجَنًّا يُجِنُّكُمْ إذا طلعت من كل فجٍ ومَعْلَمٍ
وقول ابن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ) (١):

وَكُنْتُ لَهُ دُونَ مَا يَنْقِي مِجَنًّا وَمَزَقْتُ عَنْهُ الْعِدَا

وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٢):

وَأِنْ حَارِبُوا كُنْتُ الْمِجَنِّ أَمَامَهُمْ؛ وَأِنْ ضَارِبُوا كُنْتُ الْمُهَنْدَ وَالْيَدَا

والمجن: الترس، وهنا تعني المدافع، ويريد الشاعر القول، وإن حاربوا كنت
أنا مدافعاً - كالمجن - أمامهم، وإن ضاربوا كنت السيف واليد الضاربة.

وقول ابن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧ هـ) في ترس مكوبج (٣):

لِلَّهِ دَرٌّ مِجَنٌّ قَدْ جُنِنْتُ بِهِ صِيغَتْ كَوَاجِبُهُ مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ
لَمْ يُخْطِ تَشْبِيهَهُ مَنْ قَالَ حِينَ بَدَا إِنَّ الثُّرَيَّا بَدَتْ فِي صَفْحَةِ الْقَمَرِ

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن البخاري عقد باباً بعنوان "المِجَنُّ وَمَنْ يَتَّزِرُ
بِتَرَسٍ صَاحِبُهُ"، ذكر فيه أن طلحة رضي الله عنه كان يتترس مع الرسول ﷺ بترس واحد.
ويعنينا في هذا المقام التأكيد على قوله أن الرسول ﷺ حين كُسِرَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى
رَأْسِهِ وَأَذْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتِ رِبَاعِيَّتُهُ، كان علي رضي الله عنه يَخْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي الْمِجَنِّ
وكانت فاطمة رضي الله عنها تَغْسِلُهُ... (٤).

ونختم تناولنا للمجن بتلك الإشارة التي وصلتنا وتفيد أنه حينما سأل عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه عمر بن معدي كرب يوماً عن السلاح، سألته مما سأل عن الترس،

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٢٢؛ الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٤٦.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ١٠٣.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص ٢٠٦. وذكرت المحققة: الكوايج: جمع كوبج وهو النتوء على وجه
الترس. ح ٨٢ من نفس الصفحة. والكوايج: مأخوذة عن الكلمة التركية göbek بمعنى سرّة.
راجع، عبد الناصر ياسين، وسائل السفر، القسم الأول، ح ٤، ص ٢٧١.

(٤) البخاري، ج ٢، ص ١٥٤.

فقال عمرو بن معدي كرب: هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر^(١).

١٦- المَجْنَأُ:

المجنأ: الترس^(٢)، قال أبو قيس بن الأسلت (؟ - ١ هـ)^(٣):

وَمُحْنًا أَسْمَرَ قَرَّاعٍ

أي: وترس أسمر - لأنه كان يتخذ من جلود الإبل - قراع: أي صلب^(٤).

١٧- المَجْنَبُ:

هو الترس^(٥)، ويُقال أيضًا: المَجْنَبُ^(٦) بالضم. وقد ثبتهما ابن منظور بالضم والكسر، وأنشد قول ساعدة بن جُوَيَّةَ الهذلي (؟ - ؟)^(٧):

صَبَّ اللَّهَيْفُ لَهَا السُّبُوبَ بِطَغْيَةٍ، تَنْبِي الْعُقَابَ، كَمَا يَلَطُّ الْمَجْنَبُ

١٨- المَجْوَلُ:

هو الترس^(٨)، أعتقد من المَجَل: وهو الجلد الغليظ^(٩).

(١) ابن قيم الجوزية، الفروسية، ص ١٠٢.

(٢) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٣) صدره: صدق حسام وداق حذاه. انظر، ابن سلام، ص ٢٤٠، ح ١١٧ من نفس الصفحة.

(٤) المفضليات، ح ٨، ص ٢٨٥.

(٥) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٦) ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٧) ابن منظور، مج ١، ص ٣٣٢.

(٨) النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٩) راجع، ابن منظور، مج ١١، ص ٧٣٣، ٧٣٤.

١٩- المَطْرَقُ:

قال ابن منظور: والمَجَانُ المَطْرَقَةُ: التي يُطْرَقُ بعضها على بعض كالنَّعْلِ المَطْرَقَةُ المَخْصُوفَةُ. ويُقال: أَطْرَقْتُ بالجلد والعَصَبُ أَي أَلْبَسْتُ، وتُرْسُ مَطْرَقٌ.

التهذيب: المَجَانُ المَطْرَقَةُ ما يكون بين جِلْدَيْنِ أحدهما فوق الآخر، وفي الحديث: كَأَنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُ المَطْرَقَةُ أَي التَّرَاسُ التي أَلْبَسْتُ العَقَبَ شَيْئًا فوق شَيْءٍ؛ أراد أنهم عَرَّاضُ الوجوه غِلَظُها؛ ومنه طَارَقَ النعلَ إذا صَيَّرَهَا طَاقًا فوق طَاقٍ وَرَكَّبَ بعضها على بعض^(١).

وهناك إشارة تُفيد أن المَطْرَقُ: ترس، قيل: إن أول ظهوره كان بوقعة المنصورة، زمن الأيوبيين^(٢)!

٢٠- المَكَابُ:

تروس مثل الجنويات^(٣)، وسوف نتناول الجنويات فيما بعد بشيء من التفصيل.

٢١- اليلب:

سبق أن عرفنا أن اليلب: جلود تلبس بمنزلة الدروع، وقيل كذلك: هي جلود يُخْرَزُ بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة^(٤)، غير أن الأكيد أيضًا أنها كانت تُطلق على الترس^(٥) المستدير المصنوع من الجلد وهو الدارقة^(٦)، قال

(١) ابن منظور، مج ١٠، ص ٢٦٤.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٨.

(٤) راجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

(٥) راجع، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٦) راجع، ابن سيدة، ج ٢، السفر السادس، ص ٤٧.

الشاعر^(١):

عليهم كل سابعة دِلاصٍ وفي أيديهم اليكبُ المُدارُ

وبالإضافة إلى ما تقدم عن أسماء التروس وصفاتها، يعيننا أن نتناول بشيء من الخصوصية نوعين آخرين منها، إحداهما: تُعرف باسم "الطارقة"، جمعها: الطوارق" أو الطارقات، والأخرى: تُعرف باسم "الجنوية" جمعها الجنويات.

٢٢- الطوارق:

هي تروس من خشب، كانت تُستعمل في الأصل من قبل الفرنج والروم. ومن خصائصها أن تكون مستطالة في شكلها، بحيث تستر الفارس والراجل^(٢)، وقيل: هي ترس كبير يغطي معظم الجزء الأسفل من الجسم^(٣)، وأفضل وصف وجدته للطوارق ما ذكره "الطرسوسي"، أثناء حديثه عن أنواع التروس، حيث ذكر: "ومنها الطوارق، وهي التي يستعملها الفرنج والروم، ويتباهى في حسن إذهابها ودهانها وتلوينها بأنواع الأصباغ وتصويرها وإتقانها، وهي مستطالة في تكوينها إلى أن تستر الفارس والراجل، تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول"^(٤).

جدير بالذكر أنه كان هناك خلاف حول معنى الطوارق وأصلها، وفيما يتعلق بمعناها فقد اعتقد بعض العلماء أنها الرمح أو الحربة، وقال آخرون إنها

(١) انظر، النويري، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ٥٧.

(٣) ابن شداد، بهاء الدين،، النوار السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق، جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م، ح ١، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص ١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٧، ١٤٨.

مجموعة كبيرة من الأسلحة، ولكن بات من المؤكد أنها نوع من التروس^(١).

أما فيما يتعلق بأصل الطوارق فمن المستقر عليه بين العلماء والباحثين أنها لا ترجع إلى أصل عربي، وقد لاحظ "Dozy" أن المصادر العربية السابقة على زمن الحروب الصليبية لم تستعمل هذه الكلمة، بينما نجد أن المصادر العربية المعاصرة للحروب الصليبية؛ أشارت إلى "الطوارق" عند وصفها لأسلحة الأوربيين أثناء الحروب الصليبية، ومن ثم فإنه يرى أن العرب قد اقتبسوها عن الصليبيين، وأشار إلى أن هذه الكلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Taraga"، والتي منها اشتقت الكلمة الإيطالية "Tarja"، والفرنسية "Targe"، والأصل اللاتيني لها جميعاً "Targum"، وأكد على أن جميع هذه الأدلة تؤيد الأصل الأوربي لكلمة "الطارقة"، التي تشير إلى ترس مستطيل كان يغطي تقريباً كل الجزء الخارجي من بدن المحارب^(٢).

٢٢- الجنويات:

هي تروس من خشب أيضاً، ورد أنه كان يدخل تحتها المحاربون الرجال إذا ما زحفوا على الأسوار، وتكون لهم كالحصن الواقي من النبال، ومن صفاتها أن تكون مقطوعة الأواخر لتقف على الأرض^(٣). ويذكر عنها "الطرسوسي": "هي كالطوارق، إلا أنها غير محدودة الأواخر، بل مقطوعة لتقف على الأرض. وهي التي تزحف بها الرجال للقتال، وتكون للصف كالحصن المانع من النبال"^(٤)، ومن

(١) راجع، Dozy, R., Tome Second, pp. 40- 41 وبالإضافة إلى هذا التعريف فقد

استخدم مصطلح الطوارق كذلك ليشير إلى آلة حربية مكونة من مجموعة من الألواح

الخشبية السميكة؛ تستخدم كمتراس يخفي الحجارة والجنود والرماح خلفها. Dozy, R.,

Tome Second, p. 41

(٢) Dozy, R., Tome Second, 41؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ح ٥، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥٦.

(٤) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص ١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٨.

خلال هذه الأوصاف يتضح أن الجنويات كانت مستطالة في شكلها كالطوارق، غير أنها تميزت بقطع في آخرها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن "النويري" ذكر عن التروس التي يقال لها: الققع أنهم كانوا يسمونها في زمنه: الجنويات^(١)، ولعل في ذلك ما يدل على أن الجنويات كانت معروفة خلال العصر المملوكي، وإن تغير اسمها.

وقبل أن ننتهي حديثنا عن "الطوارق" و"الجنويات"، نود لفت الانتباه إلى إشارة تفيد بأن المؤرخين المسلمين، كانوا حين يصفون التروس الصليبية، فإنهم يستعملون لفظ "الطوارق"^(٢)، دون غيره، وأن هذا النوع من التروس؛ اقتبس منه المسلمون عن الفرنج، واستعملوه أثناء الحروب الصليبية^(٣). وإذا كان الباحث يتفق مع القول بأن "الطوارق" كانت مستعملة في الأصل من قبل جنود الفرنج؛ وأن المسلمين قد اقتبسوها منهم أثناء الحروب الصليبية^(٤)؛ فإنه لا يرى أن

(١) نهاية الأرب، السفر السادس، ص ٢٤٠.

(٢) راجع، الأصفهاني، العماد الكاتب، ص ٦٥، ١٦٤. جدير بالذكر أنه بعد إتمام الصلح بين "صلاح الدين الأيوبي" وملك الفرنج؛ وسادت روح الود بين الجنود المسلمين وجنود الفرنج، أرسل "صلاح الدين لهؤلاء الملوك هدايا وأموالاً، كما أنهم ردوا على ذلك بهدايا كان من بينها "طوارق". راجع، ساويرس بن المقفع، تاريخ البطارقة، ج ٣، قام على نشره أنطون خاطر وبور مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٦٨ - ١٩٧٠م، ص ٩٣، ٩٤؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص ٣٥١.

(٣) محسن محمد حسين، ص ٣١٦، ٣١٧. والجدير بالذكر أن المماليك في مصر قد خصصوا لحمل هذه الطوارق، جملة صبيان - جماعة من طوائف العسكر - سكنوا بحارة تُعرف باسم "حارة الطوارق" أو حارة "صبيان الطوارق". مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥٧؛ Dozy, R., Tome Second, p. 41

(٤) هناك إشارات عديدة تؤكد استعمال المسلمين للطوارق، منها - على سبيل المثال - أنه عندما وصل الملك "العزیز عثمان بن صلاح الدين" بالمدد من مصر إلى صلاح الدين بالقدس، وشاهد الفتح والنصر سنة ٥٨٣هـ، عاد إلى مصر، وترك جميع خزائن سلاحه بالقدس؛ التي كان من بينها "طوارق". الأصفهاني، العماد الكاتب، ص ١٤٤. كما كانت "الطوارق"، من -

المؤرخين المسلمين قد اقتصروا في وصفهم للتروس الصليبية على استعمال لفظ "الطوارق" دون غيره، فمن المؤكد أنهم أشاروا ولو قليلاً - إلى استعمال الصليبيين للتروس المعروفة باسم "الجنويات"، إذ يذكر "العماد الكاتب" عن الصليبيين قائلاً: "وبلع العدو ريقه، ووجد إلى الجلد طريقه، ... ووقفوا كالسور من وراء الجنويات، والتراس والقنطاريات"^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ هل هذه "الجنويات"، شأنها شأن "الطوارق"، أي أنها مما دخل إلى العالم الإسلامي بعد احتكاك المسلمين بالفرنجة أثناء الحروب الصليبية؟ الحق أنه على الرغم من صمت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الإجابة على هذا التساؤل، فهو أمر وارد، وذلك اعتماداً على إشارات تُفيد بأن الجنويات كالطوارق^(٢)، وأن الطوارق على نحو الجنويات^(٣)، وربما يدعم ذلك الاستنتاج، أن شكل "الطوارق" و"الجنويات" كان - كما تقدم - غير مستدير، بل مستطال، وأن الفرق بينهما، يتمثل في أن "الجنويات" تميزت بأنها مقطوعة الأواخر لتقف على الأرض، أما الطوارق فتنتهي من أسفل إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول.

= المعدات العسكرية التي أحضرها "العاذل سيف الدين أبو بكر" من مصر سنة ٥٨٥هـ، ليمد بها أخيه "صلاح الدين"، وهو بعكا. ابن الأثير، الكامل، مج ١٠، ص ١٨٩؛ سيد علي الحريري، الحروب الصليبية - أسبابها، حملاتها، نتائجها، تحقيق، عصام محمد شبارو، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٨٢.

(١) الفتح القسي، ص ٣٠١. و "القنطاريات" هي رماح الفرنجة، راجع، الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص ١١.

(٢) راجع، الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص ١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص ١٤٨؛ محسن محمد حسين، ص ٣١٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص ٥٧.

الفصل الثاني
رسوم التروس على الفنون
والعمائر الإسلامية

تكشف نماذج التحف التطبيقية والعمائر التي بين أيدينا عن أن تمثيل التروس قد امتد في كثير من أقطار العالم الإسلامي، كإيران، والعراق، والشام، ومصر، والمغرب والأندلس، وإذا أضفنا إلى ذلك تنوع المواد التي مثلت عليها -خزف، وخشب، ومعادن، وحجر، وزجاج، وجلد- هذا علاوة على أنها تغطي فترة زمنية طويلة -تمتد على أقل تقدير فيما بين القرنين الثالث والعاشر الهجريين/ ٩-١٦م- لتبين مدى قيمة دراسة هذه التروس، خاصة أنه إذا كان من الممكن أن يلتبس الأمر على البعض بالنسبة للدروع التي يلبسها المقاتلين وغيرهم، فليس هناك أي مجال للالتباس بالنسبة للتروس.

إيران:

على الرغم من الزخم الشديد في تمثيل مختلف أنواع الأسلحة على أكثر أنواع الفنون التطبيقية وكذا على بعض العمائر الإيرانية؛ فإن ما توصلنا إليه من تروس نُفذت على الفنون التطبيقية قد اقتصر على مادتي الخزف والمعادن، أما على العمائر فقد وصلنا منها نماذج مرسومة بالألوان المائية، وأخرى محفورة على الجص. ويؤخذ في عين الاعتبار أن ما ظهر من التروس على الخزف خاصة له من الأهمية بمكان، إذ أن نماذجها كثيرة، وعلاوة على ذلك فإنها قد ظهرت في موضوعات متنوعة، كما تميزت بتعدد أشكالها.

الخزف:

وصلتنا التروس منقذة على سلطانية^(١) من الخزف ذي البريق المعدني، ترجع إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م، وقد تضمنت هذه السلطانية منظر صيد (شكل ١٧)، قوامه صائد راجل يطعن فهداً بسيف يقبض عليه بيمينه، بينما يسند شماله أعلى ترس من نوعية "كبر التراس" أو التروس المستطالة، ويتميز هذا

(١) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Grube, E., Islamic Pottery of the Eight to the fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976, no. 151

الترس بأن له من أعلى نهاية مستديرة، وينسحب باستدقاق إلى أسفل، منتهياً بذلك القطع؛ الذي يساعد على ارتكازه على الأرض، لذا فلا ريب أن هذا الترس من نوعية "الجنويات". ومما يلاحظ أن الترس مزين ظاهره بزخرفة على هيئة رقعة الشطرنج يحف بها إطار خارجي يدور حول محيط الترس، وأنه يوجد شريط مزدوج قرب الثلث العلوي من الترس، ويرجح موقعه هذا أنه متصل بالمقبض؛ المفترض تواجده بباطن الترس.

جدير بالذكر أن ظهور الترس في موضوع الصيد هذا، يتواءم مع ما سبق ذكره، من أهمية اصطحاب التروس عند صيد الحيوانات المفترسة.



(شكل ١٧) رسم على سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني،
إيران، ق ٦هـ، عن: ويلسون، شكل ١٥.

ومن التروس التي وصلتنا على الخزف الإيراني كذلك؛ ما ظهر على سلطانية^(١) من الخزف المينائي، مؤرخة بشهر صفر سنة ٦١٦هـ / أبريل

(١) محفوظة في "Keir Collection"

١٢١٩م، وعلى هذه السلطانية منظر لأمير مع تابعين على ظهر فيل، ويتقدم الفيل تابع، ومن خلف الفيل رجل، يحمل ترسًا كبيرًا^(١)، وظهور الترس مع هذا الشخص، يُرجح أنه أحد حراس الأمير.

والترس في هذا المنظر من نوعية "كبر التراس" أو التروس المستطالة (شكل ١٨)، يتميز بأنه مستدير من أعلى، منسحب بضيق إلى أسفل، ومنتهيًا بقطع يتيح الارتكاز عليه، أي أنه على شاكلة "الجنويات" أيضًا. ويلاحظ أن الترس مزخرف بخط رأسي في منتصفه، يتوسطه دائرتان صغيرتان مطموستان، وينتهي هذا الخط من أعلى بدائرة صغيرة مطموسة، يعلوها في الجانبين زخرفة على هيئة قوسين صغيرين متدبرين.

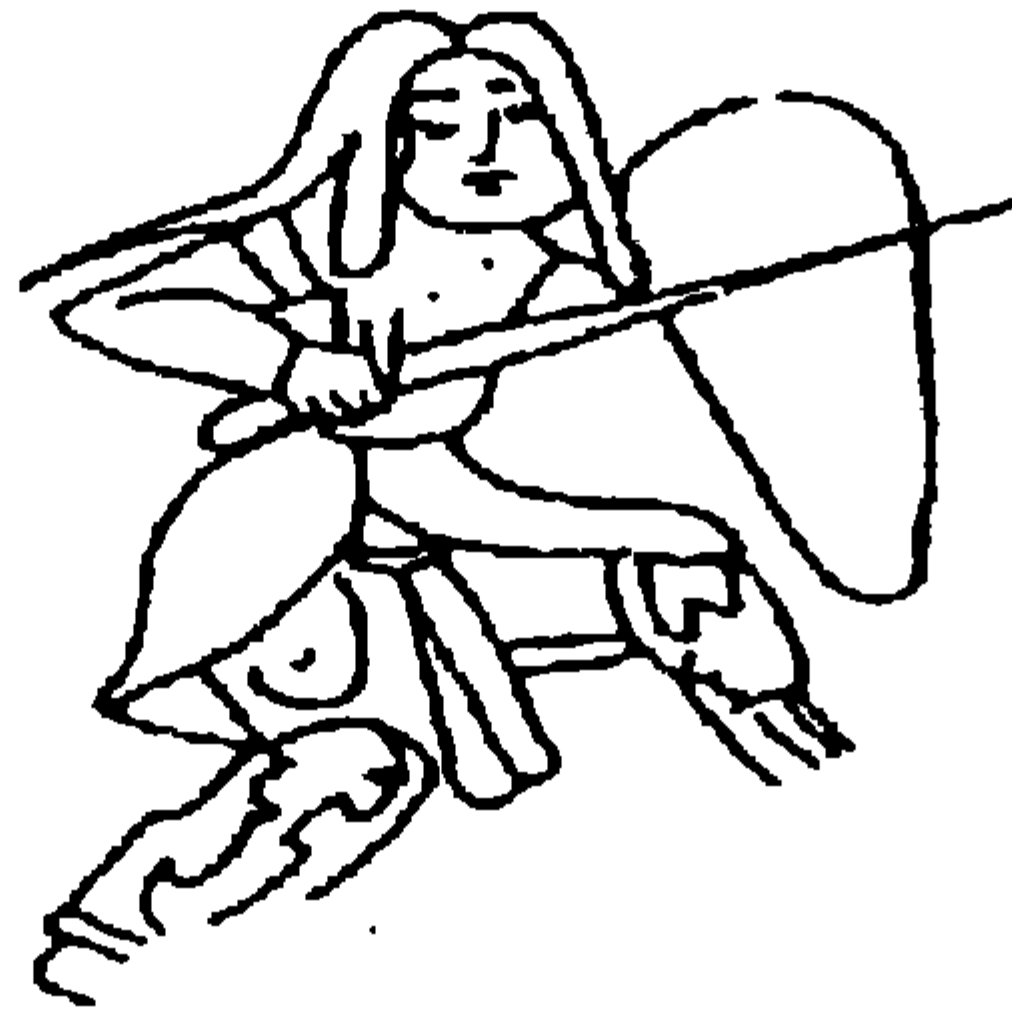


(شكل ١٨) رسم على سلطانية من الخزف المينائي، إيران ٦١٦هـ،
بمجموعة كير، عمل الباحث، انظر: Grube, E., no. 143

(١) Grube, E., no. 143 . ويلاحظ أن الترس هنا ليس كبير الحجم كالترس السابق، ولكن نظرًا لاستطالة هذه النوعية من التروس -التي تُستخدم غالبًا في التقدم لفتح الحصون- فهي تُوصف بـ "كبر التراس". راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٥٠.

كما ظهرت التروس كذلك على سلطانية^(١) من الخزف المينائي، ترجع إلى قاشان في القرن السابع الهجري/ ١٣م، وعلى هذه السلطانية منظر حربي أمام حصن أو قلعة (لوحة ٦ أ)، وظهر فيه بعض المحاربين المترجلين يقبضون على تروس، يتميز معظمها بأنه من النوع مستدير الشكل، ومما يلاحظ أنه قد ظهر في حواف بعضها زخرفة ذات هيئة مفصصة تشبه الوريدة، في محورها دائرة مطموسة مفصصة أصغر حجمًا (لوحة ٢٠، شكل ١٩ أ).

وبالإضافة إلى النوع السابق من التروس، فقد ظهر في هذا المنظر نوع آخر منها؛ وهي تروس على هيئة الطائرة^(٢) "Kit- shaped" تميزت بأنها مستديرة من أعلى، ومنسحبة باستدقاق إلى أسفل (شكل ١٩ ب)، وهي من نوعية "كبر التراس" أو التروس المستطالة، غير أنه يلاحظ أنها ليست مقطوع من أسفل، كالترسين المستطالين السابقين، ومن ثم فهي ليست من "الجنويات"، بل هي "تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلى نقطة محدودة كروؤوس المعاول" وهو الوصف الذي ينطبق على نوع التروس المعروفة باسم "الطوارق".



(١) محفوظ في "Freer Gallery"

(٢) Nicol, D., , pl. 276, p. 253, fig. 19. جدير بالذكر أن هذه النوعية من التروس، ظهرت بمصر في العصر الفاطمي، وعُرفت باسم "التروس النورماندية"، وسوف يكون لنا معها وقفة؛ حين تناول التروس على الفنون والعمائر الفاطمية.



(شكل ١٩ أ، ب) رسمان على سلطانية من الخزف المينائي، إيران، ق
٧هـ، بمجموعة فريز، (شكل أ) عمل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V, pl. 674 (شكل ب) عن: Nicolle, D., fig. 19.

كما ظهرت التروس أيضاً على طبق^(١) من الخزف المرسوم بالبريق المعدني، ينسب إلى "ساوة" في القرن السابع الهجري/ ١٣م، ونرى على هذا الطبق منظرًا قوامه محارب، في مشهد أقرب ما يكون إلى المنظر الاستعراضى، إذ يلاحظ عدم تمثيله لا في موضوع قتال، أو صيد، أو حراسة، بل إنه يحمل فقط أسلحته المتمثلة في سيف يقبض عليه بشماله، وترس في يمينه، ومن غير المستبعد أن يكون هذا المشهد لأحد القادة العسكريين. وعلى أية حال فالترس في هذا المنظر من النوع مستدير الشكل، يلاحظ أنه ظهر من باطنه؛ وقد قبض عليه المحارب من مقبضه (شكل ٢٠).

(١) محفوظ في متحف "الهرمتاج". انظر، Pope, A., vol. V, pl. 643, A



(شكل ٢٠) رسم على صحن من الخزف المينائي، إيران، ق
٧هـ، عمل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V, pl. 643.

وظهرت التروس كذلك على كسرة^(١) من الخزف المينائي، ترجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، عليها منظر لفتى مترجل يهجم على آخر^(٢)، ويقبض المهاجم بيمينه على سيف، وبشماله على ترس يرفعه أمامه عند مستوى رأسه تقريباً، والترس هنا من النوع المستدير، وهو مقبب في المنتصف، منحني الأطراف إلى الخارج، ويلاحظ أنه مخصر في الوسط، ويخرج من هذا التخصير إلى الخارج نتوء بارز إلى الأمام (شكل ٢١).

(١) محفوظة في مجموعة خاصة بنيويورك.

(٢) هذا الموضوع مستمد من قصة "منيزة" و"بزن"، الواردة في "الشاهنامه"، ويظهر هنا "Tûr"

يهجم على أخيه خ "raj". للاستزادة راجع، Schmits, B., A Fragmentary Mîna'î Bowl with Scenes from the Shâhnâma, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, Edited by Hillenbrand, California, 1994, pp. 156- 157, pl. 156.



(شكل ٢١) رسم على كسرة من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة خاصة بنيو يورك، عمل الباحث، انظر: Schmits, B., pl. 156

وعلاوة على الأمثلة السابقة، فقد ظهرت التروس كذلك على سلطانية من الخزف^(١) تُنسب إلى ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين / ١٣ - ١٤م (لوحة ٢١)، وقد تضمنت هذه السلطانية، دائرة كبيرة في المنتصف، يشغلها محارب راجل، يقبض في يمينه على ترس وفي شماله على سيف، ويحف بهذه الدائرة شريط دائري مشغول برسوم طيور محلقة على أرضية نباتية.

والموضوع في هذا المنظر يذكرنا بمناظر المحاربين ذات الطابع الاستعراضية، إذ أن المحارب هنا لا هو في منظر حرب ولا في منظر حراسة. على أية حال، فالترس هنا من النوع المستدير، يُلحظ أن ظاهره مشغول في المركز بدائرة صغيرة، تخرج منها إلى حافة الترس خطوط منحنية، في هيئة مروحية الشكل (شكل ٢٢)، مما قد يستدل منه على أن الترس مقبب الوسط.

(١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ١٨٢٦٥.



ويلاحظ من خلال النماذج السابقة، أنه باستثناء الترس المنفذ على سلطانية الخزف الصفوي، فإن تمثيل التروس قد شاعت على الخزف الإيراني بصفة خاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / ١٢ - ١٣م، وأن هذه التروس ظهرت في موضوعات متنوعة تمثل صيد حيوانات مفترسة، وحراسة الشخصيات المهمة، والمعارك الحربية أو القتال، هذا بالإضافة إلى موضوعات قد تمثل مناظر تذكارية.

وقد ظهر في هذه الموضوعات كلا الشكلين من التروس -المستديرة، والمستطالة- والنوع المستدير ظهر لنا في أربعة نماذج، أحدها: تميز بحافة ومركز ذات هيئة مفصصة الشكل، والثاني: ظهر الترس من باطنه؛ فلم يُنحَ التحقق من هيئة ظاهره، أما الثالث: فقد تميز بتقبيبة في وسطه، يتوسطها تَخْصِيرٌ؛ خرج منه تنوء بارز، أما الرابع: فتميز بخطوطه المنحنية -التي تخرج من مركز ظاهر الترس- مشكلة هيئة مروحية الشكل، تُشير هيئتها إلى أن الترس مقبب الوسط. أما النوع المستطال فقد ظهر في ثلاثة نماذج، تميزت بأنها مدورة من أعلى وتنسحب باستدقاق إلى أسفل، ولوحظ أن اثنين منها لهما قطع صريح

من أسفل، ومن ثم فهما من نوع "الجنويات"، أما الثالث فإنه غير مقطوع من أسفل، وأقرب ما يكون إلى رأس المعول، ومن ثم فهو من نوع "الطوارق".

المعادن:

يبدو أن التروس لم تكن من بين الأسلحة التي شاع تنفيذها على المعادن الإيرانية، إذ لم أقف من التحف المعدنية الإيرانية إلا على نموذج وحيد تضمنها، وهو عبارة عن صحن من الفضة^(١)، يُنسب إلى القرنين الثالث أو الرابع الهجريين/ ٩ - ١٠م، عليه حفر يُمثل حصار قلعة^(٢). وفيه تظهر مجموعتان من الفرسان يحاصرون القلعة من جانبيها، وقد تسلحوا بأنواع مختلفة من الأسلحة الهجومية والدفاعية (لوحة ٨)، كما تظهر فيها كذلك مجموعة من المحاربين يعتلون القلعة ويدافعون عنها.

وقد ظهرت التروس مع فارسين من فرسان المجموعة التي على شمال الناظر، فأحدهم - وهو الذي يظهر من أسفل - يقبض بشماله على ترس مستدير الشكل، كما أن أحد الفارسين - اللذين من أعلى هذه المجموعة - يحمل بين منكبيه - العاتق - ترسا من النوع المستدير أيضا.

وعلاوة على ذلك فإن أحد أفراد مجموعة المحاربين المدافعين عن القلعة، يقبض بشماله على ترس من النوع المستدير، كما أن أحدهم يحمل بين منكبيه ترسا من النوع المستدير أيضا.

جدير بالذكر أن ابن منكلي أشار إلى أن التراس تُحمل على جهات مختلفة، كأن يُتقلد به في العنق^(٣)، أو يُتقلد به في العاتق^(٤)، وذكر أن ذلك يكون عن

(١) محفوظ في متحف الهرميتاج.

(٢) انظر، حسن الباشا، الموسوعة، لوحة ٩٥٠، ص ٩٤.

(٣) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩.

(٤) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٤٨.

طريق سير -يسمى الحميلة- تُعقد في حلق بطرف الترس، وأنه ينبغي أن تكون هذه الحميلة بمقدار طول مناسب؛ بحيث لا تعوق المحارب عند رميه النشاب، أو مسكه الرمح^(١).

العمارة:

وصلتنا تصويرة جدارية^(٢) منقذة بالألوان المائية -الفريسكو- من نيسابور، تُنسب إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الهجري/ ٨ - ٩ م، عليها موضوع صيد، قوامه فارس يرتدي ملابس ثمينة، ويضع على رأسه خوذة، ويمتطي هذا الفارس صهوة جواده الراكض، حاملاً بازاً فوق راسه الأيسر، ممسكاً عنان فرسه بيمينه، وقد أشار بعض العلماء إلى أن هذا الفارس يربط في سرج فرسه مصطاده؛ الذي يبدو أنه أرنب بري، كما أنه يحمل معه سيفين، هذا بالإضافة إلى ترس مستدير الشكل^(٣)؛ يظهر معلقاً أعلى سرج الفرس، بالقرب من هادي الفرس (لوحة ٢٢).

وبالإضافة إلى النموذج السابق فقد وصلنا نقش من إيران منقذ على الجص^(٤)، يرجع إلى القرن الخامس الهجري/ ١١ م، قوامه شخص -لعله محارب- مترجل يقبض بشماله على سيف، ويمسك عنان فرسه بيمينه،

(١) راجع له، الحيل في الحروب، ص ٤٨، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩. وعن الحميلة، ومقدار طولها. راجع، ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩.

(٢) محفوظة حالياً في متحف طهران.

(٣) ديماند، م. س، الفنون الإسلامية، ترجمة، أحمد عيسى، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ م، ص ٣٨؛ أبو الحمد محمود فرغلي، التصوير الإسلامي، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٦٨؛ وعن هذا المنظر. انظر كذلك، عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٦ م، لوحة ٨٣.

(٤) محفوظ في متحف "الوفر" بباريس. انظر، Nicolle, D., pl. 251, p. 252, fig. 3

ويلاحظ أنه معلق ترس على الجانب الأيمن من سرج الفرس، وهذا الترس من النوع مستدير الشكل (شكل ٢٣).



(شكل ٢٣) نقش على الجص، إيران، ق ٥ هـ، بمتحف اللوفر، عن: Nicolle, D., fig. 3

وترجع أهمية الترسين في المنظرين السابقين، إلى أسلوب حملهما بتطبيقاتهما في سرجي الفرسين^(١)، وحرص الفنان على إظهار التروس هنا، رغم عدم استعمالهما، يؤكد الحرص على اصطحابها، وإذا كان من الطبيعي أن يحمل المحارب معه ترسه، ولا يستعمله إلا عند القتال، فقد سبقت الإشارة إلى أنه من الضروري أيضاً أن يصطحب الصائد معه ترسه، لحاجته إليه عند صيد الحيوانات

(١) رغم أن هناك إشارة تفيد بوجود هذا الأسلوب من حمل التروس في المصادر المكتوبة. راجع، Nicolle, D., p. 252, pl. 251، فيبدو أن هذا الأسلوب لم يكن شائع الاستعمال، وقد أورد ابن منكلي أساليب كثيرة لحمل التروس، لم يكن منها هذا الأسلوب. راجع له، الحيل في الحروب، ص ٤٨، ٥١. ولعل أكثر الأساليب شيوعاً ما سبق ذكره - حمل الترس، هو أن يتقلد به في العائق أو في العنق بواسطة الحمايل. عن هذه الطريقة في حمل التروس. راجع، ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٩؛ الحيل في الحروب، ص ٤٨.

المفترسة، أو عندما يهجم أحدها عليه أثناء الصيد.

ومما سبق يتضح أن التروس قد نفذت على الفنون والعمائر الإيرانية في نماذج ترجع إلى ما بين القرنين الثاني والعاشر الهجريين / ٨ - ١٦ م، ويؤخذ في عين الاعتبار غلبة ظهور التروس المستديرة بوجه عام، وأن التروس المستطالة لم تظهر سوى في نماذج ترجع إلى القرنين السادس والسابع الهجريين / ١٢ - ١٣ م.

العراق:

ظهرت التروس منفذة في الفنون التطبيقية العراقية، على مادتي الخزف والمعادن، كما كان الحال في الفنون التطبيقية الإيرانية، ولكن يلاحظ ندرة النماذج الممثلة على الخزف، وثرائها على المعادن، وهو عكس ما وجدناه في إيران.

الخزف:

المثل الوحيد الذي وقفت عليه لتروس منفذة على الخزف العراقي، ظهر على سلطانية^(١) من الخزف ذي البريق المعدني، ترجع إلى القرن الرابع الهجري / ١٠ م، وعلى هذه السلطانية منظر لفارس محارب يستعرض قدراته العسكرية، حيث يظهر رافعاً بشماله ترس من النوع مستدير الشكل، قابضاً عليه من مقبضه، الذي بدا على هيئة شريطين متقاطعين "Cross"، كما يرفع هذا الفارس بيده الأخرى إلى أعلى سيفاً (لوحة ٢٣، شكل ٢٤)، ويلاحظ أن الموضوع هنا لا يمثل مناظر القتال، أو الصيد، أو الحراسة، مما يرجح أن يكون منظرًا تذكاريًا لأحد الفرسان المحاربين.

(١) محفوظة في "Keir Collection"



(شكل ٢٤) رسم على سلطانية من الخزف ذي البريق
المعدني، العراق، ق ٤هـ، بمجموعة كير، عمل الباحث،
انظر: Grube, E., no. 37

المعادن:

ظهرت التروس على المعادن العراقية في تحفة تعد من أهم ما وصلنا من التحف المعدنية الموصلية، وهو إبريق^(١) من النحاس الأصفر المكفت بالفضة والنحاس الأحمر، من "نقش شجاع بن منعة الموصل بالموصل" في شهر رجب سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م، وقد زين بدن هذا الإبريق بأشرطة أفقية، يتخللها جامات تحتوي على موضوعات تصويرية مختلفة^(٢)، وفي إحدى هذه الجامات؛ يظهر شخصان يتبارزان: أحدهما يمتطي صهوة جواده، والآخر مترجل بالقرب من مؤخرة الجواد، ويقبض كل منهما بيمينه على سيف، وبشماله على ترس،

(١) محفوظ في "المتحف البريطاني" بلندن.

(٢) انظر، Barrett, D., Islamic Metalwork in the British Museum, London, 1949, p. xii, pls. 12- 13; Ward, R., Islamic Metalwork, British Museum, London, p. 80, pl. 59.

والترسان من النوع مستدير الشكل، ولكل منهما دائرة واضحة في المنتصف،
لعلها تُعبر عن النهْد الذي يكون في منتصف هذه النوعية من التروس (لوحة
٢٤، شكل ٢٥ أ).

ونرى في جامعة أخرى بنفس هذا الإبريق منظر مبارزة بالسيف؛ بين
راجلين، كل منهما يقبض أيضاً بيمينه على سيف وبشماله على ترس (شكل ٢٥
ب)، والترسان لا يختلفان في شيء عن هيئة الترسين الممثلين في الجامعة
السابقة. ويلاحظ على هذا المنظر نجاح الفنان في التعبير عن موضوع المبارزة،
واستعمال السيف والترس، وما يتبع ذلك من حركات متنوعة، فبينما نجد أحد
المتبارزين - الأيمن - واقفاً على رجليه، مقدماً اليسرى ومؤخراً اليمنى، ونصف
بدنه الأعلى مشكلاً هيئة زاوية قائمة مع نصف بدنه الأسفل، رافعاً سيفه خلف
رأسه، يهم بأن يضرب به غريمه، فإن هذا الغريم؛ يرفع ترسه إلى أعلى في
وضع استعداد لتلقي ضربة السيف. ومن ناحية أخرى فيلاحظ أن المبارز الآخر -
اليسر - قد جثم على الأرض بركبته اليمنى، مقدماً رجله اليسرى إلى الأمام،
موجهاً سيفه في وضع طعن إلى أسفل بدن المبارز المنافس، بينما يقوم هذا
المنافس بتوجيه ترسه أمامه ولأسفل، مستعداً لتلقي تلك الطعنة.

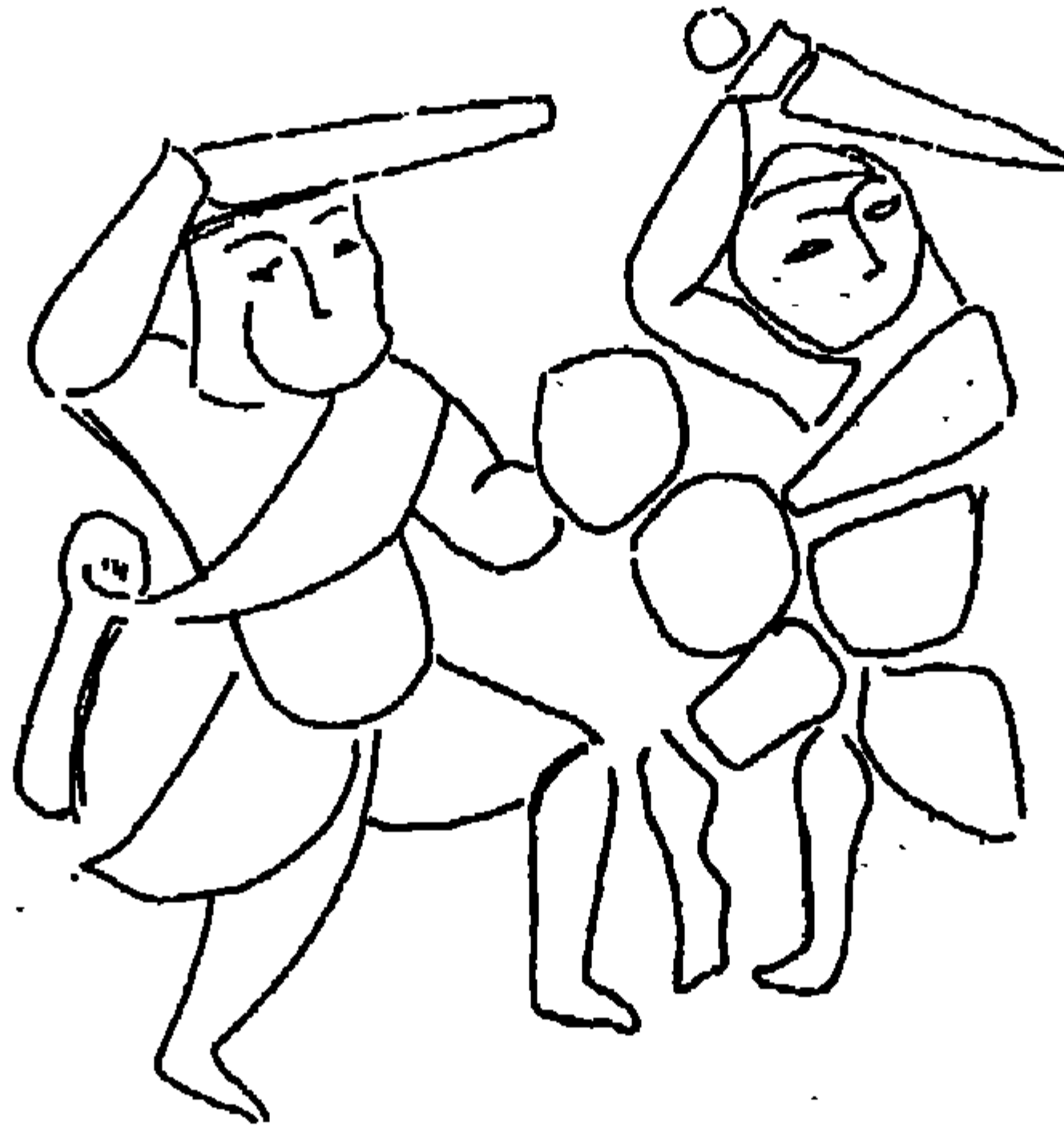
وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فتظهر التروس أيضاً بهذا الإبريق، في مناظر
الصائدين المنفذين على الشريط الذي يدور حول البدن^(١)، وهي لا تختلف من
حيث الهيئة عن التروس المنفذة في الجامتين السابق وصفهما، ويبدو الصائدون
في هذه المناظر يصطادون حيوانات بسيوف يقبضون عليها بأيامتهم، ويتترسون
بتروس يحملونها بشمائلهم.

(١) انظر، Ward, R., pl. 59



(شكل ٢٥ أ، ب) رسمان على إبريق من النحاس، العراق، ٦٩٢هـ،
بالمتحف البريطاني، عن: ويلسون، الرسمان ١٦، ١٧.

كما ظهرت التروس كذلك على المعادن العراقية في منظر مبارزة؛ بإحدى الجامات التي تزين صينية^(١) من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، وهي تحمل اسم الأمير "بدر الدين لؤلؤ" (٦٣١ - ٦٥٧هـ)، والمبارزة تدور رحاها بين راجلين؛ كل منهما يقبض بيمينه على سيف يرفعه أعلى رأسه، ويقبض بشماله على ترس يوجهه أمامه، وكلا الترسين من النوع المستدير (شكل ٢٦). ويلاحظ هنا قدرة الفنان ونجاحه في إبراز الحركات المتنوعة التي تصاحب مثل هذه المبارزات، وهو ما يتضح في حركات أرجل المتبارزين، وفي حركات ذراعي كل منهما، الممسك إحداها بالسيف والآخر بالترس.



(شكل ٢٦) رسم على صينية بدر الدين لؤلؤ، (٦٣١ - ٦٥٧هـ) —
بمتحف الفنون الشعبية بميونخ، عن: العبيدي، شكل ١٠٣.

ومما يلاحظ على التروس التي وصلتنا منقذة على التحف العراقية، أنها ظهرت على الخزف في موضوع استعراض، ربما يكون منظراً تذكاريًا لأحد القادة العسكريين، أما على المعادن فقد ظهرت في موضوعات تمثل المبارزة

(١) محفوظة في متحف "ميونخ". عنها انظر، صلاح حسين العبيدي، شكل ١٣٠.

والصيد، وإن كانت المبارزة هي الأكثر تمثيلاً. ومن الجدير بالذكر أن التروس في جميع النماذج العراقية السابقة، قد اقتصرت على النوع مستدير الشكل، ولم تظهر فيها "كبر التراس"، أو التروس المستطالة؛ التي على شاكلة الجنويات، أو الطوارق.

الأناضول:

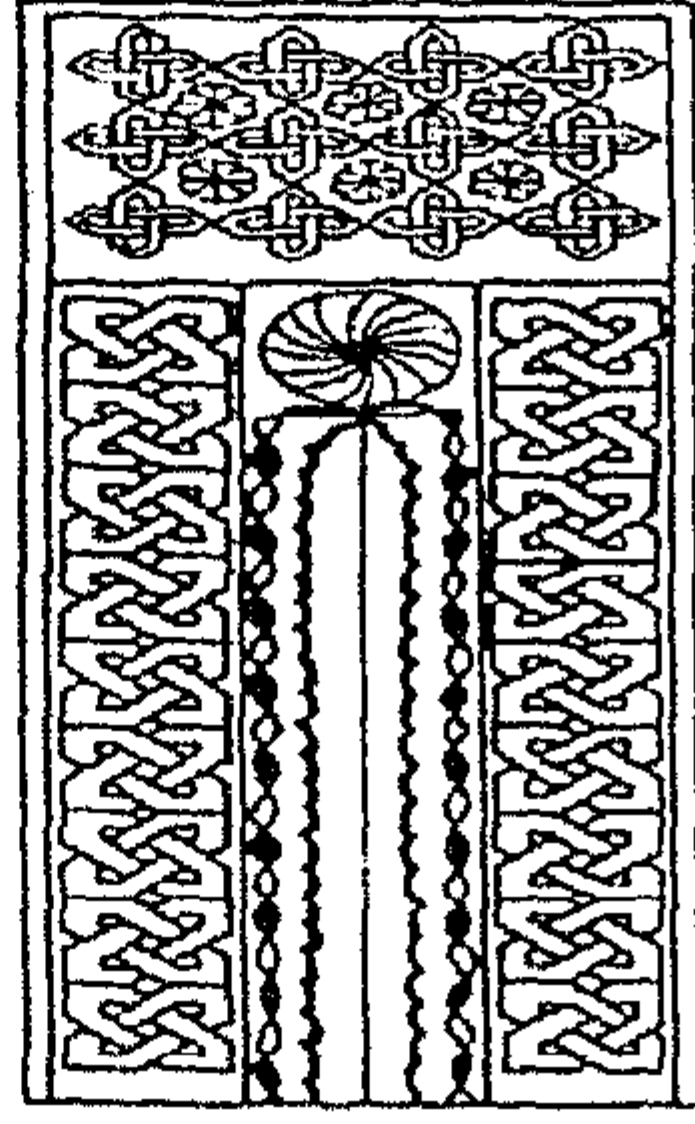
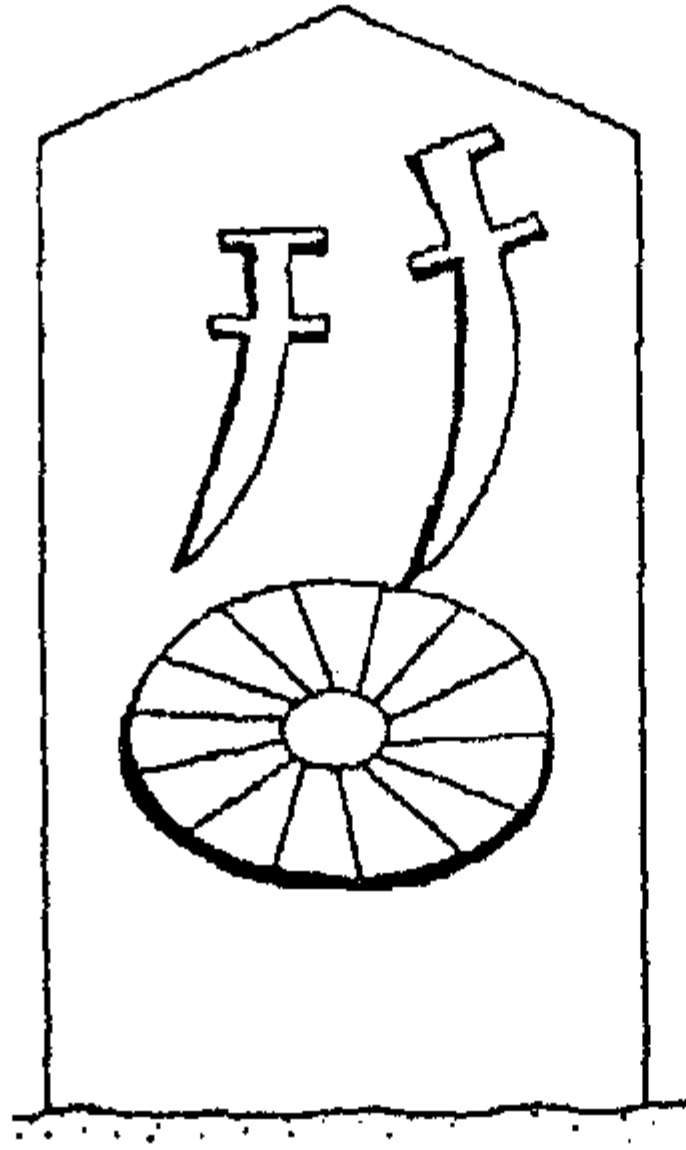
وصلنا نقش بارز^(١) من قونية يرجع إلى القرن السابع الهجري / ١٣م، من عهد سلاجقة الروم، قوامه محاربان مترجلان متقابلان، يرتدي كل منهما درعاً كاملاً؛ ويقبض بيمينه على سيف، ويعنينا في هذا الموضع أن أحدهما -الأيمن- يحمل ترساً مستدير الشكل، ويلاحظ أنه يقبض على الترس من مقبضه؛ الذي مثل على هيئة شريط متسع عند حافة الترس، ويأخذ في الاستدقاق ناحية القبضة (شكل ١٤).

وعلاوة على النقش السابق فقد أكتشفت في منطقة "Bitlis" وفي القرى والنواحي المحيطة بها، أعداد كبيرة من شواهد القبور، وقد تضمنت هذه الشواهد التي ترجع إلى ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين / ١٤ - ١٦م، كتابات وزخارف متنوعة، يعنينا منها في هذا السياق أنه ظهر على بعضها أشكال تروس مستديرة الشكل (شكل ٢٧ أ)، وعلى كثير منها أشكال تروس مستديرة الشكل أيضاً، وبجانبها نقوش لسيوف أو خناجر^(٢) (شكل ٢٧ ب).

(١) محفوظ في متحف "الفن التركي" باستانبول. انظر، Nicoll, D., pl. 22, p. 253, fig. 22

(٢) للاستزادة راجع، Paktaş, K., Bitlis Çevresind Bilinmeyen Mezarlıklar ev Mezar Taşları, I. Uslar Arası Selçuklu Kültür ev Medemiyeti Kongresi, Bildiriler, II. Cilt, Selçuk Üniversitesi Selçuklu Araştırmaları Merkezi, Konya, Türkiye, 2001, pp. 203- 222.

ب



ا

(شكل ٢٧ أ، ب) نقشان على شاهدي قبر، الأناضول، ق

٨ - ٩ هـ، عن: Pektaş, K., Çizim, 7, 10.

سوريا:

ظهرت التروس منفذة في الفنون التطبيقية السورية على الخزف، والمعادن، كما هو الحال في إيران والعراق وعلاوة على ذلك فقد ظهرت ممثلة أيضاً على الزجاج.

الخزف:

ظهرت التروس في الخزف السوري منفذة على صحن من النوع المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء^(١)، يُنسب إلى مدينة الرقة، في أواخر القرن السادس الهجري/ ١٢م، وقوام الزخرفة في هذا الصحن؛ منظر لفارس في موضوع صيد، يبدو قابضاً بيمينه على سيف، وبشماله على ترس، يدفعه أمامه ليقى نفسه من حيوان مفترس هجم على جواده من الخلف، والترس هنا على هيئة مثلث قاعدته من أعلى، وهو مزين بزخرفة زجاجية (شكل ٢٨). ومن الجدير بالذكر غرابة هذا الشكل من التروس، فلا هو مستدير الشكل، ولا مستطال على نحو الجنويات

(١) محفوظ في متحف برلين. انظر، Lane, A., Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt, and Persia, London, p. 44, pl. 78 A

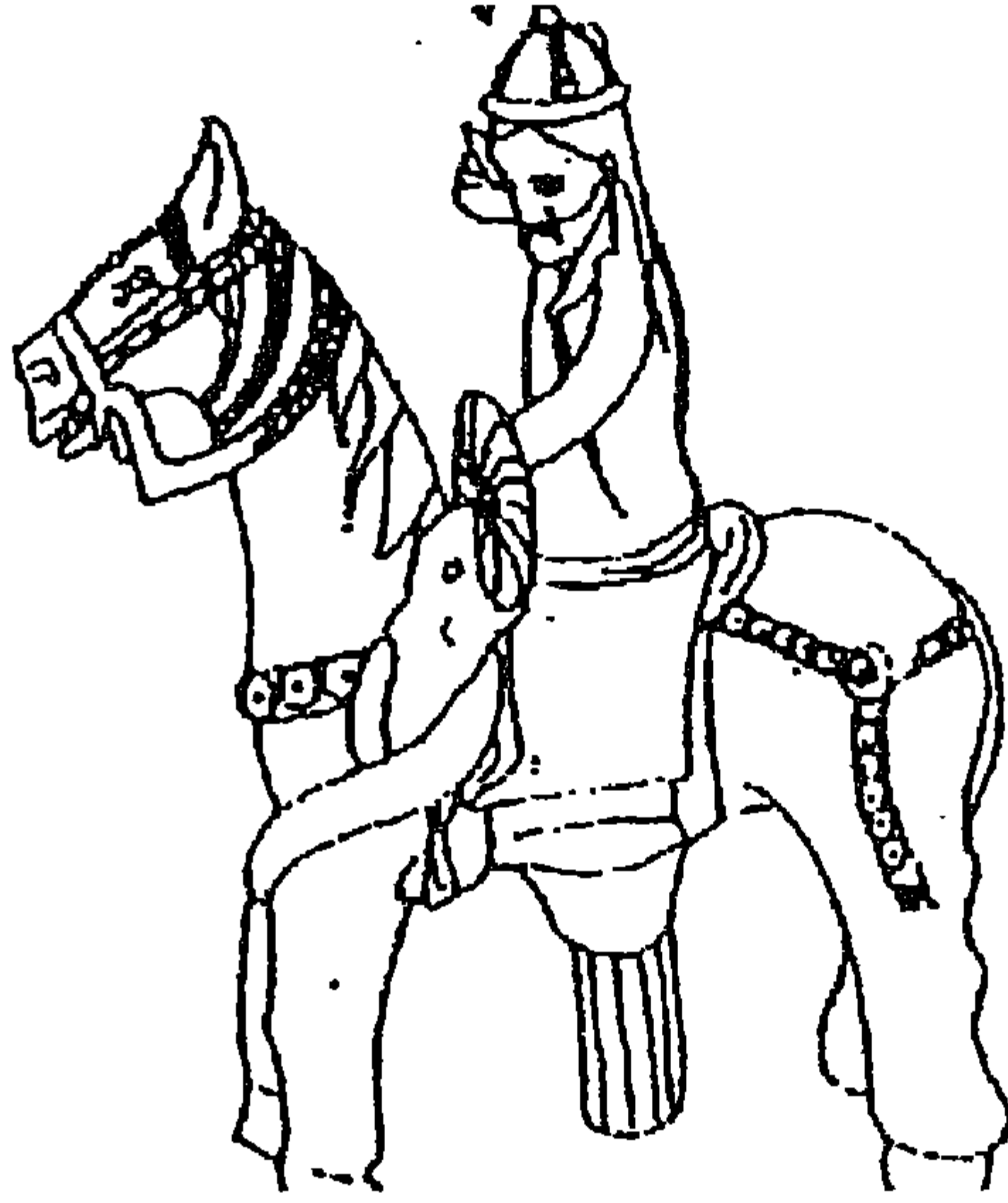
أو الطوارق، وفي حدود علمي فلم يرد له مثيل فيما بين أيدينا من أوصاف لأشكال التروس، أو فيما وصلنا بالفعل من التروس، كما أنه لا شبيه له منقذ على أي من الفنون التطبيقية أو العمارات الخاضعة للدراسة.



(شكل ٢٨) رسم على صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء،
سوريا، ق ٦ - ٧ هـ، عمل الباحث، انظر، Lane, A., pl. 78 A.

كما تظهر التروس كذلك في تمثال^(١) من الخزف المرسوم بألوان متعددة، عُثر عليه في الرقة، يُنسب إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م، وهذا التمثال عبارة عن محارب يمتطي صهوة جواده، متسلحًا بسيف يقبض عليه بيمينه، وبترس في شماله؛ والترس من النوع مستدير الشكل، تتوسطه دائرة مركزية تخرج منها إلى الحافة خطوط مقوسة، تشكل هيئة مروحية الشكل (شكل ٢٩)، والمنظر هنا لا يُعبر عن موضوع بذاته، كموضوعات الحراسة، أو الصيد، أو المبارزة، لذا فليس من المستبعد أنه يمثل موضوعًا تذكاريًا، لأحد الشخصيات العسكرية.

(١) محفوظ في متحف دمشق. عنه انظر، عفيف بهنسي، شكل ٢٩٥.



(شكل ٢٩) رسم لتمثال من الخزف المرسوم تحت الطلاء، الرقة

ق ٦هـ، بمتحف دمشق، عن: Nicolle, D., fig. 9

وفيما يتعلق بالتماثيل أيضاً، فقد وصلنا سداة قارورة^(١) من الرقة، تُنسب إلى القرن السادس الهجري / ١٢م، يعطوها تمثال نصفي لمحارب، يضع على رأسه خوذة مخروطية الشكل، ويقبض بشماله على ترس يرفعه أمامه، وهذا الترس من النوع المستدير، وفي منتصفه دائرة كبيرة الحجم، يحيط بها مناطق دائرية أصغر حجماً (شكل ٣٠)، ولعل الدائرة الكبيرة الوسطى، تعبر عن النهْد؛ الذي يكون في هذه النوعية من التروس، أما الدوائر الصغيرة فهي تُعبر عن البروزات التي تحيط بها.

(١) محفوظة في متحف "Staatliche"، ببرلين. ويؤخذ في عين الاعتبار عدم توافر الإشارة على

وجه التحديد - إلى مادة صناعة هذا التمثال، انظر، Nicolle, D., pl. 256, p. 252, fig. 8



(شكل ٣٠) رسم لسدادة قارورة، الرقعة، ق ٦هـ، بمتحف
"Staatlich"، عن: Nicolle, D., fig. 8.

الزجاج:

وصلتنا قنينة^(١) من الزجاج ذات الزخارف المذهبة والمطلية بالمينا، تُنسب إلى أوائل القرن الثامن الهجري/ ١٤م، ظهر يُزين الجزء الرئيس من بدنها، منظر قوامه مجموعة من المحاربين، يمتطون صهوات جيادهم الراكضة، وقد تسلحوا بمختلف أنواع الأسلحة الهجومية كالسيوف، والرماح، والقسى، والدبابيس^(٢). ويظهر من بينهم فارسان متقابلان يتبارزان بالسيوف، يلاحظ أن الفارس الواقع منهما على اليمين (لوحة ٢٥)، يقبض بشماله على سيف، بينما يقبض بيمينه على ترس، ظهر من باطنه، وهو ترس من النوع مستدير الشكل.

المعادن:

ظهرت التروس على تحفة معدنية تحمل اسم الملك الأيوبي "الأشرف موسى"

(١) محفوظة في متحف "المترو بوليتان" بنيويورك.

(٢) ديماند، ص ٢٤٥.

(٦٢٦ - ٦٣٥ هـ)، وهي عبارة عن كأس^(١) من النحاس المكفت بالفضة، يظهر فيها شريط يحتوي على كتابات حية، يشكل هامات حروفها محاربين، يحمل بعضهم تروسًا؛ من النوع مستدير الشكل^(٢)، يلاحظ وجود دائرة في مركزها، تشع منها خطوط تتجه إلى حافة الترس.

كما ظهرت التروس على المعادن السورية في جامة من جامات زهرية^(٣) من النحاس المكفت بالفضة، تحمل اسم الملك الأيوبي "الناصر صلاح الدين يوسف الثاني"، (٦٣٥ - ٦٥٩ هـ)، فيها منظر مبارزة بين شخصين، يمسك كل منهما بالسيف والترس^(٤).

وظهرت التروس كذلك على زمزية^(٥) من النحاس المكفت بالفضة، تُنسب إلى سوريا في القرن السابع الهجري/ ١٣م، حيث نجد فيها بعض المحاربين المشكلين لهامات حروف كتاباتها، وقد أمسكوا في شمائلهم رماحًا، ويقبضون بأيامانهم على تروس من النوعية مستديرة الشكل (شكل ٣١)، تميزت بأنها مقببة في المنتصف.

(١) محفوظ في "المكتبة الأهلية" بباريس. انظر، عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١، المتحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٦٧، لوحة ٢٩؛ حسين مصطفى رمضان، الكتابات المصورة على المتحف المعدنية في القرنين ٦-٧ / ١٢ - ١٣م)، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٣٠ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٩٩٨م)، ص ٤٠٨، ٤٠٩، شكل ٧.

(٢) من الجدير بالذكر، أن المحاربين المشكلين لهامات الحروف، والممسكين بتروس من النوع المستدير، قد ظهرت في ثمة نماذج معدنية أخرى. راجع، حسين مصطفى رمضان، ص ٤٠٩، الأشكال ٧، ٨، ١٧ - ١٩.

(٣) محفوظة في متحف "الوفر" بباريس.

(٤) عبد العزيز صلاح سالم، ص ١٧٤.

(٥) محفوظة في "Freer Gallery" بواشنطن. انظر، حسين مصطفى رمضان، شكل ٦؛ وعن هذه الزمزية راجع، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي،

ص. ص ١٦٠ - ١٦٣؛ Atil, E., Art of the Arab World, pp. 72- 73



(شكل ٣١) رسم على زمزية من النحاس، سوريا، ق
٧هـ، بمجموعة فريز، عن: رمضان، شكل ٦.

وعلاوة على ما تقدم، فقد ظهر يُزين أعلى رقاب أحذية بعض الأمراء في الشريط الخارجي الذي يُزين الطست المعروف باسم "معدانة سان لوي"، والمنسوب إلى سوريا فيما بين سنتي ٦٨٩ - ٧١٠هـ، زخارف على هيئة التروس، ونجد فيها كلا النوعين من التروس، التروس المستديرة: ونجدها تزين رقبتي حذاء الجمقدار (اللوحتان ١١، ٢٦)، والتروس الخطافية "النورماندية - أو الطوارق": وهي تزين رقبتي حذاء السلاحدار (اللوحتان ١٠، ٢٧)، ورقبتي حذاء الجمدار (لوحة ١١). وإذا كان قد مر بنا حرص الأمراء المماليك على وضع رنوكهم على "بركستونات" خيولهم، كحرصهم على وضعها على منشآتهم، وأسلحتهم، فهنا دليل على حرصهم أيضاً على وضعها حتى على أحذيتهم.

ومن خلال النماذج السابقة يتضح أن استعمال التروس على التحف السورية، قد ظهر في موضوعات تمثل الصيد، وأخرى تمثل القتال والمبارزة، هذا بالإضافة إلى ظهورها في مناظر لا تمثل موضوعاً بعينه؛ لذا فربما كانت تمثل مناظر

تذكارية لبعض العسكريين. كما يلاحظ أن أكثر ما وصلنا من التروس المنفذة على تلك التحف السورية، هي التروس المستديرة، وإن كنا لم نعد تمثيل التروس المعروفة باسم "التروس النورماندية" أو "الطوارق"، هذا إلى جانب نموذج فريد تميز بأنه مثلث الشكل.

مصر:

شاع تمثيل التروس إلى حد كبير على كثير من أنواع الفنون التطبيقية المصرية؛ فقد وصلتنا منفذة على الخزف، والخشب، والعاج، والمعادن، والجلد، والنسيج، وبالإضافة إلى ذلك فقد وصلتنا منها نماذج محفورة على بعض العمائر الحربية.

الخزف:

ظهرت التروس على الخزف الفاطمي في كسرة^(١) من النوع ذي البريق المعدني، تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس الهجريين / ١٠ - ١١م، عليها منظر قوامه راجل يحمل رمحاً في يمينه، وترساً في شماله، ويتميز هذا الترس بأنه من أعلى ذو هيئة مستديرة، ومنسحب باستدقاق إلى أسفل (لوحة ٢٨، شكل ٣٢). ورغم وجود كسر في نهايته السفلى؛ فيمكننا الإقرار بأن نهاية هذا الترس كانت مدببة الشكل^(٢)، وهذه النوعية من التروس ظهرت بمصر كما يرى بعض العلماء - في العصر الفاطمي، بتأثير من الحروب الصليبية، وهي تُعرف باسم التروس "النورماندية"، أو التروس خطافية الشكل^(٣)، أو التي على شكل المنطاد

(١) انظر، Butler, A., Islamic Pottery, London, 1926, pl. IX. F

(٢) يرجع اطمئناننا نظراً لأن نهاية هذه النوعية من التروس؛ التي ظهرت بمصر خلال العصر الفاطمي، كانت مدببة.

(٣) راجع، محمود إبراهيم حسين، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، ج ١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥٢.

أو الطائرة "Kite- shapd"^(١)، وسوف يتبين فيما بعد أن هذه التروس هي التروس نفسها المعروفة باسم "الطوارق".

على أية حال فليس في المنظر المصور على هذه القطعة ما يشير إلى موضوع بذاته، ومن ثم فليس من المستبعد أن يكون منظرًا تذكاريًا لأحد المحاربين، أو لأحد حراس القصور الفاطمية.



(شكل ٣٢) رسم على كسرة من الخزف ذي البريق المعدني، مصر، ق

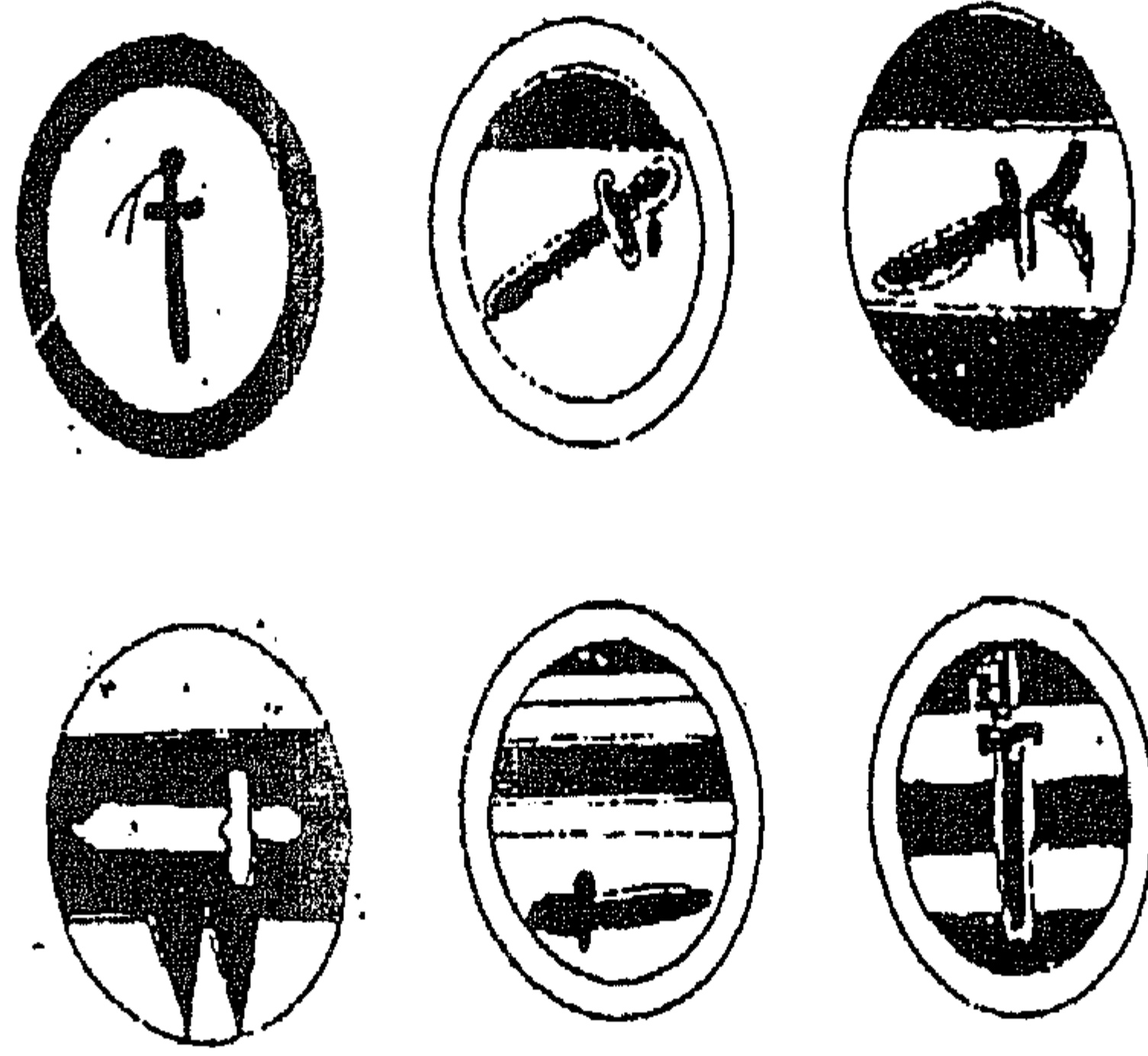
٤ - ٥ هـ، عمل الباحث، انظر: Butler, A., pl. IX, F

ونظرًا لعدم ظهور التروس على تحف خزفية ترجع إلى العصر الأيوبي، فننتقل من التروس المنفذة على الخزف الفاطمي إلى تلك التي ظهرت في العصر

(١) راجع، Creswell, K., The Muslim Architecture of Egypt, vol. I, Ikhshids and Fatimids, A. D. 939- 1171, Oxford, 1951, p. 213؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في

مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، (دراسة أثرية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٧٣١، ٧٣٢.

المملوكي، حيث نجد أن التحف المملوكية الفخارية المطلية، قد احتوت على أعداد هائلة من الرنوك^(١)؛ التي ظهر أغلبها داخل دوائر على هيئة التروس المستديرة^(٢) (شكل ٣٣).



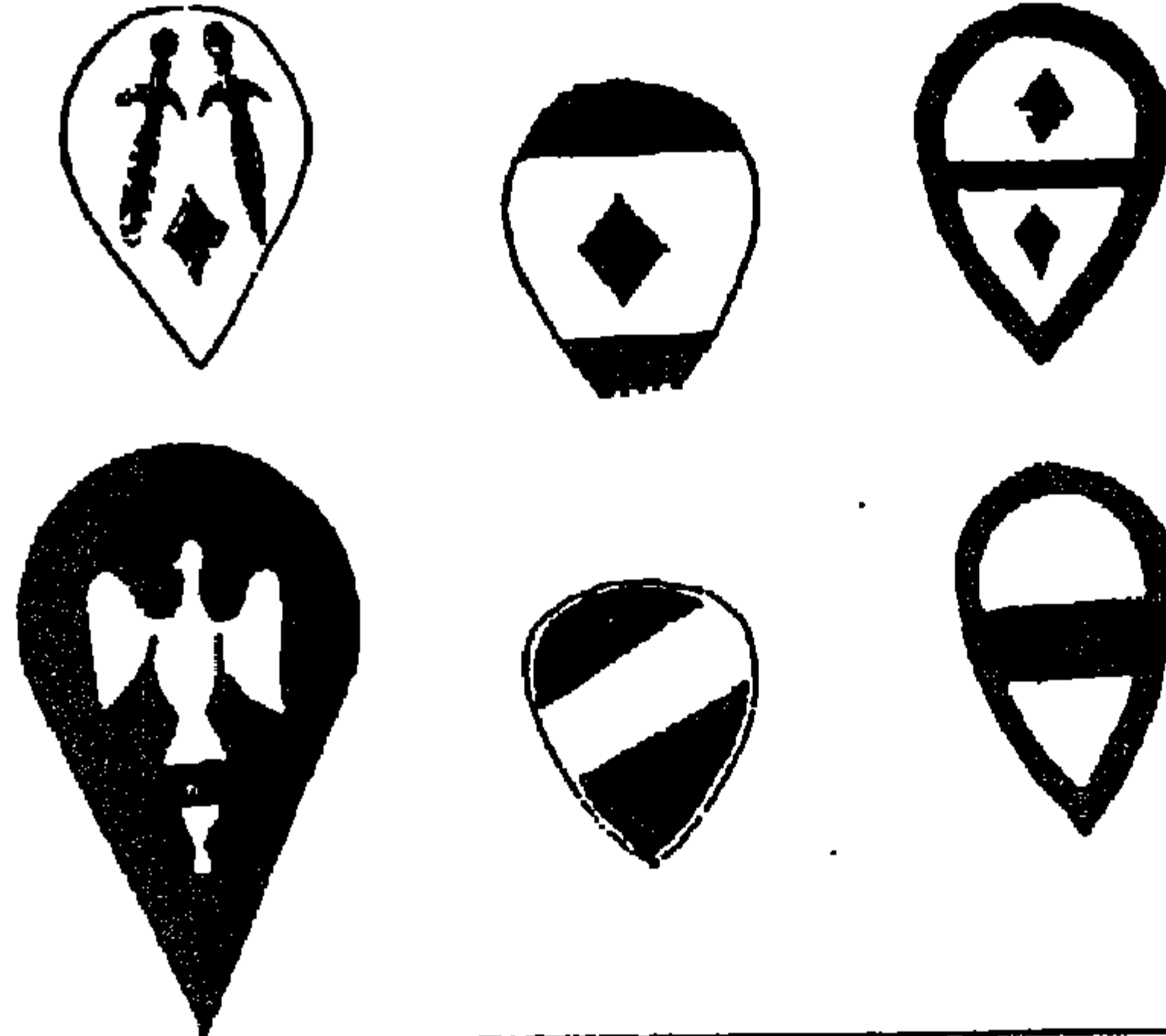
(شكل ٣٣) رسوم لرنوك على هيئة تروس مستديرة، مصر في العصر المملوكي، عن: عبد الرازق، شكل ١.

وبالإضافة إلى ذلك فنجد هيئة الترس "النورماندي" السابق وصفه، قد ظهر في كثير من رنوك العصر المملوكي (شكل ٣٤)، وتضمن بداخله شعارات مثل،

(١) راجع -على سبيل المثال- أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٤م، ص ٧٩؛ مایسة محمود داود، الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ / فبراير ١٩٨٢م، ص ٣٥، ٣٨. جدير بالذكر أن شعارات الرنوك بداخل الأشكال المستديرة - التي على هيئة التروس - شاعت في كثير من العمائر و الفنون المملوكية، كالزجاج، المعادن، الرخام، النسيج وغير ذلك. راجع، Atil, E., Art of the Mamluks, pp. 26, 29, 30, 39, 46, 50, 52, 94, 95, 109, 110, 124

(٢) وهي تتشابه مع أشكال التروس التي وصلتنا بالفعل من العصر المملوكي. انظر، محمد مصطفى نجيب، اللوحتان ٥، ٧.

السيف^(١)، والوردة^(٢)، والكأس^(٣)، والبقجة^(٤)، والشطف^(٥)، وزهرة الزنبق^(٦)، والنسر^(٧)، والحدوة^(٨) وغيرها.



شكل ٣٤) رسوم لرنوك على هيئة تروس خطأ في الشكل،
ل، عن: عبد الرازق، الشكلان ١، ٣، عدا رنك النسر، عن داود، شكل

الجدير بالذكر ذلك الاتجاه الذي يرى أن هناك احتمالاً قوياً بأن تكون الرنوك التي تم تمييزها على التحف والعمائر المملوكية، ليست إلا تمثيلاً للتروس التي استخدمت بالفعل في الحرب، مستشهداً على ذلك بتلك التروس "النورماندية"، التي جاءت على هيئة الترس الذي استخدمه الصليبيون في حروبهم، واقتبسه منهم

(١) انظر، Mayer, L. A., Saracenic Heraldry, Oxford, MCMXXXIII, pls. IX 3, 9

(٢) انظر، Mayer, L., pl. IV. 10؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٩.

(٣) انظر، Mayer, L., pl. VI 11؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٤.

(٤) انظر، Mayer, L., pl. VIII 10؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٣.

(٥) انظر، Mayer, L., pl. 15- 17؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٦.

(٦) انظر، Mayer, L., pl. V 11؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٨.

(٧) انظر، Mayer, L., pl. III 9؛ أحمد عبد الرازق، شكل ١٠.

(٨) انظر، Mayer, L., pls. XII 10- 11؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٢.

المسلمون أثناء تلك الحروب. وقد دعم صاحب هذا الرأي قوله بما ورد ويُفِيد أن هناك رنوكًا استخدمها الأمراء المماليك وغيرهم، كانت تُحمل أثناء المعارك الحربية ليتم التعرف على أصحابها خلال سير المعركة^(١)، بمعنى أن التروس التي استخدمها المماليك في حروبهم، واحتوت على رنوكهم، كانت المثال المُحتذى لتلك الرنوك التي وجدناها على فنونهم وعمائرهم، وأن هذه الرنوك تدلنا على أشكال التروس التي استخدمها المماليك في حروبهم^(٢).

والحق فإننا نميل إلى وجود علاقة قوية بين الرنوك المملوكية، سواء أكانت دائرية، أم خطافية الشكل - "التروس النورماندية" - وبين التروس التي أستخدمت بالفعل في الحروب^(٣)، وإن كان في ذات الوقت لا يغيب عن ذهننا، أن كلا النوعين من هذه التروس - الدائرية والخطافية - قد استخدمتا بكل تأكيد خلال العصر الفاطمي.

ويجب أن نأخذ في عين الاعتبار أنه طالما وجدنا كلا النوعين من التروس - المستديرة والخطافية - بمصر خلال العصر الفاطمي، وفي العصر المملوكي كذلك، فمن الطبيعي وجودهما أيضًا خلال العصر الأيوبي، وإن كان لم يصلنا من العصر الأيوبي - كما سيتضح فيما بعد - غير التروس مستديرة الشكل^(٤)، أما النوع

(١) عبد القني محمد عبد الله، الرنك (الفن القديم المتجدد)، مجلة الفيصل، العدد (٩٤)، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، السنة الثامنة، كانون الثاني، يناير ١٩٨٥م، ص ١٠٩.

(٢) راجع، حسين عليوه، السلاح المعنوي، ص ٤٠٤.

(٣) اتضح من خلال دراسة الشعارات التي وردت على الرنوك المملوكية، أن معظمها كانت لوظائف ذات صبغة عسكرية يتقلدها - كما ورد في المصادر التاريخية - "أرباب السيوف" من المماليك.

محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، مارس، ١٩٤١م، ٢٦٩.

(٤) جدير بالذكر أن الترس المستدير ظهر في بعض تصاوير المخطوطات الأيوبية، حيث نجده منفذًا مرتين في صورة من مخطوطة "الأربع بشائر"، وهي محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس، وترجع إلى سنة (٥٧٦هـ). راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة =

خطافي الشكل أو ما يُعرف باسم "الترس النورماندي" فلم يظهر في أية نماذج وصلتنا من هذا العصر.

جدير بالذكر أنني وقفت على نص في غاية الأهمية أورده الدواداري ضمن إشارته إلى أحداث سنة ٣٧٣هـ، وهو يتناول أخبار دمشق في العصر الفاطمي، واستفحال أمر شخص يسكن دمشق اسمه قسام الزبّال^(١) أثناء خلافة العزيز؛ الذي سير له جيشاً أحمد حركته، حيث ذكر أن قسام هذا كان قد اتخذ رنكه "القحف"^(٢) على الطوارق^(٣)، والطوارق هذه كما تقدم نوع من التروس المستطالة، وسوف يتبين فيما بعد أنها نفسها التروس التي عُرفت بين الباحثين باسم "النورماندية"، والتي ظهرت في العصر المملوكي منفذاً عليها كثير من الرنوك (شكل ٣٤).

= القاهرة، ١٩٨١م، ص ٢٣، شكل ٢٥ ب. كما ظهر الترس المستدير منفذاً كذلك في تصويرة من مخطوطة "تبصرة أرباب الألباب" لابن الطرسوسي، وهي محفوظة في المكتبة البودلية بأكسفورد، وترجع إلى حوالي (٥٨٣ - ٥٨٩هـ). راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، تصاوير المخطوطات، ص ١٩٤، لوحة ١٠٢.

(١) جدير بالذكر أن ابن كثير أرخ لقسام هذا، وذكر أنه لم يكن زبالاً بل تراباً. للاستزادة عنه. راجع، ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٦، ج ١١، ص ٣١١، ٣١٢. كما أرخ له الذهبي وذكر أنه كان تراباً على الحمير، وأنه كان يركب بقحف من ذهب. راجع، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ١٠، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ وللإستزادة عن قسام الزبال. راجع، ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

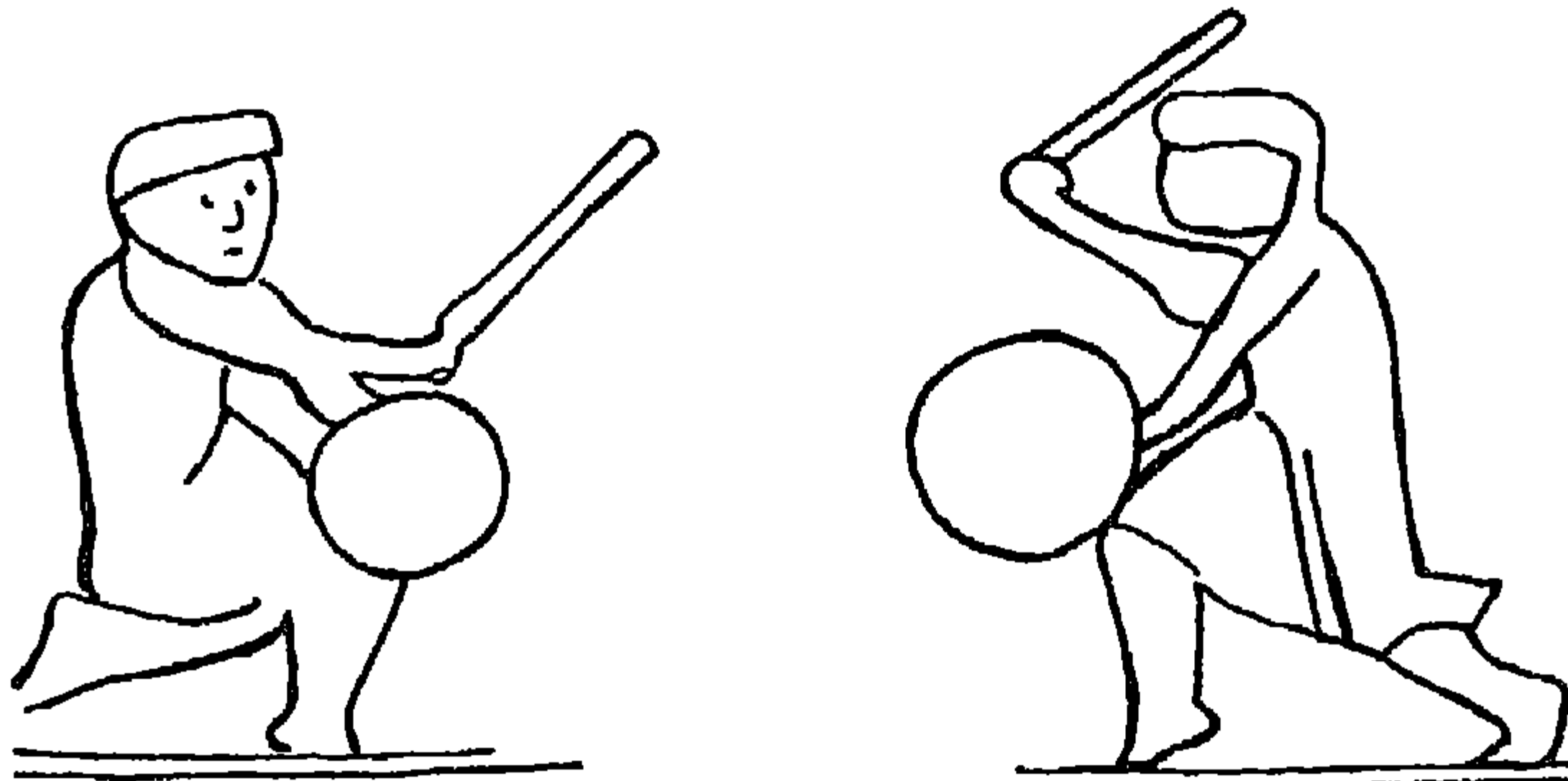
(٢) للقحف معان كثيرة، فهو: القَدَح. والقحف: الفِلَقَةُ من فِلَقِ القصعة إذا انثَلَمَتْ، وإناء من خشب نحو قحف الرأس، كأنه نصف قدح. والقحف: كَمِئَسَةِ المِذْرَاءِ يُقْحَفُ بها الحَبُّ، أي: يُذَرَى. والقحف: المَغْرَفَةُ، جمعها: القحوف. الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٢٢، ١١٢٣؛ ابن منظور، مج ٩، ص ٣٣٠. وأما كان قسام يعمل زبالاً، فأظن أن المقصود بالقحف ها هنا: إما المغرفة التي يغرف بها التراب، أو القصعة التي يجمع فيها التراب!

(٣) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٢١٠.

وتُشير المعلومة التي ذكرها الدواداري إلى واقعية نقش الرنوك على التروس، وهو الأمر الذي يؤكد صحة التوجه بشأن التروس التي احتوت على رنوك في العصر المملوكي، وأنها قد احتذت أشكال التروس الفعلية، بل وأهمية هذه الإشارة تتعدى ذلك، حيث تدل على أن نقش الرنوك على التروس كان معروفًا منذ العصر الفاطمي، وطالما أنه كان معروفًا في العصر الفاطمي والعصر المملوكي، فالأرجح أنه كان معروفًا كذلك خلال العصر الأيوبي.

الخشب:

باستثناء العصر الفاطمي، فلم أقف على تمثيل للتروس على الخشب، وقد ظهرت هذه التروس على الخشب الفاطمي في غير موضع بحشوات بيمارستان قلاوون^(١)، فمن المشاهد التي نراها منفذة على هذه الحشوات؛ منظر صيد قوامه فارس يطعن فهذا بحربة قابضًا على ترس من النوع مستدير الشكل، ومنها كذلك منظر لراجلين يتبارزان بالسيوف، وكل منهما يقبض على ترس من النوع المستدير أيضًا (شكل ٣٥).

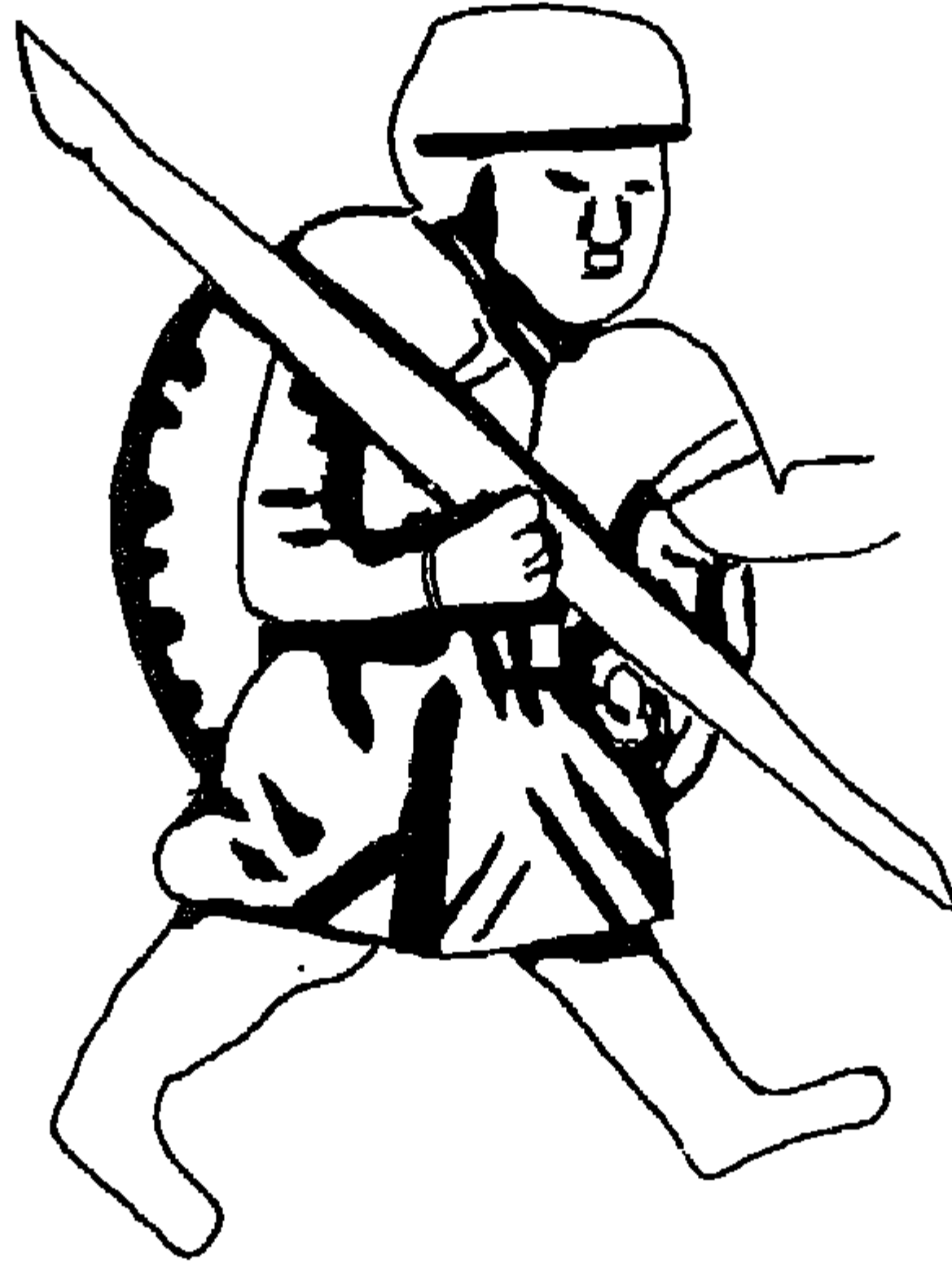


(شكل ٣٥) رسم على حشوة من الخشب الفاطمي، بحشوات بيمارستان قلاوون، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

(١) انظر، Pauty, E, M., Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, les Bois Sculptés Jusqu'à l'Époque Ayyoubide, le Caire, 1931, pls. XLVI, LI, LVI.

العاج:

لا يختلف حال العاج عن الخشب، إذ لم أتوصل إلى تمثيل التروس عليه إلا في حشوة من العصر الفاطمي^(١)، وهي حشوة مستطيلة الشكل، عليها ثلاثة مناظر، قوامها بأعلى الحشوة: صائد بالباز على ظهر جواده، وبأسفل الحشوة: سيدة في هودج، وفي الوسط: راجل يمسك في يده رمح، ويحمل ترسًا^(٢) من النوع مستدير الشكل، يتميز بكبر حجمه، حتى أنه يغطي كامل ظهر حامله (شكل ٣٦).



(شكل ٣٦) رسم على حشوة من العاج الفاطمي،
بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عمل الباحث.

المعادن:

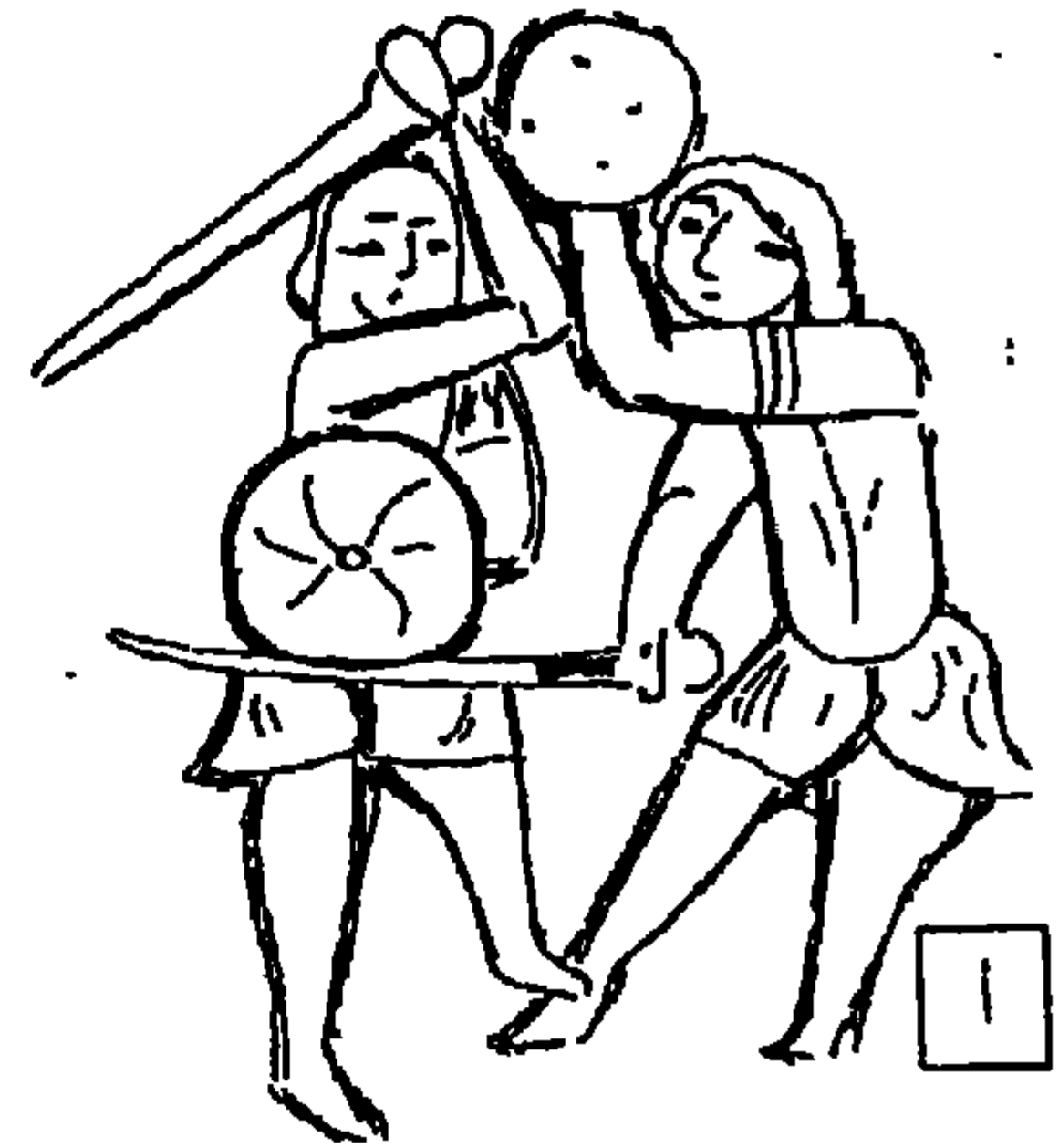
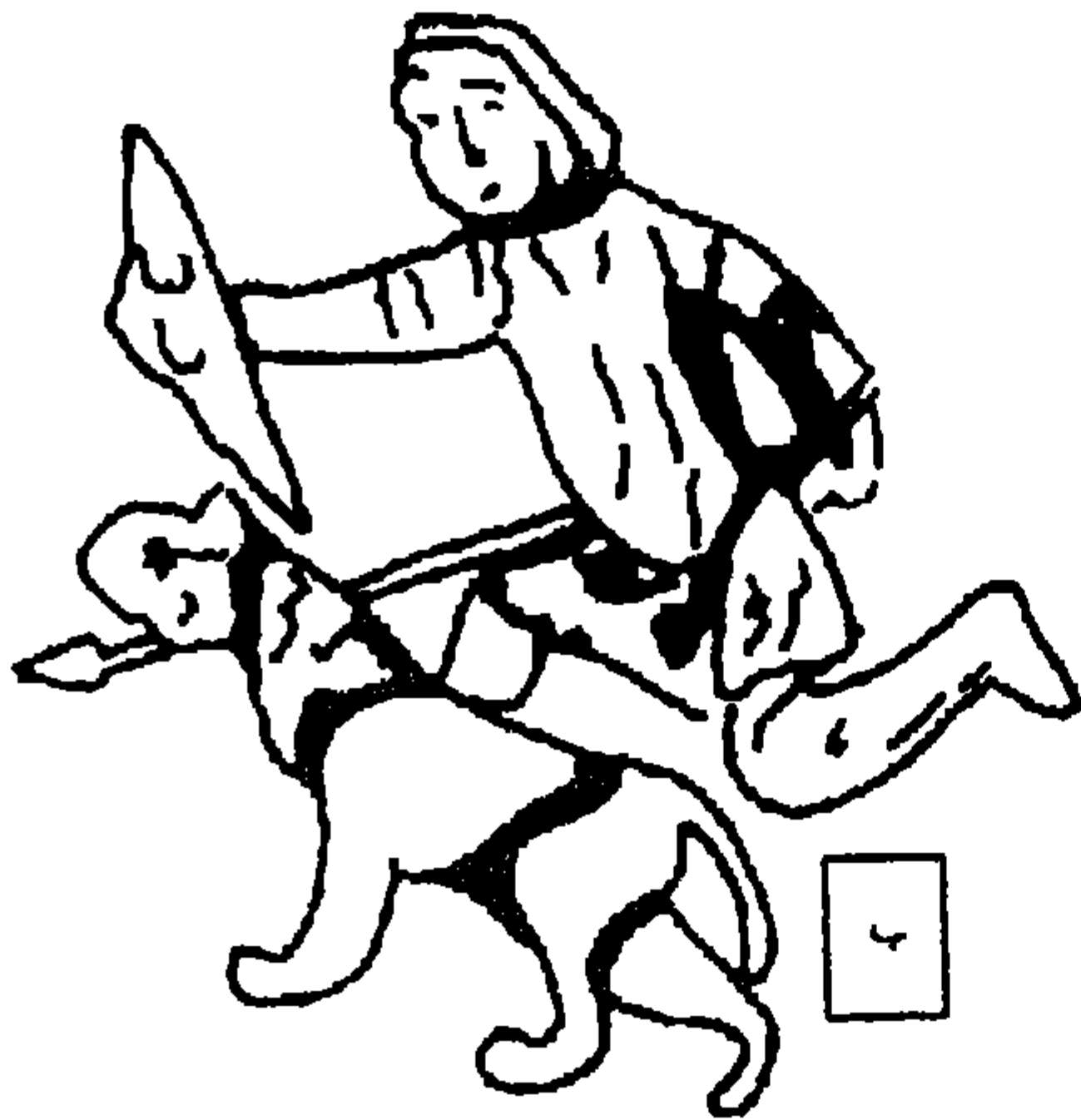
لم تصلنا أية نماذج ظهرت عليها التروس في تحف معدنية ترجع إلى مصر قبل العصر الأيوبي، أما في العصر الأيوبي فقد ظهرت في كثير من التحف

(١) محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ٥٠٢٤.

(٢) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٢٥، لوحة ٥٦.

المصنوعة في مصر أو المنسوبة إليها، ومنها طست^(١) من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، يعود تاريخه إلى ما بين سنتي (٦٣٦ - ٦٣٨ هـ)، وهو من صناعة الفنان المشهور "أحمد الذكي النقاش الموصلي"، فنرى عليه منظرًا قوامه راجلان يتبارزان، وقد حمل كل منهما في يمينه سيفًا وفي شماله ترسًا^(٢)؛ من النوع ذي الشكل المستدير، تميز أحدهما بوجود دائرة صغيرة في مركزه، تخرج منها إلى الحافة الخارجية للترس؛ خطوطًا مقوسة في هيئة مروحية الشكل، أما الترس الآخر فقد تميز بوجود أربع دوائر صغيرة، قرب حده الخارجي (شكل ٣٧ أ).

كما ظهرت التروس كذلك في منظر صيد بهذا الطست، حيث نجد فيه صائدًا مترجلًا يطعن سبعًا بحربة يمسكها بشماله، بينما يقبض بيمينه على ترس يدفعه أمامه أعلى رأس السبع، في مواجهة طائر. والترس هنا من النوع المستدير كذلك، ونظرًا إلى أنه يظهر من جانبه، فقد أتيح التحقق من وجود النهد في وسطه (شكل ٣٧ ب).



(شكل ٣٧ أ، ب) رسمان على طست من النحاس، مصر فيما بين ٦٣٦ - ٦٣٨ هـ، شكل أ عن: العبيدي، شكل ١٠٢، شكل ب عمل الباحث.

(١) محفوظ في متحف "اللوفر" بباريس.

(٢) عبد العزيز حميد وآخرون، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٢م، ص ١٩٣، شكل ١٨٨.

كما نجد التروس كذلك منفذة على صندوق من النحاس المكفت بالفضة^(١)، يحمل اسم السلطان "العادل الثاني" (٦٣٥ - ٦٣٧ هـ)، حيث ظهر في جامة من الجامات التي تزين بدنه؛ منظر صيد قوامه راجل يقبض بيمينه على سيف، يهيم أن يضرب به حيواناً مجنحاً، بينما يقبض بشماله على ترس من النوع المستدير، مشابه في هيئته للترس الذي في التحفة السابقة.

وظهرت التروس كذلك في العصر الأيوبي على بدن مبخرة^(٢) "العادل الثاني"، إذ يلاحظ أن المحاربين المسلحين الذين يشكلون هامات الحروف في الكتابات المصورة أو الحية على بدن المبخرة، قد قبض بعضهم على تروس، تميزت بأنها مستديرة الشكل أيضاً.

أما بالنسبة للمعادن في العصر المملوكي، فنجد التروس قد ظهرت في إحدى الجامات بمبخرة^(٣) من النحاس المكفت بالذهب والفضة، ترجع إلى القرن الثامن الهجري / ١٤ م، والتي نرى فيها منظر صيد قوامه فارس يقبض على ترس^(٤).

(١) محفوظ في متحف "South Kensington" عنه انظر، Lane- Poole, S., The Art of Saracens in Egypt, London, MDCCCLXXXVI, Fig. 80

(٢) كانت ضمن مجموعة شريف صبري بالقاهرة، وحالياً ضمن مجموعة "كير". راجع، نادية حسن أبو شال، المبخرة في مصر الإسلامية، دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص. ١٢٧ - ١٣٠؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص. ١٦٨ - ١٧٠. ونسب بعض العلماء هذه التحفة إلى بلاد الشام، راجع، Fehérvári, G., Islamic Metalwork of the Eight to The Fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976, pp. 103- 104, mo. 129.

(٣) محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ٢٤٠٧٨.

(٤) عبد العزيز صلاح سالم، الرياضة عبر العصور، تاريخها وآثارها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١٤.

وظهرت التروس كذلك على المعادن المملوكية، في الشريط الكتابي السفلي بـرقبة شمعدان "كتبغا"، الذي يُنسب إلى سنة (٦٩٤هـ)، والكتابات هنا من نوعية الكتابات المصورة أو الحية، ويلاحظ أنه يُشكل هامات حروفها مناظر لمحاربين متسلحين بمختلف أنواع الأسلحة، وقد قبض بعضهم على تروس^(١)؛ رغم أن جميعها ذات شكل مستدير، فقد تنوعت أشكال أظهُرها، فبعضها تميز بدائرة صغيرة في مركزه، وبعضها الآخر له نفس هذه الدائرة؛ ولكن يخرج منها خطوط مقوسة تتجه إلى الحافة، فيأخذ الترس زخرفة على هيئة مروحية الشكل، كما أن هناك تروسًا ظهرت لنا في وضعة جانبية، فبدت أنها مقببة الشكل، وذات نهد في منتصف التقبيبة (شكل ٣٨).



(شكل ٣٨) رسوم على شمعدان كتبغا، مصر، حوالي ٦٩٤هـ، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عمل الباحث.

الجلد:

وصلنا رسم منفذ على الجلد^(٢)، من مصر في العصر المملوكي، مما كان

(١) حسن الباشا، شمعدان كتبغا، القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مطابع الأهرام التجارية،

القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٥٢٨، الأشكال ١٢٣ - ١٢٥.

(٢) محفوظ في القسم الإسلامي من متاحف الدولة ببرلين.

يستعمل آنذاك في لعبة خيال الظل، وقوام هذا الرسم، سفينة عليها "توتية" وثلاثة من المحاربين^(١)؛ يمسك كل منهم قوسًا. ومما يُلحظ أنه يتصل بأعلى كل قوس ترس مستدير الشكل، كما يتصل به من أسفل ترس من النوع خطافي الشكل "النورماندي"، (شكل ٣٩).

وعلاوة على ذلك، فيلاحظ أن السفينة مزينة بثلاث وحدات دائرية الشكل، لا تخطئ العين، في أنها مُثلت على هيئة التروس المستديرة، ويتوسط كل ترس دائرة، بداخلها زخرفة، يُلحظ أن زخرفة الدائرة الوسطى، مكونة من شريط مضفور، على شاكلة نفس الترسين المستديرين اللذين ظهرا في توشيحتي عقد مدخل باب النصر، كما سيتبين فيما بعد. وظهور التروس على تلك السفينة، يتناسب مع الموضوع الحربي المنفذ عليها، وسوف يمر بنا أن بعض المنشآت الحربية الفاطمية والأيوبية، قد مثل عليها أشكال التروس، ولعلنا نستدل من ظهورها هذا، أن هذه السفينة من السفن الحربية؛ التي كانت تُستعمل في العصر المملوكي.



(شكل ٣٩) رسم على الجلد، مصر في العصر المملوكي، بمتحف الدولة ببرلين، عمل الباحث، انظر: تيمور، شكل ٣٣.

(١) أحمد تيمور، التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م، شكل ٣٣، ص ٢٥٨.

النسيج:

يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بقطعة من نسيج الصوف السميك^(١)، تُنسب إلى القرن الثالث الهجري / ٩م، عليها رسم قوامه محارب زنجي، واقف ينظر في زهو وخيلاء، وعلى فمه ابتسامة واسعة، وكأنه يتحدى من يرغب في مبارزته، ويمسك هذا المحارب بسيف أو هراوة في يمينه تميل أفقياً فوق كتفه، ويمسك في يده الأخرى ترساً (شكل ٤٠)، ويلاحظ أن الفنان قد ترك النصف العلوي لهذا الزنجي عارياً، كما زين عنقه بعقود تتدلى على صدره، ووضع في وسطه خنجراً يرتفع إلى صدره^(٢).

والترس المنفذ على هذه القطعة من النوع المستدير، يُلاحظ أنه غير مستو من الأمام بل مقبب، ولعل أهمية الترس هنا ترجع إلى أنه أقدم ما وصلنا للترس المنفذة على الفنون الإسلامية في مصر بوجه عام.



(شكل ٤٠) رسم على قطعة من النسيج، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، مصر، ق ٣هـ، عمل الباحث، انظر، محمد مصطفى، لوحة ١.

(١) رقم السجل: ١٤٣٣٢.

(٢) محمد مصطفى، تصوير الحياة اليومية في الفن المصري، مجلة المجلة، العدد الأول، يناير ١٩٥٧م؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، ج ١، ص ٥٨٤، شكل ٤٠٥.

العمارة:

أما وإن انتقلنا إلى العمارة في مصر، فقد ظهرت التروس على نموذجين من العمارة الحربية، أحدهما من العصر الفاطمي، والآخر من العصر الأيوبي.

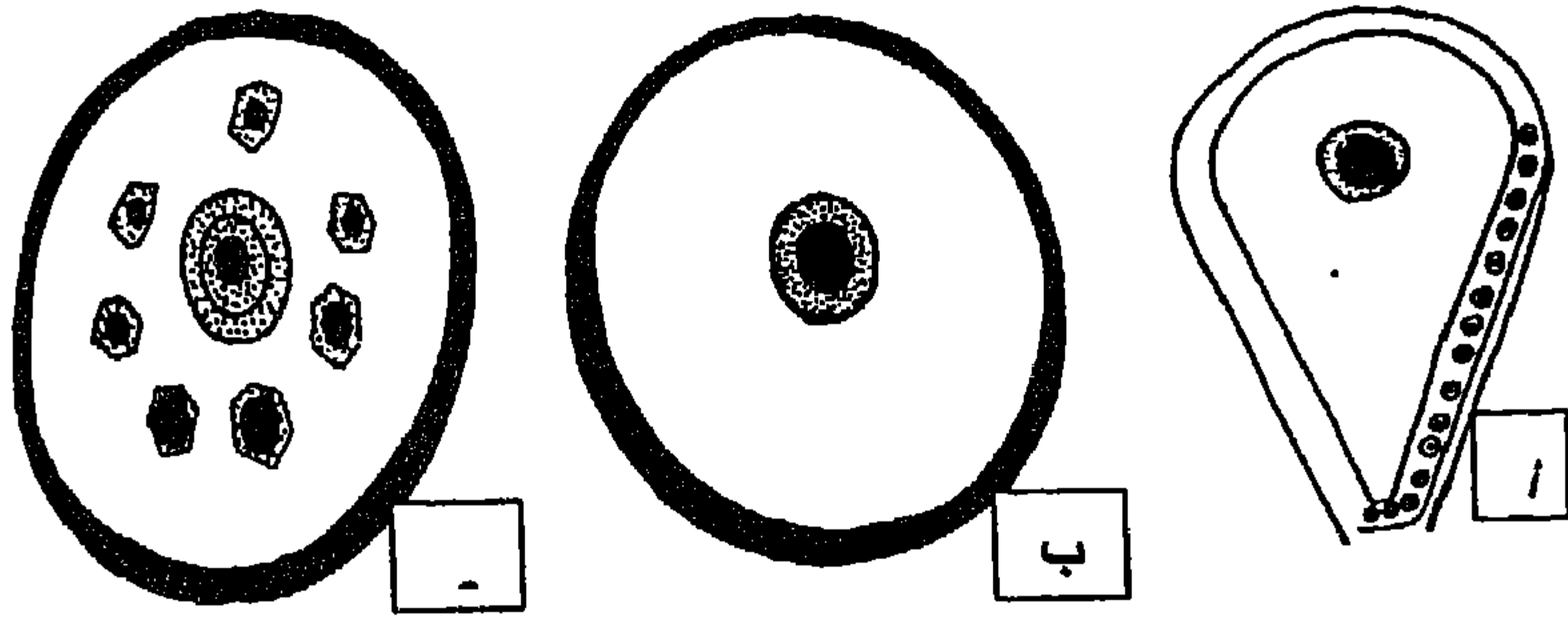
فمن العصر الفاطمي نرى التروس في الطابق الثاني بباب النصر (٤٨٠-٤٨٥هـ)، حيث نجد منها ثلاثة في واجهة كل برج من برجى البوابة، وواحدة أخرى في كل برج تطل على الممر المكشوف، وواحدة مع سيف في كل توشيحة من توشيحتي عقد مدخل البوابة.

ومما يلاحظ أن كلاً من الثلاثة تروس التي تظهر في واجهة كل برج، قوامها في المنتصف ترس، ذي هيئة خطافية الشكل "تورماندي"، على جانبيه ترسان من النوع مستدير الشكل. والترس الأوسط "التورماندي"؛ نهايته العلوية مستديرة الشكل، تنسحب إلى أسفل، باستدقاق، وله حافة خارجية بارزة، مشغولة بأشكال دائرية صغيرة متماسة، ويلاحظ أن منته مقبب تقبيبة خفيفة، تنحدر بانحناء إلى الأطراف الخارجية، ويوجد في الجزء العلوي منه شكل دائري بارز (لوحة ٢٩، شكل ٤١ أ). أما الترسان الجانبيان المستديران في كل واجهة، فهما متشابهان في الشكل مختلفان في التفاصيل، وأحدهما^(١) يتميز بأنه مستدير من أعلى مخصص في الوسط، ويوجد في وسط التخصير دائرة بارزة (لوحة ٣٠، شكل ٤١ ب). أما التروس الباقية فتتميز بأنها أقرب إلى التقريب. وذات أطراف منحنية إلى الخارج، ويوجد في منتصف كل منها دائرة بارزة، تحيط بمراسم وحدات بارزة سداسية الشكل، يشغل منتصف كل منها دائرة (لوحة ٣١، شكل ٤١ ج).

أما بالنسبة للترسين المستديرين الواقعين على جانبي توشيحتي عقد المدخل، فقد تميز كل منهما بأنه مقبب، ويشغل هذه التقبيبة زخرفة قوامها شريط مجدول،

(١) يقع في الطرف الخارجي بالبرج الأيمن للداخل إلى البوابة.

يشكل هيئة نجمية، يتوسطها شكل وريدة^(١) (لوحة ٣٢).



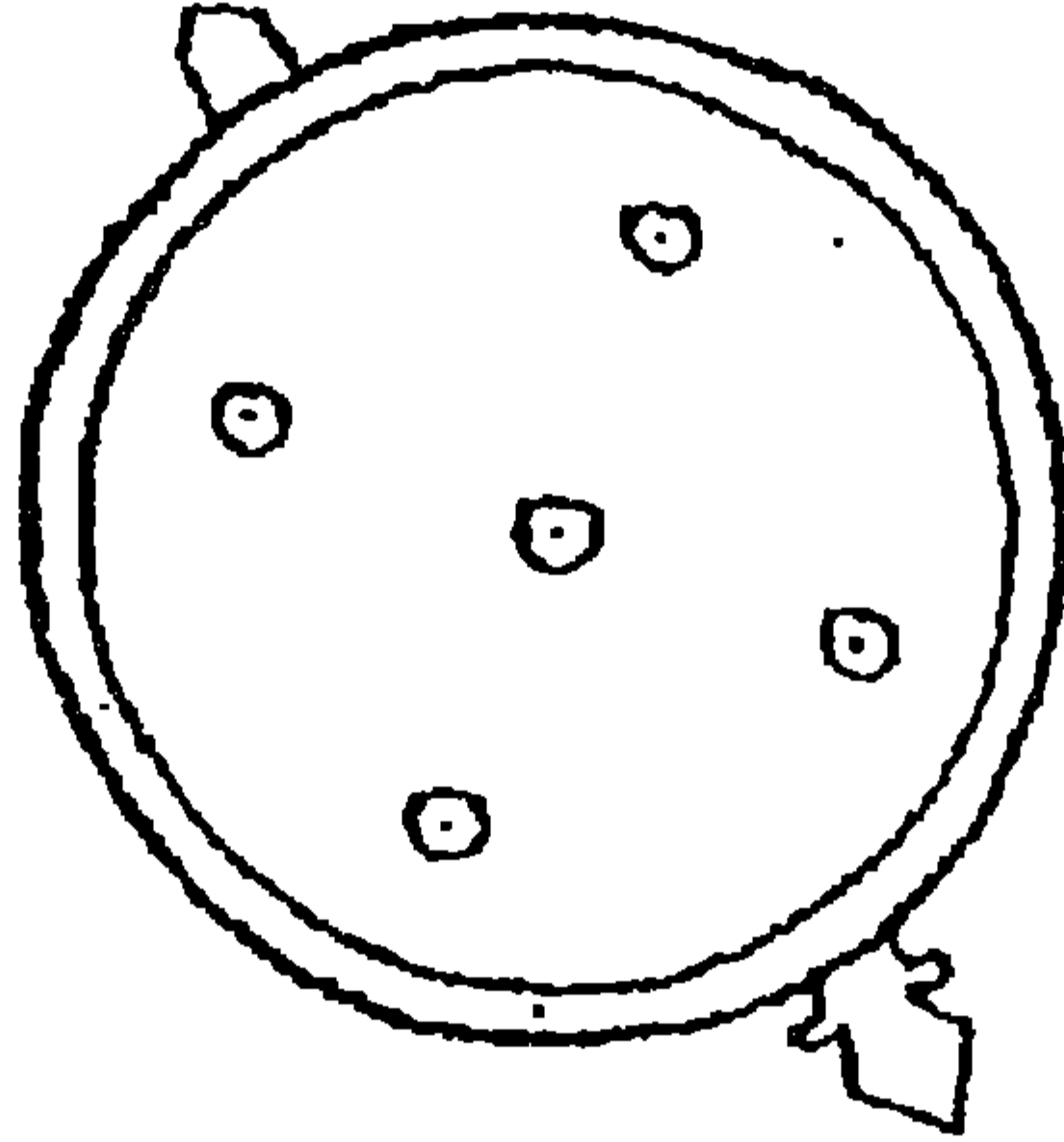
(شكل ٤١ أ، ب، ج) رسوم لتروس على باب النصر، مصر، العصر الفاطمي.

أما فيما يتعلق بالتروس التي وصلتنا منفذة على العمائر الأيوبية، فقد ظهر في قلعة الجندي بسيناء (٥٨٣ هـ) - على جانبي النقش التأسيسي الذي يعلو مدخل هذه القلعة - ترس مستدير الشكل بجانب سيف^(٢)، ويحتوي هذا الترس على دائرة صغيرة في منتصفه، وأربعة دوائر أخرى قرب حافته الخارجية (شكل ٤٢). ومن الجدير بالذكر أن "صلاح الدين الأيوبي" كان قد اتخذ من السيف والترس شعاراً لدولته^(٣).

(١) راجع، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، جـ ١، ص ٧٣٢.

(٢) عبد الرحمن زكي، الأعلام وشارات الملك في وادي النيل، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م، شكل ص ٧٨.

(٣) عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص ٢٧٧.



(شكل ٤٢) رسم ترس على قلعة الجندي بسيناء، العصر الأيوبي، عن: عبد الرحمن زكي، الأعلام وشارات الملك.

ومما سبق يتضح تنوع الموضوعات التصويرية التي ظهرت فيها التروس على التحف المصرية، فمنها موضوعات تمثل الصيد، وأخرى لموضوعات ذات طابع حربي، ومنها موضوعات تمثل المبارزة، وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت التروس بغرض رمزي على بعض العمائر الحربية، هذا إلى جانب الرنوك المملوكية التي جاءت على شاكلة التروس التي استعملت بالفعل في الحروب. أما من حيث أشكال هذه التروس، فقد وجدنا منها تروساً مستديرة الشكل، وأخرى ذات هيئة خطافية الشكل "تورماندية".

وقبل أن نترك التروس المنفذة على الفنون التطبيقية والعمائر في مصر، نود الإشارة إلى أن التروس قد ظهرت في بعض التصاوير المنفذة على الورق الفاطمي، ومنها تصويرة^(١) تنسب إلى القرن الرابع الهجري/ ١٠م، عليها منظر لفارس يده تغطي صهوة جواده الراكض، يقبض بشماله على ترس من النوع مستدير الشكل (شكل ٤٣).

(١) محفوظة في مجموعة "الأرشيدوق رينر" بالمكتبة الأهلية بباريس. عنها انظر، زكي محمد

حسن، أطلس الفنون، ص ٨٤٩، ص ٥١، ٥٢.



(شكل ٤٣) رسم على الورق، مصر في العصر الفاطمي،
بمجموعة الأرشيدوق رينر، عمل الباحث، انظر: حسن (زكي)،
أطلس، شكل ٨٤٩.

كما يهمننا التأكيد بصفة خاصة على تصويرة أخرى على الورق^(١)، ترجع إلى العصر الفاطمي أيضاً، عليها منظر يمثل معركة حربية كاملة، يلاحظ أن المحاربين يمسكون تروساً أحدها فقط من النوع مستدير الشكل، أما الباقي فهي تروس خطافية الشكل أو "نورماندية"^(٢) (شكل ٤٤). وقد نسب بعض العلماء هذه التصويرة إلى نهاية العصر الفاطمي، وذلك بناء على ظهور التروس "النورماندية" فيها، معتمداً في ذلك على أن هذه التروس كانت من معدات الصليبيين الحربية فترة اشتداد الغارات الصليبية على سواحل مصر^(٣). على أنه يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار، أن التروس "النورماندية"، ظهرت بمصر على تحفة من الخزف تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري / ١٠ - ١١م، بل وظهرت في تاريخ

(١) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن. انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون، شكل ٨٥٣؛

Ettinghausen, R., *Painting in the Fatimid Period: A reconstruction*, Ars Islamica, New York, 1986, p. 122, fig. 30

(٢) محمود إبراهيم حسين، ج ١، ص ٥٢.

(٣) راجع، محمود إبراهيم حسين، ج ١، ص ٥٢. وعن نسبة هذه التصويرة إلى أواخر العصر

الفاطمي، انظر أيضاً، حسين عليوه، السلاح المعدني، ص ٣٩١، ٤٠٤.

محدد ببوابة النصر (٤٨٠ - ٤٨٥ هـ)، أي في أواسط العصر الفاطمي تقريبًا، وهي فترة لم تكن الحروب الصليبية قد اشتدت أو ربما لم تكن قد بدأت بعد^(١)، فهل هذا يعني أن هذه النوعية من التروس لم تجد طريقها إلى مصر عبر الحروب الصليبية كما يرى بعض العلماء؟

الحق أن هذا الاحتمال يقلب الأمر رأسًا على عقب، وإذا صح ذلك فليس لنا من توجه نحو معرفة مصر في العصر الفاطمي لاستخدام هذا النوع من التروس، إلا أن شخص بأبصارنا تجاه بيزنطة؛ إذ أن هذا النوع من التروس كان مستعملًا لدى جيشها، ورأيناها هناك في بعض المخطوطات المصورة، وظهوره في باب النصر - كما يرى بعض العلماء والباحثين - يؤكد وثوق العلاقة الفنية بين مصر في العصر الفاطمي وبيزنطة^(٢).

ولعل القضية التي ربما يكتنفها الغموض هنا، ما يمكن أن يثار حول الصلة بين ما عُرف في العصر الفاطمي باسم "التروس النورماندية" التي نُسب ظهورها في مصر إلى الحروب الصليبية، وبين التروس المعروفة باسم "الطوارق"؛ والتي نُسب ظهورها في العصر الأيوبي للحروب الصليبية أيضًا، واستمر استعمالها خلال العصر المملوكي.

فهل التروس التي ظهرت لنا على الفنون والعمائر في مصر الفاطمية، ووسمها أكثر العلماء والباحثين باسم التروس "النورماندية"، نوع يختلف عن التروس المعروفة باسم "الطوارق"، والتي ورد ذكرها مرارًا في المصادر التي اهتمت بتاريخ الأيوبيين والمماليك؟ وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي ملاحظة أن

(١) كانت بدايتها بحصار الصليبيين لمدينة "أنطاكية"، سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م. للاستزادة، راجع، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٥١ وما بعدها.

(٢) راجع، Creswell., vol. I, p. 213؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، ج ١، ص ٧٣٢.

الطوارق كانت تتميز بأنها "مستطالة...، تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول"، وهي بذلك تتشابه في هيئتها مع ما يُعرف باسم "التروس النورماندية" التي ظهرت منفذة على الفنون الفاطمية، وإذا كان في ذلك ما يوحي بأن ما يُعرف باسم التروس "النورماندية" هي "الطوارق" نفسها، فإحقاًا للحق؛ فإن إحدى الدراسات قد أدركت هذه الصلة ووسمت تلك التروس "النورماندية" باسم "الطوارق"^(١)، وإذا كان في ذلك ما يؤكد على أن ما يُعرف باسم التروس "النورماندية"، هي "الطوارق" نفسها، فهذا يُدعم القول بأن "الطوارق"، عُرفت في مصر منذ العصر الفاطمي، وأن ذلك كان قبل زمن الحروب الصليبية.

ولعل من المفيد الأخذ في عين الاعتبار أن مصطلح "التروس النورماندية" هذا؛ لم يرد في حدود علمي في أي من المصادر التاريخية العربية، واعتقد أنه مصطلح مستحدث استعمله أكثر الآثاريين، للدلالة على هذه النوعية من التروس التي دخلت إلى العالم الإسلامي عن طريق أوروبا، ونظرًا لندرة ما وصلنا عن التاريخ الحربي والأسلحة الفاطمية، بالقياس بما وصلنا عنها في العصر الأيوبي -الذي شهد نشاطًا ملموسًا في المؤلفات التي اهتمت بهذا الأمر- ناهيك عن أن "الطوارق" ظهرت بكثافة مع الصليبيين في حروبهم مع الأيوبيين آنذاك، فمن المرجح أن المؤرخين الأيوبيين والمماليك من بعدهم، قد استعملوا المصطلح الأصل المتعارف عليه آنذاك وهو "الطوارق".

وفي هذا الصدد يجب ألا يغيب عن ذهننا ما سبق ذكره بأن المؤرخ المملوكي "الدواداري" ذكر ضمن إشارته إلى أحداث سنة ٣٧٣هـ -وهو يتناول أخبار دمشق في العصر الفاطمي- خروج شخص يدعى قسام الزبال على الخليفة الفاطمي العزيز، وقال: إن قسام هذا كان قد اتخذ رنكه "القحف على الطوارق"^(٢)،

(١) راجع، حسين عليوه، السلاح المعنوي، ح ٦، ص ٣٨٥، ص ٣٩١، ٤٠٤.

(٢) الدواداري، الدرة المضينة في أخبار الدولة الفاطمية، ص ٢١٠.

ولعل في ذلك ما يدل على أن هذا المصطلح كان معروفاً منذ العصر الفاطمي، وربما احتج البعض على أساس أن هذا المؤرخ قد استخدم المصطلح المتعارف عليه في عصره! وإذا كان هذا أمر وارد كورود استعماله للمصطلح الذي كان معروفاً في العصر الفاطمي، فإنني أميل إلى أنه لم يستخدم هذا المصطلح عشوائياً، خاصة أن "الطوارق" هيئة تميزها عن سائر التروس الأخرى، والسؤال الذي يطرح نفسه إذا لم تكن هذه التروس عُرفت في العصر الفاطمي باسم "الطوارق"؛ فبماذا كانت تُعرف؟! وليس لدينا -حسب ما توافر من الأدلة المادية- أدنى شك في أنها كانت معروفة في العصر الفاطمي، بنفس الشكل الذي عُرف في العصر المملوكي، والذي استخدم فيه المصطلح نفسه "الطوارق"، وهو المصطلح نفسه الذي عُرف في العصر الأيوبي للدلالة على هذه التروس.

وأيًا كان الأمر فلعل ما سبق، قد يجعلنا نراجع أنفسنا بصفة عامة بشأن التروس غير المستديرة -خاصة التروس "النورماندية" أو "الطوارق" - والمراجعة هنا ليس بشأن كون هذه التروس غير إسلامية الأصل، بل بشأن تاريخ ظهورها في العالم الإسلامي، أو الطريق الذي أتت منها إليه.



(شكل ٤٤) رسم على الورق، مصر في العصر الفاطمي، بالمتحف البريطاني، عن: عبد العزيز حميد وآخرين، شكل ١٨٥.

المغرب:

يبدو أن التروس لم يشع تمثيلها على الفنون والعمائر في بلاد المغرب الإسلامي، والمثل الوحيد الذي وقفت عليه منها، ظهر على كسرة^(١) جرة من الخزف المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء، تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس للهجرة/ ١٠ - ١١م، فيظهر عليها منظر لفارس يمتطي صهوة جواده، ممسكاً بشماله رمحاً، بينما يقبض بيمينه على ترس يرفعه إلى أعلى، ومن المرجح أن هذا الموضوع، يمثل عرضاً عسكرياً أو ما شابه ذلك^(٢). والترس هنا من النوع المستدير، ونظراً إلى أنه يظهر من باطنه، فقد أتاح تبين مقبضه؛ الذي جاء على هيئة أشرطة متقاطعة (لوحة ١٧، شكل ١٥).

الأندلس:

ظهرت التروس بشكل رئيس في الفنون الأندلسية منفذة على العاج، كما أنه من حسن الحظ أنه وصلتنا تصاوير جدارية أندلسية، احتوت كذلك على تمثيل لها.

العاج:

ظهرت التروس منفذة غير مرة على صندوق مستطيل الشكل^(٣)، مؤرخ بسنة

(١) محفوظة في متحف "بناكي" بأثينا. انظر، Philon, H., pl. VI. A

(٢) راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

(٣) محفوظ في كاتدرائية "بنبلونا" بأسبانيا. انظر، مورينو، ماتويل، جوميث، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٣٥٧، ٣٦٨، شكل ٣٦٣؛ محمد عبد العزيز مرزوق، التحف المصنوعة من العاج (صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٥٥م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١١؛ السيد عبد العزيز سالم، فن العاج واستخداماته، الفن العربي الإسلامي، ج ٣، الفنون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٧م، ص. ص ٢١٤ - ٢١٦، لوحة ص ٢٠٧.

٣٩٥هـ، نُقش عليه موضوعات مختلفة (لوحة ٣٣ أ)، منها منظر لمحاربين يركب كل منهما فوق ظهر فيل، ويمسك بإحدى يديه سيفاً وبالأخرى ترساً مستديرًا (لوحة ٣٣ ب).

كما مُثل على الصندوق نفسه، منظر لفارسين يمتطيان صهوتي جواديهما، وقد ظهرا وهما يقتتلان، حيث يقوم أحدهما بتسديد طغنة رمح إلى غريمه، فيوجه هذا الغريم ترسه مقابلًا لتسديدة الرمح، والترس الذي يحمله من النوع مستدير الشكل كذلك (لوحة ٣٣ جـ).

وبالإضافة إلى ذلك فنرى على هذا الصندوق أيضًا منظرًا لصائد مترجل، يحمل في شماله رمحًا يطعن به أسدًا هجم عليه من الخلف، بينما يمسك في يمينه ترسًا مستديرًا؛ يحمي به نفسه من أسد آخر يهجم عليه من الأمام (لوحة ٣٣ د، شكل ٤٥)، ومن الجدير بالذكر أنه نُقش في حافة هذا الترس عبارة نصها: "بسم الله بركة من الله يمن وسعادة"، وفي الوسط عبارة: "عمل خير" (١).



(شكل ٤٥) رسم على صندوق من العاج، الأندلس
٣٩٥هـ، عمل الباحث، انظر: مورينو، شكل ٣٢٣

(١) السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت،

العمارة:

وصلنا عدة تصاوير^(١)، كانت تُزين جدران قاعة أحد منازل "البرطل" في الحمراء^(٢) بغرناطة، وهي تُنسب إلى القرن الثامن الهجري / ١٤ م. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه التصاوير احتوت على موضوعات شتى، تمثل مناظر من الحياة العامة، والاحتفالات، ومشاهد الصيد، ومشاهد الحرب، وعودة فرقة من الفرسان إلى معسكراتها وغير ذلك، وأن ما تبقى من هذه الموضوعات المصورة، فهي تُزين الجدار الشرقي والغربي من الحجرة، وقد رُسمت هذه الموضوعات بكل جدار في أربعة أشرطة، الشريط العلوي: يتضمن مناظر الصيد، وفي الشريطين الثاني والثالث: رسم الخيام والجنود والأسرى والماشية، وفي الشريط الرابع: رسم لمناظر الطرب.

وقد ظهرت التروس من نوع الدرق (شكل ٤٦ أ، ب) في أكثر من موضع في الشريط العلوي بالجدار الشرقي، ففي أقصى يسار هذا الشريط؛ رسم لفارسين متواجهين بينهما شجرة، وأحد هذين الفارسين يحمل سيفاً ودرقة. ويلى هذين الفارسين شخص يحمل سيفه على كتفه، ويبدو أنه يقبض بشماله على درقة، يتقي بها هجوم أسد في مواجهته. كما يظهر كذلك في هذا الشريط منظر لفارس ثالث معه سيف ودرقة^(٣). ويظهر في الشريط الثاني بنفس هذا الجدار، رسوم تمثل جنوداً من فرق مختلفة، يهمن الإشارة إلى أن من بينهم حملة السيوف والدرق^(٤). وبالإضافة إلى ذلك فيظهر في الشريط الثالث بهذا الجدار أيضاً، موضوعات تصويرية مختلفة، يغنيها منها مجموعة الجنود الفرسان، إذ يظهر من

(١) محفوظة حالياً في متحف الحمراء.

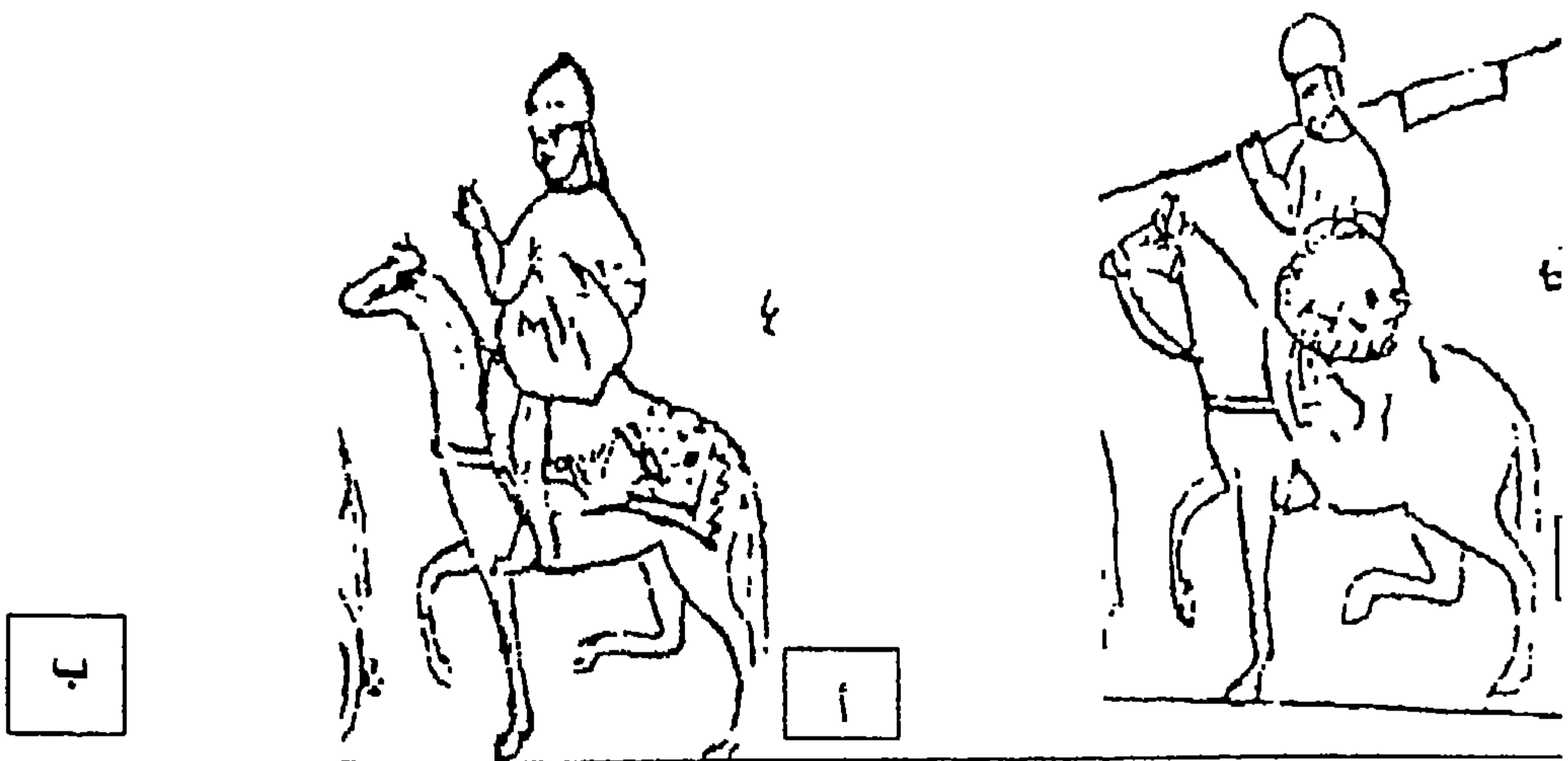
(٢) راجع ما ورد عنها عند دراسة الدروع.

(٣) راجع، جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص. ٢٠ - ٢٢؛ وانظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٦٣ من أسفل.

(٤) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٢٦.

بينهم رسم لفارس معه رمح ودرقة، كما يظهر كذلك ثلاثة فرسان آخرين معهم رماح، وسيوف، ودرق^(١).

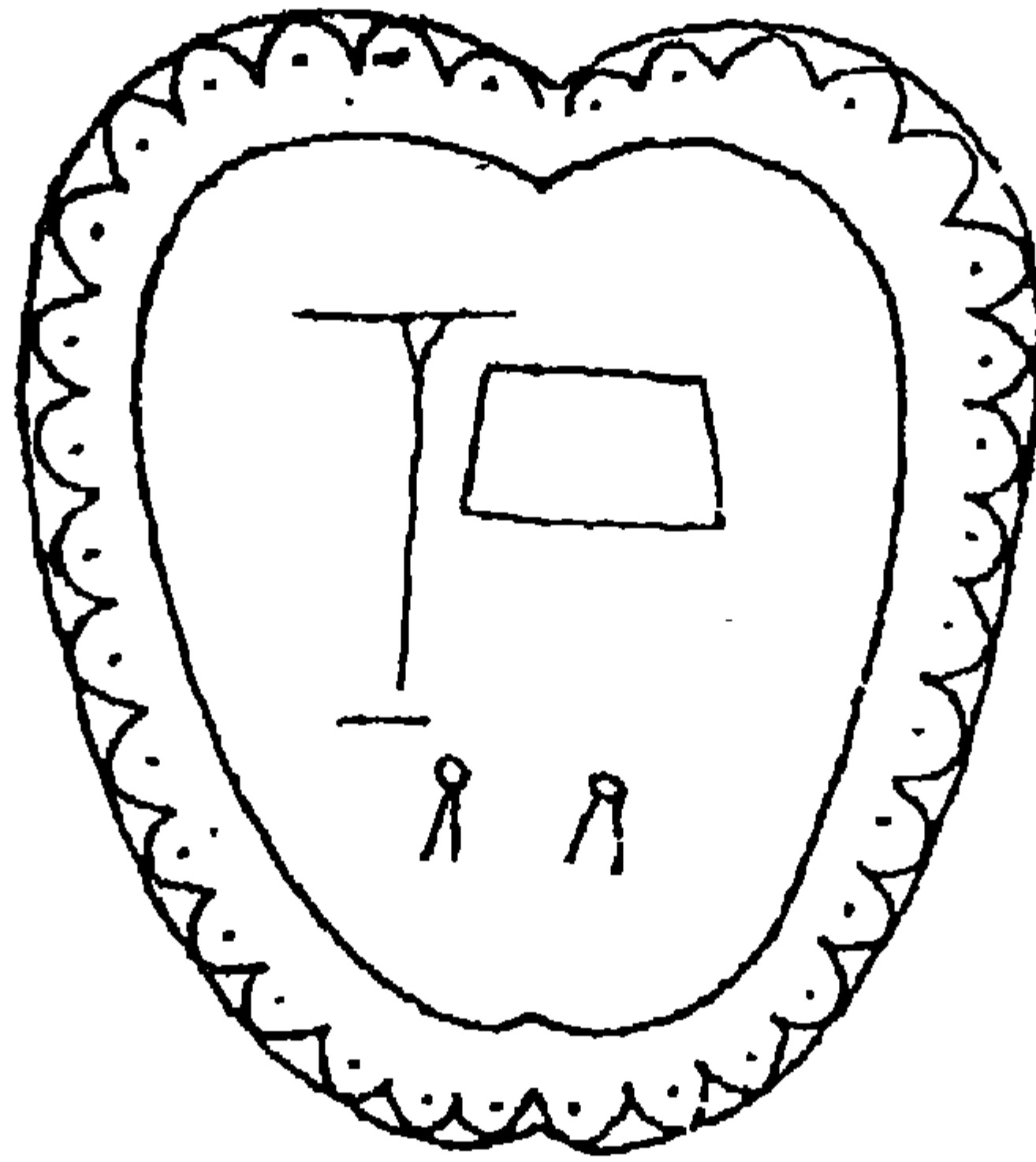
كما ظهر في الشريط الثاني بالجدار الغربي، مجموعة من الجنود الفرسان المدججين بمختلف أنواع الأسلحة، يعيننا أحدهم وهو يحمل رمحًا ودرقة، وآخر يحمل علمًا ودرقة^(٢). وعلاوة على ذلك فيظهر في الشريط الثالث بنفس الجدار؛ مجموعة من الفرسان يحملون أسلحتهم الهجومية، كما يحملون أيضًا الدرق. كما يظهر في هذا الشريط أيضًا منظر لأسد يهجم على فارس بيده درقة ومعه رمح يطعن به أسدًا^(٣).



(شكل ٤٦ أ، ب) رسمان من البرطل بالحمراء، الأندلس، عصر بني نصر، عن: محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، شكل ١٦.

- (١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٢٨.
- (٢) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٢٩.
- (٣) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٢٩.

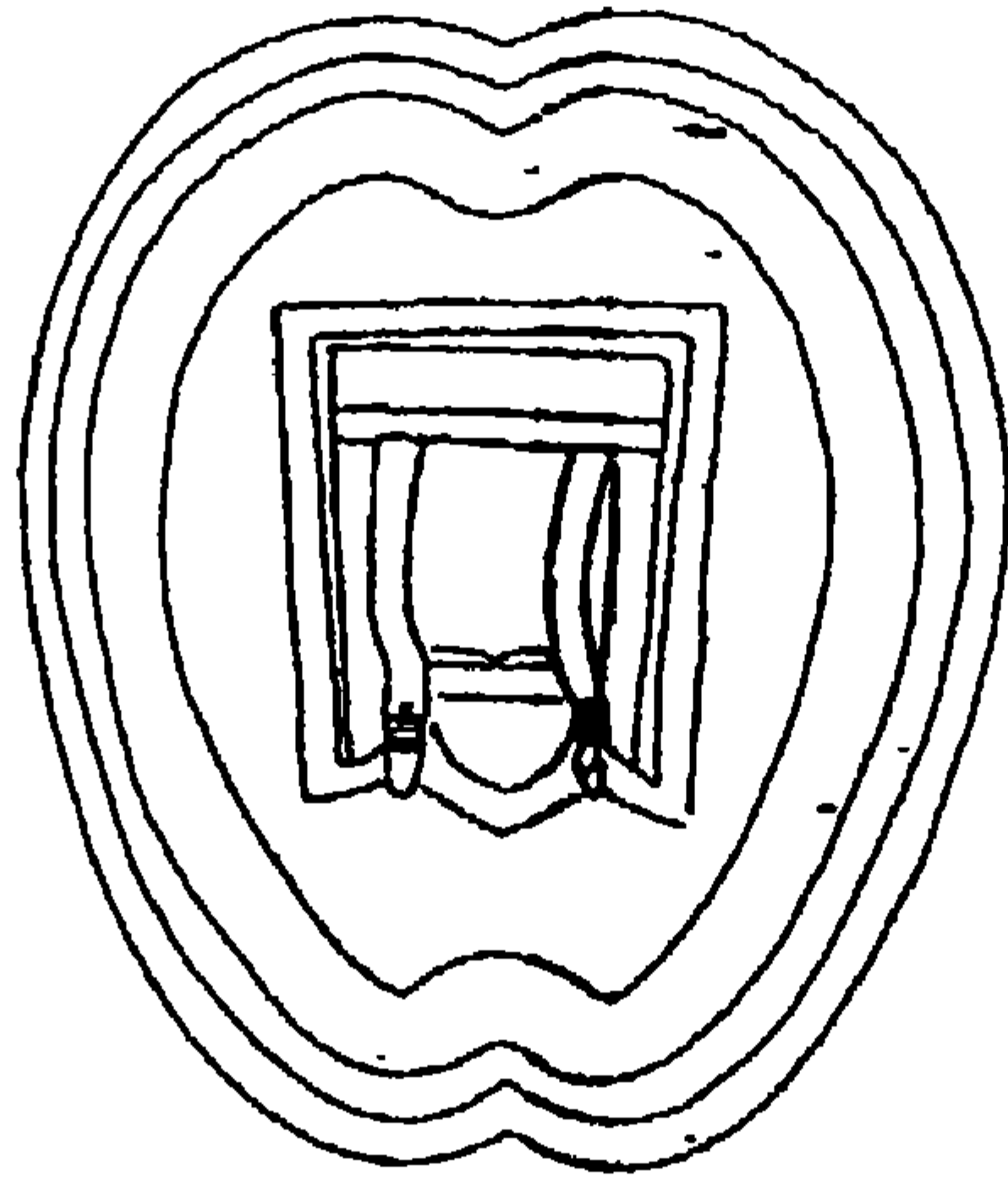
ومما سبق يتضح أن التروس شاع تنفيذها في رسوم "البرطل"، والجدير بالذكر أن هذه التروس نُفذت على هيئة القلب (شكل ٤٧)، ويرى "جمال محرز"، أنها تمثل الدرق المصنوع من الجلد وليس من الحديد، وعلى الرغم من أن الشكل قد لا يدل على المادة المصنوعة منها هذه التروس، فالباحث يتفق معه، في اعتقاده أنها تتشابه مع الدرق الأندلسية التي كانت تُصنع من الجلد (شكل ٤٨، لوحة ٣٤)، والتي وصلنا منها ثمة نماذج ترجع إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين / ١٤ - ١٥ م^(١).



(شكل ٤٧) رسم لهيئة الدرق في رسوم البرطل،
عن، محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، شكل ١٤.

(١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٣٩. وعن أمثلة الدرق التي وصلتنا بالفعل من

عهد بني نصر. انظر، Perez, pl. p. 124.



(شكل ٤٨) رسم لدرقة من الأندلس، عصر بني
Perez, Hejuari, نصر، عمل الباحث، انظر،

وبالإضافة إلى الرسوم الجدارية السابقة، ففي إحدى قاعات قصر الحمراء بغرناطة، وهي التي تُعرف باسم "قاعة الملوك" أو "قاعة الشريعة"، رسم منقذ على الجلد، المثبت في السقف، نرى من بين رسومه فارسًا عربيًا يمتطي صهوة جواده الراكض، ويحمل هذا الفارس درقة^(١) في شماله، وحربة في يمينه، يسدها إلى قلب فارس آخر مسيحي (لوحة ٣٥، شكل ٤٩ أ)، والدرقة التي في يد الفارس العربي؛ قريبة في هيئتها من هيئة الدرق في رسوم البرطل، أي أنها تأخذ شكل القلب، وهي أيضًا مماثلة لما وصلنا بالفعل من الدرق الذي يرجع إلى عهد بني نصر في غرناطة. ويلاحظ أن الدرقة موضوع الدراسة، مزينة في كل جانب من جانبيها، بزخرفة قوامها ثلاث حلقات رأسية متصلة، السفلى منها تنتهي بأهداب.

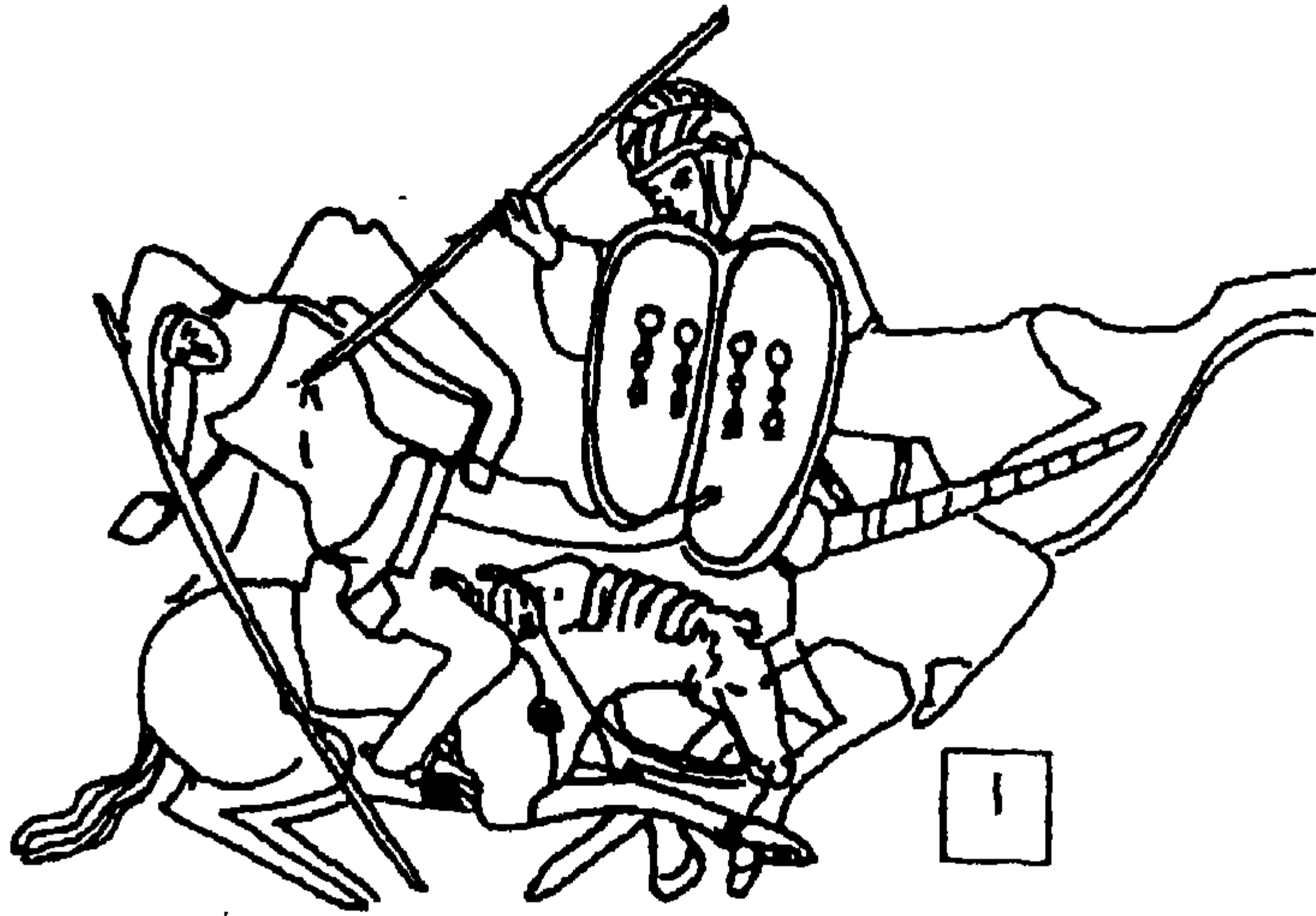
كما يظهر في المنظر السابق نفسه، رسم آخر قوامه مخلوق ضيخم في صورة إنسان، ولو أنه كث الشعر كحيوان، ويأسر هذا المخلوق سيدة، ينأتي فارس مسيحي ليحررها، ويصرع هذا المخلوق المخيف^(٢)، ويلاحظ أن الفارس

(١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٤٠؛ Perez, pl. p. 62. وعن هذه الرسوم.

راجع، فون شاك، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) فون شاك، ص ١٧٢.

المسيحي، يحمل في يده درقة لها هيئة قريبة من شكل القلب أيضاً (شكل ٤٩ ب)
ولكنها مزخرفة برسم قوامه ثلاثة طيور صغيرة الحجم (لوحة ٣٦).



(شكل ٤٩ أ، ب) رسنان من قاعة الملوك بالحمراء،
غرناطة، عصر بني نصر، عمل الباحث، انظر: Perez,
Hejuari, T., pl. pp. 62- 63

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن الأثير الجزري:

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، خيرى سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ابن الأثير، أبي الحسن علي:

- الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

الأصفهاني، العماد الكاتب:

- الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق، محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

الأصفهاني، أبي الفرج:

- الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الإقصرائي، محمد بن عيسى:

- نهاية السؤل والأمنية في تعلم الفروسية، نشر وتحقيق، نبيل عبد العزيز، رسالة دكتوراه، مع دراسة تاريخية عن نظام الفروسية في عصر سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م.

البخاري، (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل):

- متن البخاري مشكول بحاشية السندي، ج٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

البنداري، الفتح بن علي:

- سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ / ١١٦٦م - ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، من كتاب
البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة
الخانجي بمصر، ١٩٧٩م.

الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر:

- الحيوان، سلسلة الذخائر، العدد (٧٧)، الهيئة العامة لقصور الثقافة،
القاهرة، د. ت.

الحجاري، أبا عبد الله محمد وآخرون:

- المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، سلسلة ذخائر
العرب، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، د. ت.

الحسن بن عبد الله:

- آثار الأول في ترتيب الدول، بولاق، ١٢٩٥هـ.

ابن الخطيب، لسان الدين:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، المجلد الأول،
الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك:

- كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، الدرة المضيئة في أخبار الدولة
الفاطمية، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م.

- كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني
أيوب، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

ديوان الأبيوردي:

- تحقيق، عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

ديوان الأعشى الكبير:

- شرح وتعليق، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

ديوان امرئ القيس، وملحقاته:

- بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥هـ، دراسة وتحقيق، أنور عليان أبو سويلم، محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠م.

ديوان أمية بن أبي الصلت:

- جمعه وحققه وشرحه، سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

ديوان أوس بن حجر:

- تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م.

ديوان البحتري:

- تحقيق، حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب، العدد ٣٤، ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ط، دار صادر، بيروت، د، ت.

ديوان بشار بن برد:

- قرأه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي:

- عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م.

ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:

- سلسلة الذخائر، العدد (٨٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د، ت.

ديوان جرير:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.

ديوان الحارث بن حلزة:

- يليه شعر بكر وأخبار حرب البسوس، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار

صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان الحطيئة:

- برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٦هـ)، تحقيق، نعمان محمد

أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

ديوان حسان بن ثابت:

- تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار صادر، بيروت، ط ٢،

١٩٩٨م.

ديوان ابن أبي حصينة:

- سمعه وشرحه، أبو العلاء المعري، حققه محمد أسعد طلس، دار صادر،

بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م.

ديوان حميد بن ثور:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان الراعي النميري:

- جمعه وحققه، راينهرت فايبيرت، بيروت، ١٩٨٠م.

ديوان ربيعة بن مقروم الضبي:

- جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

ديوان ذي الرمة:

- شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تحقيق، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان زهير بن أبي سلمى:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان ابن زيدون:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان سلامة بن جندل:

- صنعه، محمد بن الحسن الأحول، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

ديوان السموأل:

- صنعه أبو عبد الله نبطويه، تحقيق وشرح، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان ابن سناء الملك:

- تحقيق، محمد إبراهيم نصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد (٩١)، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ديوان السيد الحميري:

- اعتنى به وقدم له وعلق عليه، نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

ديوان ضرار بن الخطاب الفهري:

- جمعه وحققه وشرحه، فاروق أسيلم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان طفيل الغنوي:

- شرح الأصمعي، تحقيق، حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان أبي الطيب المتنبي:

- تحقيق، عبد المنعم خفاجي وآخرون، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

ديوان عامر بن الطفيل:

- رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

ديوان عبيد بن الأبرص:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

ديوان العجاج:

- رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان الإمام علي بن أبي طالب:

- دار المنار بالقاهرة، مكتبة فياض بالمنصورة، د. ت.

ديوان عمرو بن كلثوم:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان عمرو بن معدي كرب:

- جمعه ونسقه، مطاع الطرابيشي، مكتبة المؤيد، الرياض، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٩٩٤م.

ديوان عنتره:

- تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

ديوان أبي فراس الحمداني:

- شرح، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

ديوان ابن قلاقس:

- تحقيق، سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨م.

ديوان ابن قميئة:

- عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.

ديوان كثير عزة:

- شرح، دري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان كعب بن زهير:

- قرأه، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.

ديوان كعب بن مالك الأنصاري:

- تحقيق وشرح، مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان لبيد بن ربيعة العامري:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان المتلمس الضبعي:

- رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٠م.

ديوان ابن المعتز:

- شرح وتقديم، ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩م.

ديوان ابن مقبل:

- عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م.

ديوان مهلهل بن ربيعة:

- إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان النابغة الذبياني:

- تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت.

ديوان ابن هاني الأندلسي:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:

- مختار الصحاح، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م.

الرسائل - ابن رجب:

- آخره المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبد المنعم عامر، الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود:

- أساس البلاغة، سلسلة الذخائر، العدد (٩٥)، الهيئة العامة لنصوص الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ساويرس بن المقفع:

- تاريخ البطارقة، قام على نشره أنطون خاطر وبور مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٦٨ - ١٩٧٠م.

ابن سلام، أبي عبيد القاسم:

- كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مجلة المورد، ، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.

ابن سعيد الأندلسي:

- المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق، سيد حنفي حسنين، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، أول سبتمبر ٢٠٠٤م.

- الغصون الينعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق، إبراهيم الإبياري، سلسلة ذخائر العرب (١٤)، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل:

- المخصص، الجزء الثاني، السفر السادس، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد:

- الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د. ت.

ابن شداد، بهاء الدين:

- النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق، جمال الدين الشيال، ط، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م؛ ط، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، طرابلس، لندن، ١٩٨٨م.

شرح ديوان صريع الغواني:

- مسلم بن الوليد الأنصاري، المتوفى سنة ٢٠٨هـ، تحقيق، سامي الدهان، سلسلة ذخائر العرب، العدد (٢٦)، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

شعراء تغلب في الجاهلية:

- أخبارهم وأشعارهم، ج ٢، الديوان، صنعة، علي أبو زيد، السلسلة التراثية (١٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م.

شعر أبي وجزة السعدي، (... - ١٣٠هـ):

- جمع ودراسة، وليد محمد السراقبي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.

الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى:

- كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي والمتقي بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أول أغسطس، ٢٠٠٤م.

- كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، منتصف أغسطس ٢٠٠٤م.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى:

- المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ديوان العرب (١)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، د. ت.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير:

- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م.

الطرسوسي (مرضي بن علي):

- تبصرة أرباب الأبواب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر
أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كلود
كاهن، بيروت، ١٩٤٨م؛ تحقيق، كارين صادر، دار صادر، بيروت،
١٩٩٨م.

ابن طولون، شمس الدين محمد:

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، تحقيق: محمد
مصطفى، القسم الأول، من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١ هـ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.

ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد:

- العقد الفريد، حققه وشرحه وعرف أعلامه، محمد التونجي، دار صادر،
بيروت، ٢٠٠١م.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد:

- القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،
بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م.

ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله:

- الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.

قدامة بن جعفر، أبي الفرّج:

- جواهر الألفاظ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، سلسلة الذخائر، العدد (١١٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

القرشي، أبي زيد محمد:

- جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.

القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي:

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله:

- الفروسية، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار التقوى للتراث، القاهرة، ١٩٩٩م.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل:

- البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم، وعلى نجيب عطوي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٨م.

- تفسير القرآن العظيم، مركز الحرمين التجاري بمكة، دار الغد العربي بالقاهرة، د. ت.

المرزباتي، أبي عبيد الله محمد:

- معجم الشعراء، سلسلة الذخائر، العدد (٩٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين:

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي:

- الاعتبار، تحقيق وتقديم، قاسم السامرائي، مؤسسة دار الأصالة للثقافة

والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧م.

ابن منكلي، محمد بن منكلي الناصري:

- التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق، صادق محمود

الجميل، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص

عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.

- الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق، نبيل

عبد العزيز، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

مؤلف مجهول:

- خزانة السلاح، تحقيق، نبيل عبد العزيز، مع دراسة عن خزائن السلاح

ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة الأنجلو المصرية،

القاهرة، ١٩٧٨م.

مؤلف مجهول:

- السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، تحقيق، عيد ضيف العبادي، مجلة

المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر

العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.

ابن موسى، أبي عبيد الله محمد:

- معجم الشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور

الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد ٩٣، القاهرة، ٢٠٠٣م.

النويري، شهاب الدين أحمد:

- نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٦م.

ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن:

- حلية الفرسان وشعار الشجعان، اعتنى بطبعه، لوي سي، المطبعة الشرقية، لصاحبها بول جيتينار، بالباريز.

ابن هشام، أبي محمد عبد الملك:

- السيرة النبوية، تحقيق، لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله:

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت.

ثانياً : المراجع العربية

إبراهيم أنيس وآخرون:

- المعجم الوسيط، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.

أبو الحمد محمود فرغلي:

- تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، دراسة أثرية فنية، رسالة

ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

- الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي،

القاهرة، ١٩٩٠م.

- التصوير الإسلامي، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه، الدار

المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م.

أحمد تيمور:

- التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتطبيقات، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م.

أحمد عبد الرازق:

- الرنوك على عصر سلاطين المماليك، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٤م.

السيد عبد العزيز سالم:

- تحف العاج الأندلسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت.
- فن العاج واستخداماته، الفن العربي الإسلامي، ج ٣، الفنون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٧م.

أنور الرفاعي:

- تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط ٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٧م.

بدون مؤلف:

- الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ، ص ٣٤.

ثروت عكاشة:

- التصوير الإسلامي (الديني والعربي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

جرجي زيدان:

- تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

جمال محرز:

- الرسوم الجدارية الإسلامية في "البرطل" بالحمراء، مدريد، ١٩٥١م.
- التصوير الإسلامي في الأندلس وعلاقته بالتصوير المصري، دراسات في آثار الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م.

حسن الباشا:

- شمعدان كتبغا، القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

حسين عليوه:

- السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

حسين مصطفى رمضان:

- الكتابات المصورة على التحف المعدنية في القرنين (٦ - ٧ / ١٢ - ١٣م)، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٣٠ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٩٩٨م).

ربيع حامد خليفة:

- الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

زكي محمد حسن:

- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦م.

- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م.

- كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١.

سعد بن عبد الله الجنيدل:

- معجم التراث، السلاح، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ.

سعيد مغاوري:

- الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مج ١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

سيد حفني:

- الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سلسلة اقرأ، العدد (٢١١)، دار المعارف بمصر، يولييه ١٩٦٠م.

سيد علي الحريري:

- الحروب الصليبية - أسبابها، حملاتها، نتائجها، تحقيق، عصام محمد شبارو، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

شوقي أبو خليل:

- الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ١٩٨٧م.

صلاح حسين العبيدي:

- الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٠٣)، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

عبد الحي الكتاني:

- نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

عبد الرحمن زكي:

- ملابس الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٩م.
- الأعلام وشارات الملك في وادي النيل، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م.
- الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج ١، من الفتح العربي حتى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج ٢، من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠ - ١٨٠٧م)، القاهرة، ١٩٧٠م.
- غرناطة وآثارها الفاتنة، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٧٦، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

عبد العزيز بن إبراهيم العُمري:

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ص)، د. ت، ١٩٨٥م.

عبد العزيز حميد وآخرون:

- الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٢م.

عبد العزيز سيد الأهل:

- أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م.

عبد العزيز صلاح سالم:

- الرياضة عبر العصور، تاريخها وآثارها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

- الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج ١، التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

عبد العزيز محمود عبد الدايم:

- الحيل في حروب دولة المماليك، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م.

عبد الغني محمد عبد الله:

- الرنك (الفن القديم المتجدد)، مجلة الفيصل، العدد (٩٤)، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، السنة الثامنة، كانون الثاني، يناير ١٩٨٥م.

عبد الناصر ياسين:

- الأسلحة الهجومية في العصر الإسلامي (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر)، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد الرابع والعشرون، الجزء الثاني، أكتوبر، ٢٠٠١م.

- الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي (دراسة أثرية حضارية للتأثيرات الفنية الواقدة)، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- الأسلحة الدفاعية "الجنن الواقية" في العصر الإسلامي، (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر، كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي (٣) الندوة العلمية الرابعة، ١٣-١٤ شعبان ١٤٢٣هـ / ١٩-٢٠ أكتوبر ٢٠٠٢م، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- وسائل السفر عند المسلمين (تاريخها وآثارها)، دراسة عن الهودج وشاكلته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية، جزءان، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- مناظر الفروسية على الخزف الإسلامي، دراسة تحت النشر.

عفيف بهنسي:

- الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م.

مايسة محمود داود:

- الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ / فبراير ١٩٨٢م.

محسن محمد حسين:

- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

محمد أحمد دهمان:

- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

محمد العروسي المطوي:

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

محمد المنوني:

- حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

محمد عبد العزيز مرزوق:

- التحف المصنوعة من العاج (صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس)،
مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، الجزء الثاني،
ديسمبر ١٩٥٥م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧م.
- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد مصطفى:

- تصوير الحياة اليومية في الفن المصري، مجلة المجلة، العدد الأول،
يناير ١٩٥٧م.
- الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، مارس، ١٩٤١م.

محمد مصطفى نجيب:

- تنظيم الجيش المملوكي في عهد السلطان الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ) —/
١٥٠١ - ١٥١٦م)، القاهرة، ١٩٨٥م.

محمود إبراهيم حسين:

- الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، جـ ١، دار غريب للطباعة والنشر
والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

نادية حسن أبو شال:

- المبخرة في مصر الإسلامية، دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير
غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.

نبيل عبد العزيز:

- الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، ١٩٧٦م.

- رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، ١٩٩٩م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المعربة

ادي شير:

- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط ٢، دار العرب للبستاني، القاهرة،
١٩٨٧ - ١٩٨٨م.

دوزي، ر:

- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد،
١٩٧١م.

ديماند، م. س:

- الفنون الإسلامية، ترجمة، أحمد عيسى، ط ٣، دار المعارف، القاهرة،
١٩٨٢م.

رايس، د. ت:

- الفن الإسلامي، ترجمة، منير صلاح الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧م.

غالي، واصف بطرس:

- تقاليد الفروسية عند العرب، ترجمة، أنور لوقا، دار المعارف بمصر،
١٩٦٠م.

فون شاك:

- الفن العربي في أسبانيا والأندلس، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، ط ٢، دار
المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

ماير، ل. أ:

- الملابس المملوكية، ترجمة، صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

مورينو، مانويل:

- الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز
سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

رابعاً : المراجع الأجنبية

Atil, E.,

- Art of the Arab World, Freer Gallery of Art, Washington, 1975.

- Art of the Mamluks, Washington, 1981.

Barrett, D.,

Islamic Metalwork in the British Museum, London, 1949.

Blair, Sh., and Bloom, J.,

The Art and Architecture of Islam (1250- 1800), Yale University, 1994.

Butler, A.,

Islamic Pottery, London, 1926.

Creswell, K.,

The Muslim Architecture of Egypt, vol. I, Ikhshids and Fatimids, A. D. 939- 1171, Oxford, 1951.

Dozy, R.,

Supplément aux Dictionnaires Arabes, Paris, 1927.

Erwin, R.,

Islamic Art, London, 1997.

Ettinghausen, R.,

**Painting in the Fatimid Period: A reconstruction,
Ars Islamica, New York, 1986.**

Fehérvári, G.,

**Islamic Metalwork of the Eight to The Fifteenth
Century in the Keir Collection, London, 1976.**

Grube, E.,

**Islamic Pottery of the Eight to the fifteenth Century
in the Keir Collection, London, 1976**

Hillenbrand, R.,

Islamic Art and Architecture, London, 1999.

Lane, A.,

**Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt, and
Persia, London.**

Lane- Poole, S.,

**The Art of Saracens in Egypt, London,
MDCCCLXXXVI.**

Mayer, L, A.,

.Saracenic Heraldry, Oxford, MCMXXXIII

Migeon, G.,

**- L' Orient Musulman, Conservateur des Objets d'
Art au Musée du Louvre, Armes, Sculpture, Bois,
Lvoires, Bronzes et Cuivres, Tapis Tissus,
Miniatures, Musée du Louvre.**

- Manuel d' Art Musulman, Arts Plastiques et Industriels, Tome. II, Paris, 1927.

Nicolle, D.,

Saljûq Arms and Armour in the Art and Literature, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994.

Pauty, E, M.,

Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, les Bois Sculptés Jusqu'à l' Epoque Ayyoubide, le Caire, .1931

Perez, Hejuari, T.,

Objetos e Imagenes de Al- Andalus, Espana, 1994.

Philon, H.,

Early Islamic Ceramics, Ninth to Twelfth Centuries, vol. I, Museum Athens, Islamic Art Publication, 1980.

Pope, A.,

A Survey of Persian Art, from Prehistoric Times to the Present, vol. V, London and New York, 1939.

Rice, T.,

Islamic Art, London.

Schmits, B.,

A fragmentary Mînâ' î Bowl with Scenes from the Shâhnâma, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994.

Ward, R.,

Islamic Metalwork, British Museum, London.

Wiet, G.,

L' Exposition Persane de 1931, Imprimerie de l' Institut Français d' Archéologie Orientale, le Caire, 1933.

Wilkinson, Ch.,

Nishapur, Pottery of the Early Islamic Pottery, the Metropolitan Museum of Art, New York.

Zigulski, Zdzislaw, Jr.,

**Ottoman Art in the Service of the Empier,
New York University, 1992.**

Paktaş, K.,

Bitlis Çevresind Bilinmeyen Mezarlıklar ev Mezar Taşları, I. Uslar Arası Selçuklu Kùltür ev Medeniyeti Kongresi, Bildiriler, II. Cilt, Selçuk Üniversitesi Selçuklu Araştırmaları Merkezi, Konya, Türkiye, 2001.



(لوحة ١) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيران، ق ٣ - ٤ هـ،
بمتحف طهران، عن، بنيسي، لوحة ١٣٦.



(لوحة ٢) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيران، ق ٤ هـ، بمتحف
المتروبوليتان، عن، Rice, D., pl. 43

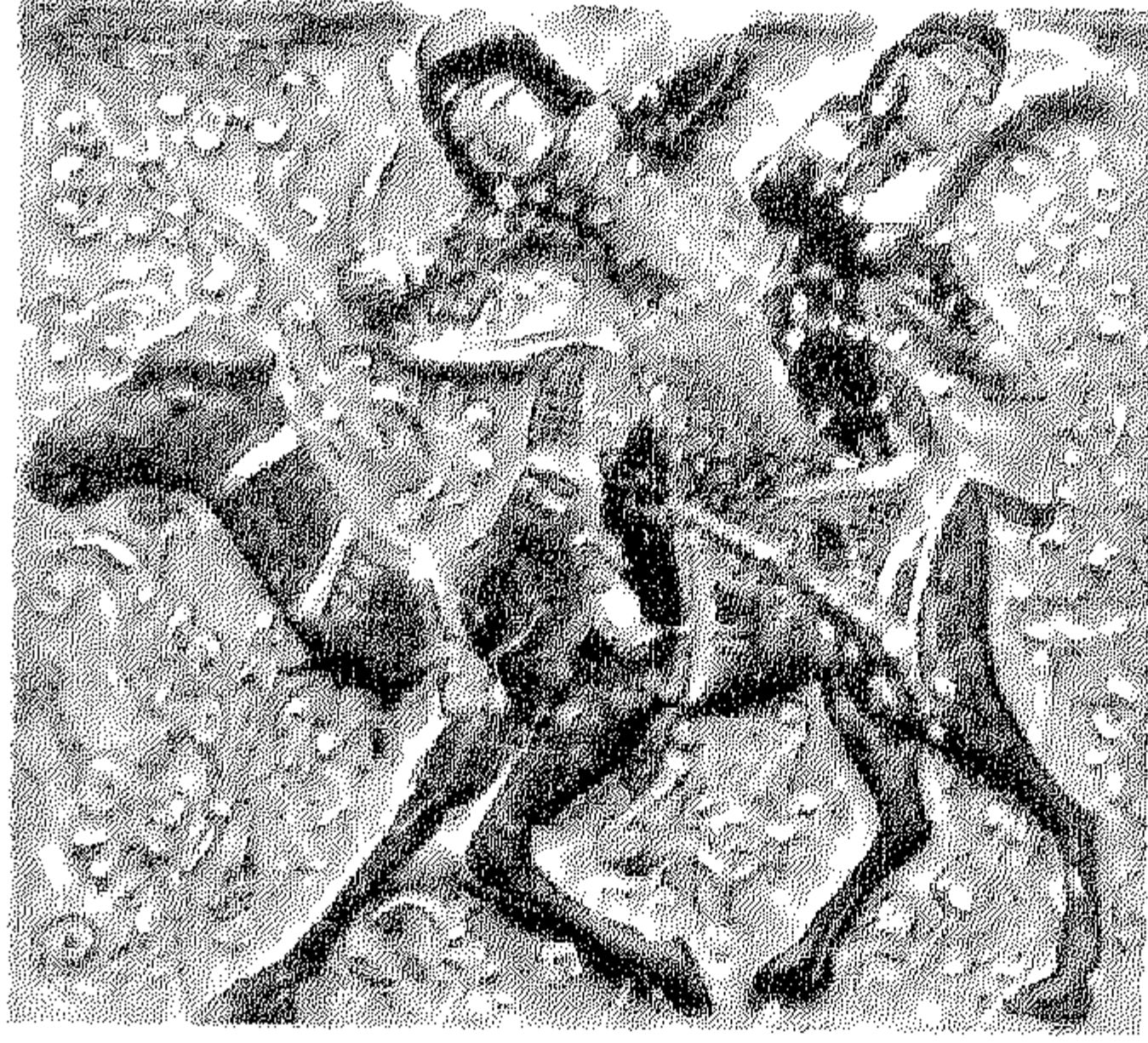


(لوحة ٣) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيران، ق ٤هـ، بمجموعة

ديفيد، عن، Erwin, R., fig. 205



(لوحة ٤) سلطانية من الخزف المرسوم بألوان متعددة مع التذهيب، إيران، ق ٦هـ، بمجموعة Mortimer Schiff، عن، Pope, A., vol. V, pl. 672



(لوحة ٥) بلاطة من الخزف المرسوم بألوان متعددة مع التذهيب، إيران، ق

٧هـ، بمجموعة Mme E Paravicini، عن، Pope, A., vol. V, pl. 679



(لوحة ٦ أ) سلطانية من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ، بمتحف فريير، عن،

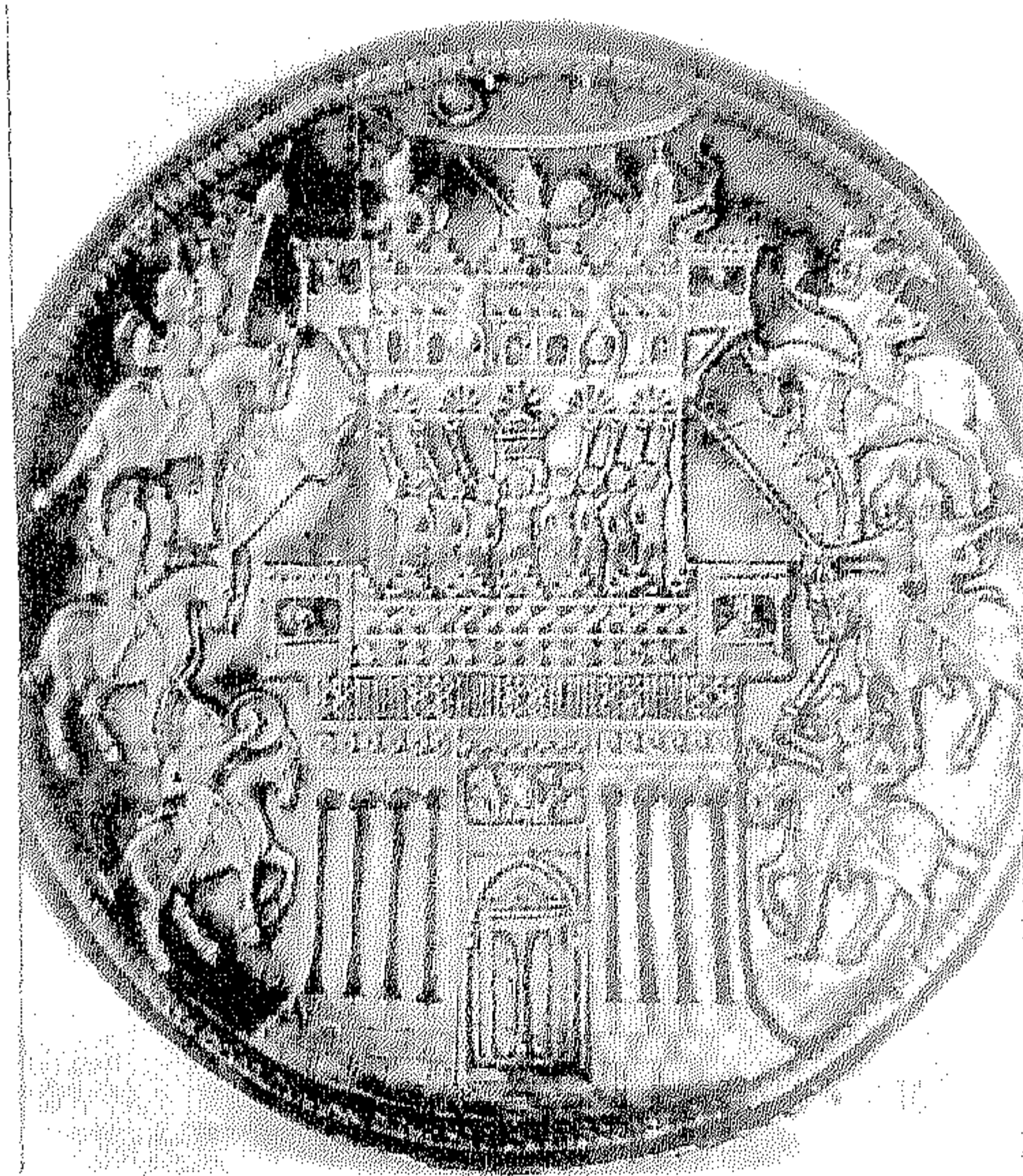
عكاشة، لوحة ٣٤م.



(لوحة ٦ ب) تفصيل من السلطانية السابقة.



(لوحة ٧) بلاطة من الخزف متعدد الألوان، إيران، ق ١٠هـ، كانت
بمجموعة بتلر الخاصة، عن، فرغلي، لوحة ٥٢.



(لوحة ٨) صحن من الفضة، بمتحف الهرميتاج، إيران، يُنسب إلى ق ٣ أو
٤هـ، عن، الباشا، لوحة ٩٥٠.



(لوحة ٩) تمثال من الخنزف المرسوم تحت الطلاء، سوريا، ق ٧هـ، بمتحف

دمشق، عن، Rice, D., pl. 131



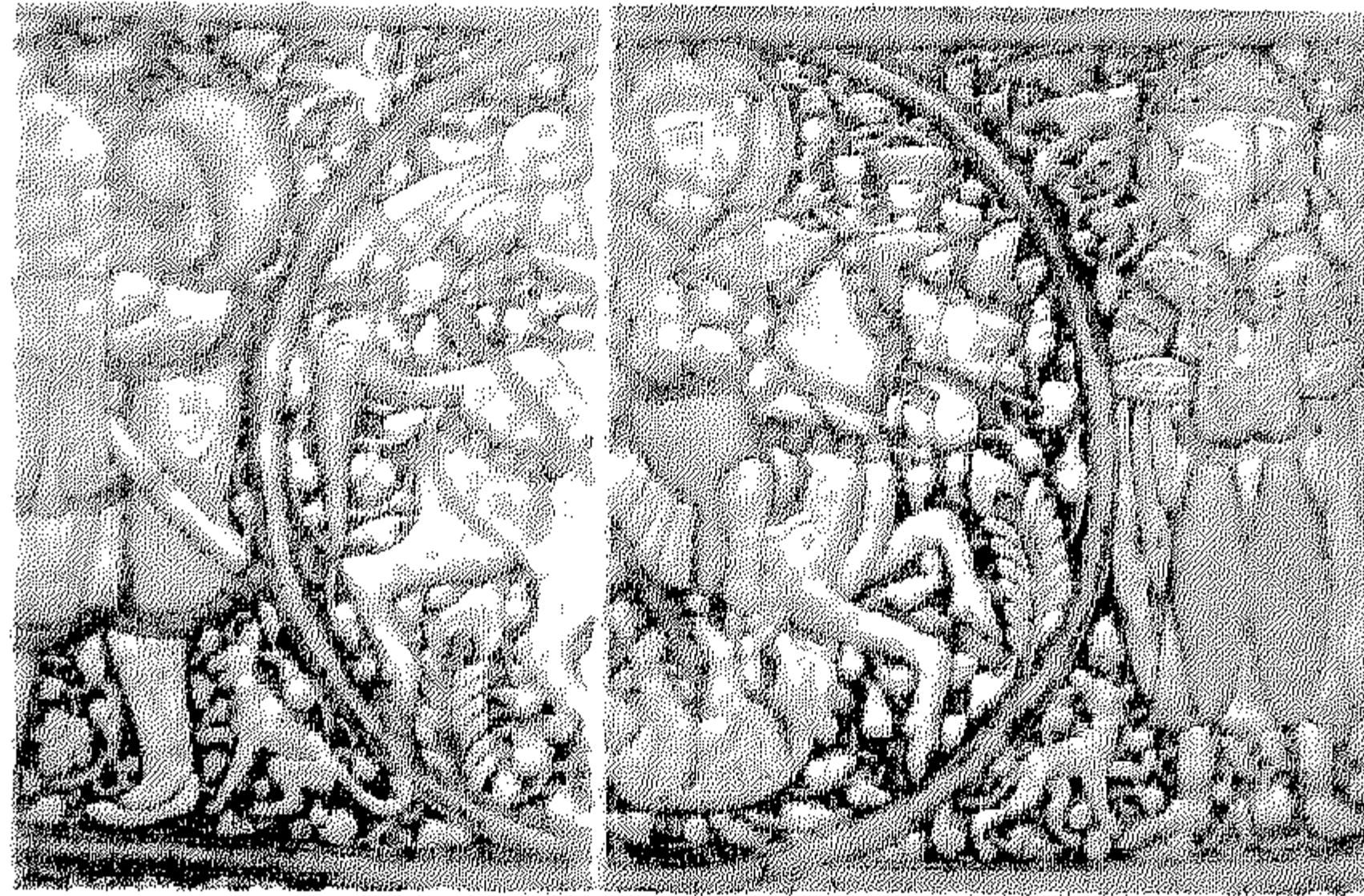
(لوحة ١٠) تفصيل من طست من النحاس "معمدانة سان لوي"، سوريا،

٦٨٩ - ٧١٠هـ، بمتحف اللوفر، عن، Blair, Sh., and Bloom, J., The

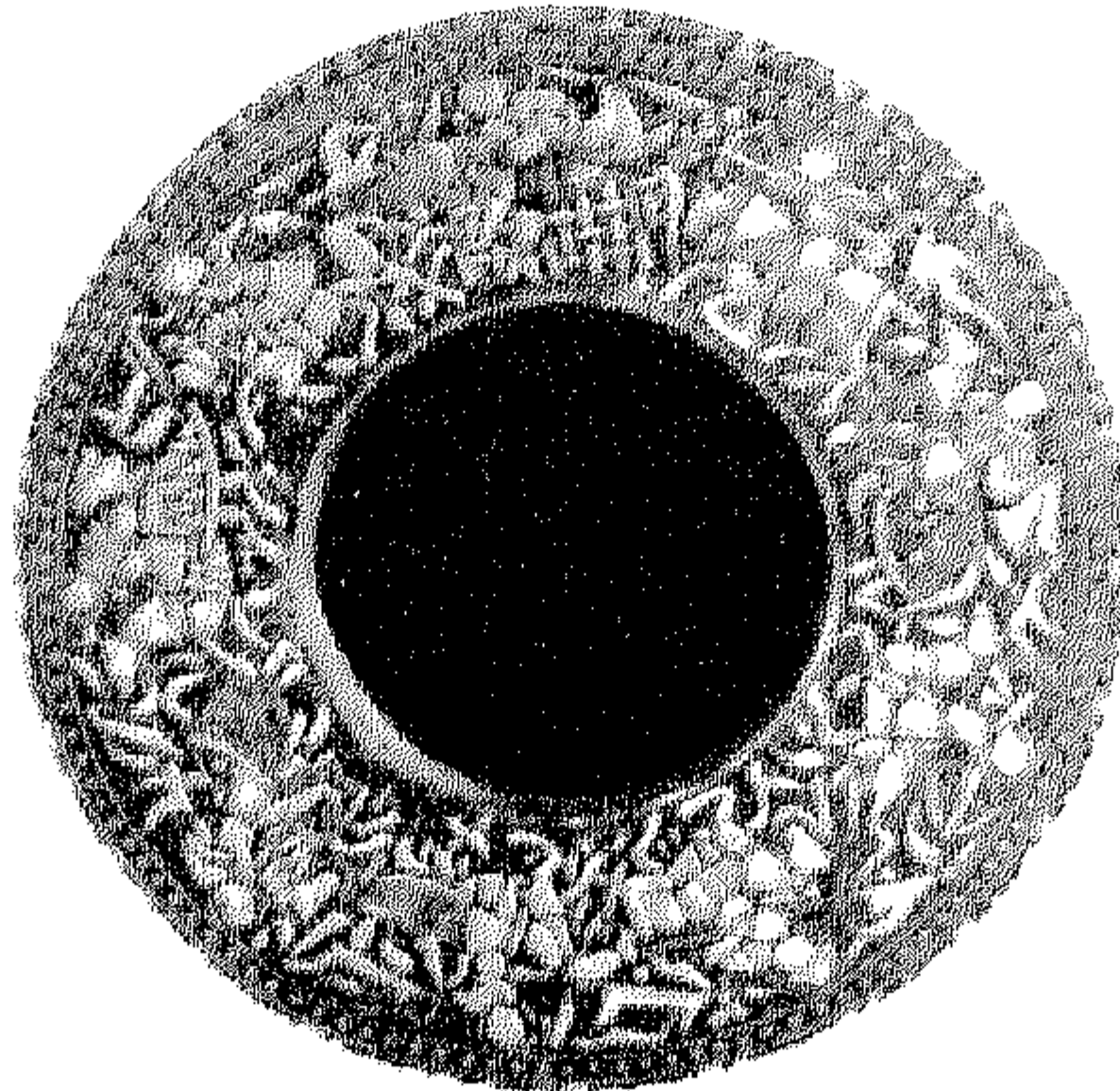
Art and Architecture, pl. 127



(لوحة ١١) تفصيل من الطست السابق، عن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77



(لوحة ١٢) تفصيل من الطست السابق، عن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77



(لوحة ١٣) تفصيل من زمزمية من النحاس، سوريا، ق ٧هـ، بمتحف

فريير، عن، Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70



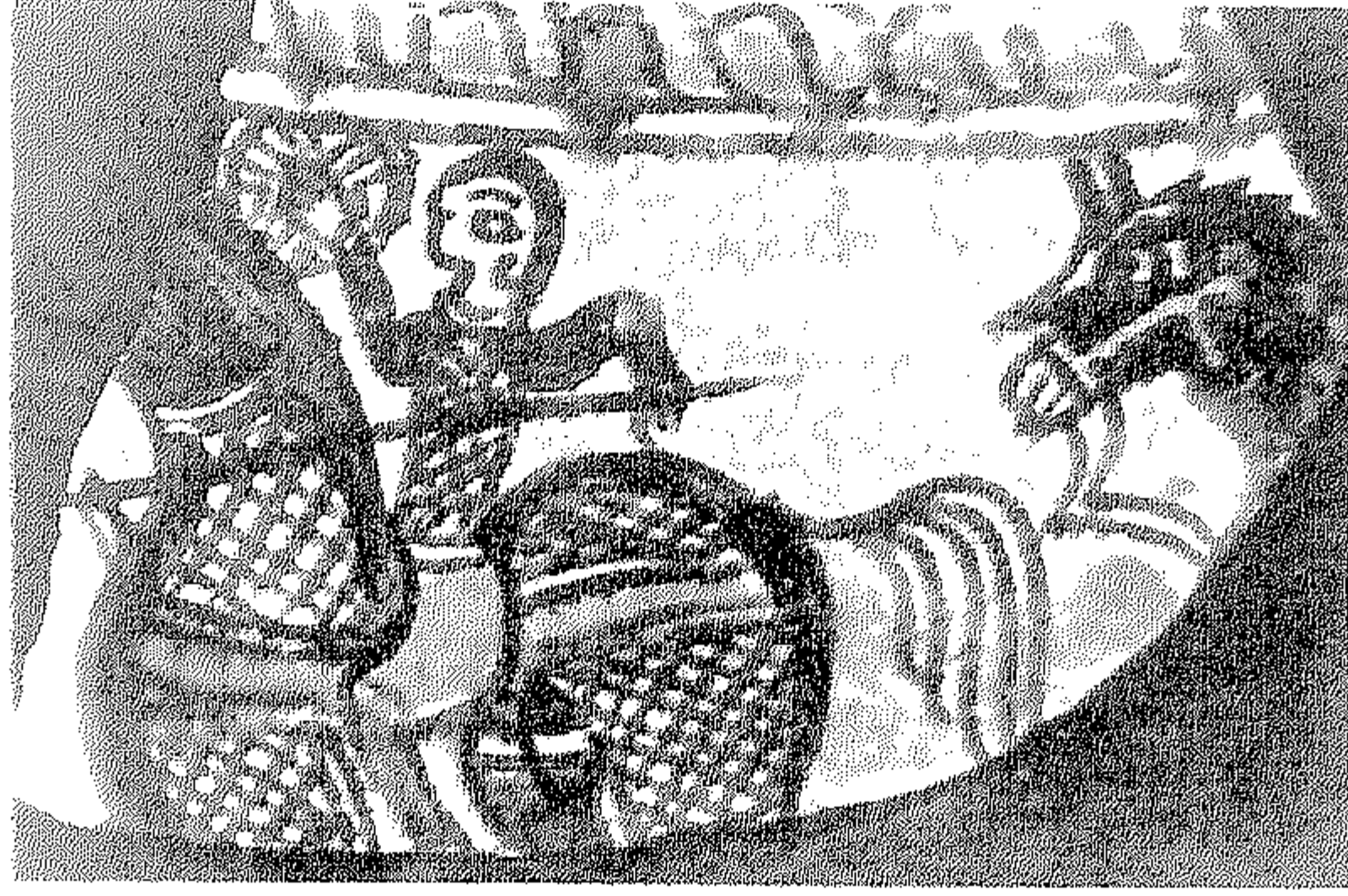
(لوحة ١٤) تفصيل من الزمزية السابقة، عن، Atil, E., Art of the
Arab World, pl. p. 70



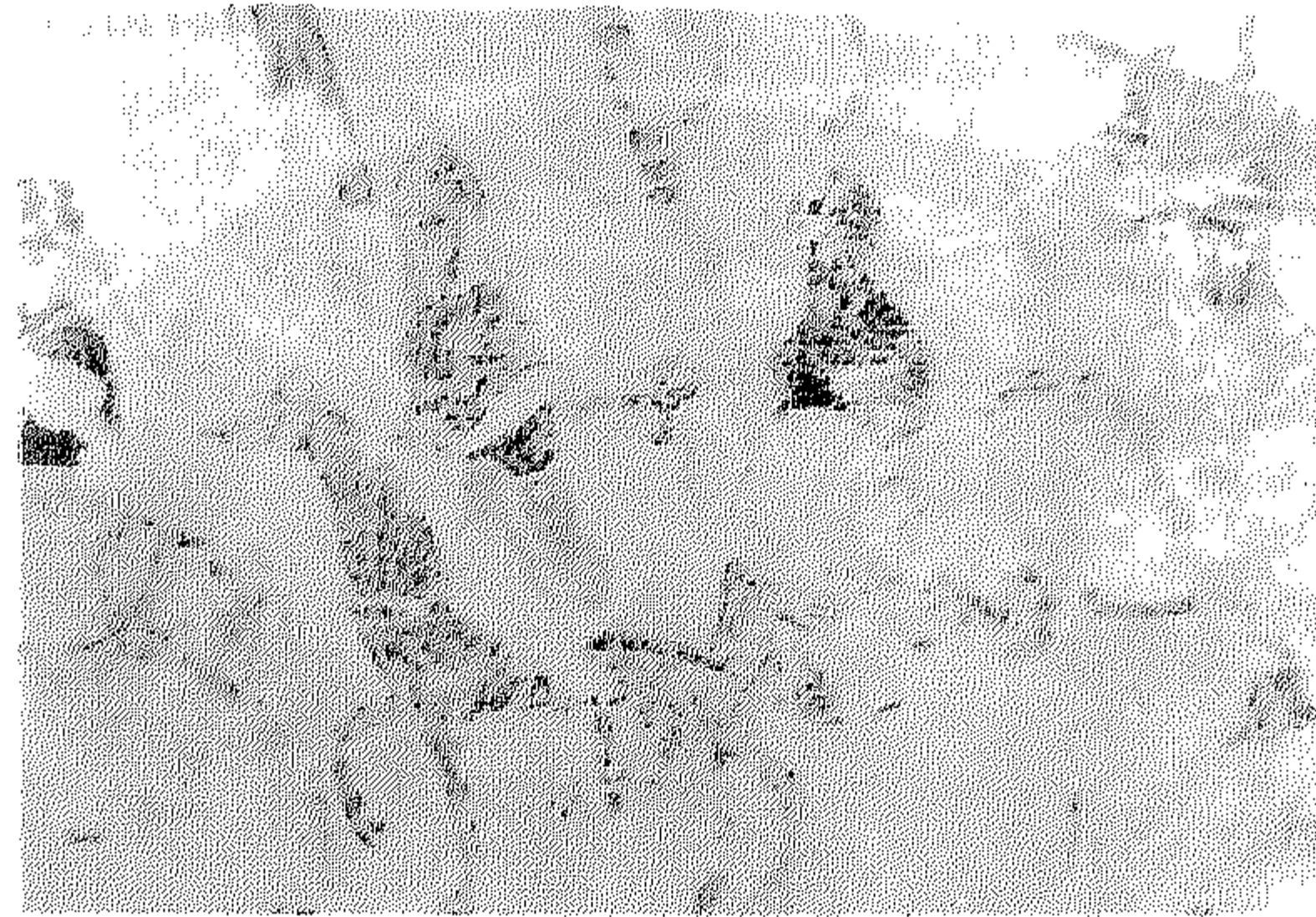
(لوحة ١٥) تفصيل من الزمزية السابقة، عن، Atil, E., Art of the
Arab World, pl. p. 70



(لوحة ١٦) تفصيل من الزمزية السابقة، عن، Atil, E., Art of the
Arab World, pl. p. 70

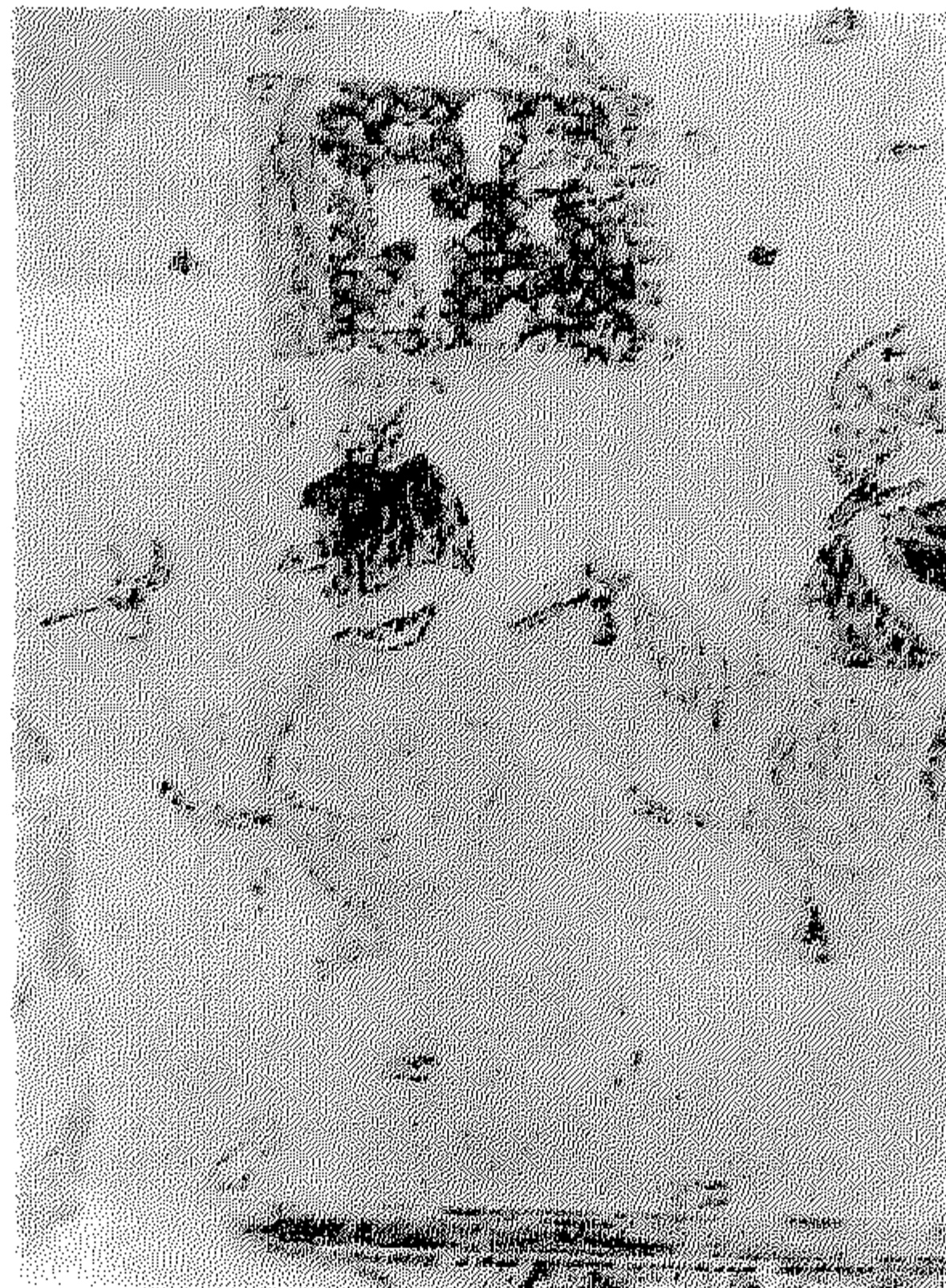


(لوحة ١٧) كسرة من الخزف المرسوم تحت الطلاء، شمال أفريقيا، ق ٤-٥هـ، بمتحف بناكي، عن، Philon, H., pl. XI, A



(لوحة ١٨) تفصيل من رسوم جدارية تزين قاعة أحد منازل "البرطل" في

الحمراء بغرناطة، تُنسب إلى ق ٨هـ، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 69

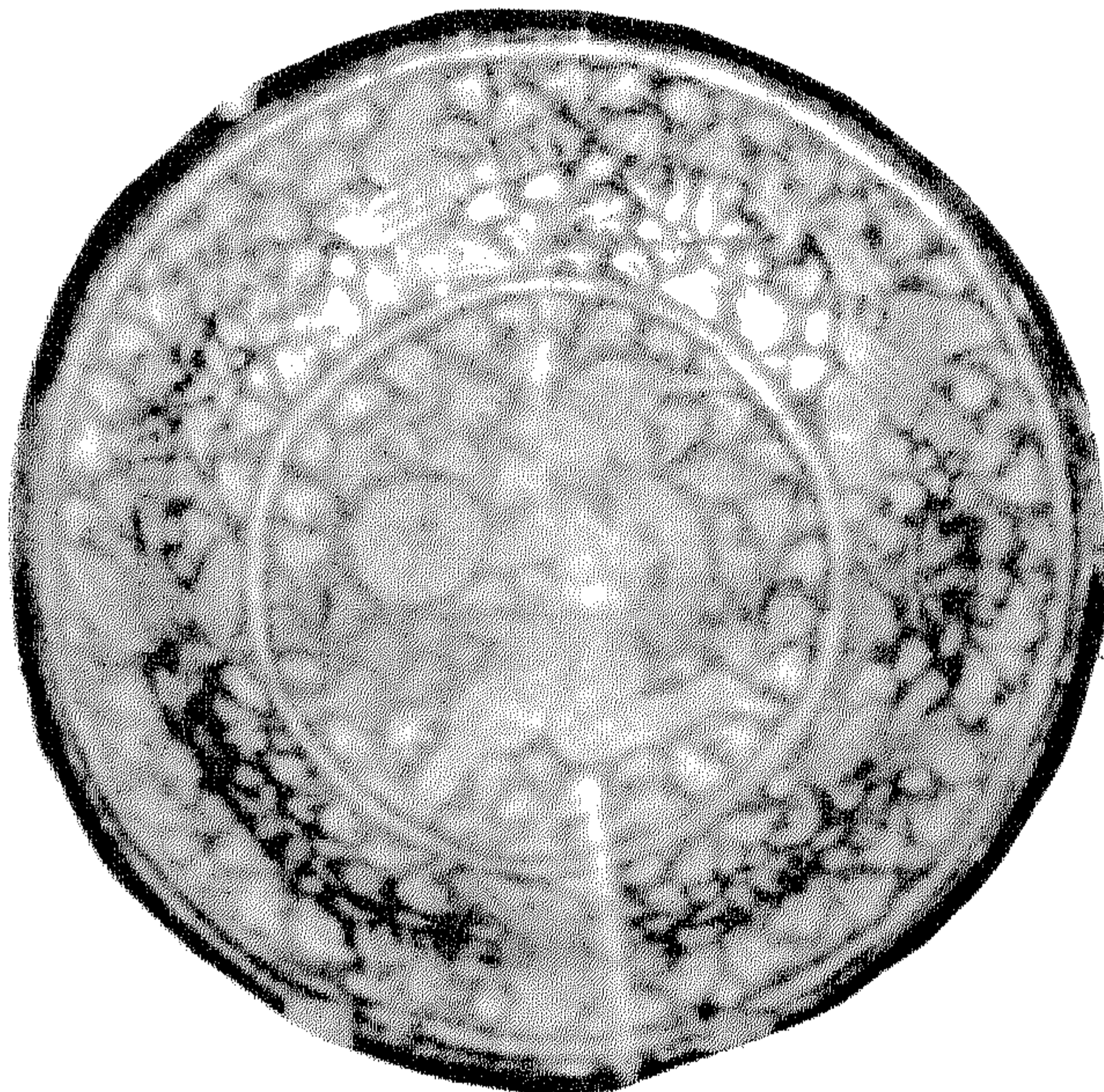


(لوحة ١٩) تفصيل من رسوم جدارية تزين قاعة أحد منازل "البرطل" في

الحمراء بغرناطة، تُنسب إلى ق ٨هـ، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 69



(لوحة ٢٠) تفصيل من سلطانية من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ، بمتحف
فريير، عن، عكاشة، لوحة ٣٤م.



(لوحة ٢١) سلطانية من الخزف الصفوي، بمتحف الفن الإسلامي
بالقاهرة، رقم السجل: ١٨٢٦٥



(لوحة ٢٢) تفصيل من رسم جداري، إيران، يُنسب إلى نهاية ق ٢ أو
بداية ق ٣هـ، بمتحف إيران بستان بطهران، عن كنسي، لوحة ٨٣.



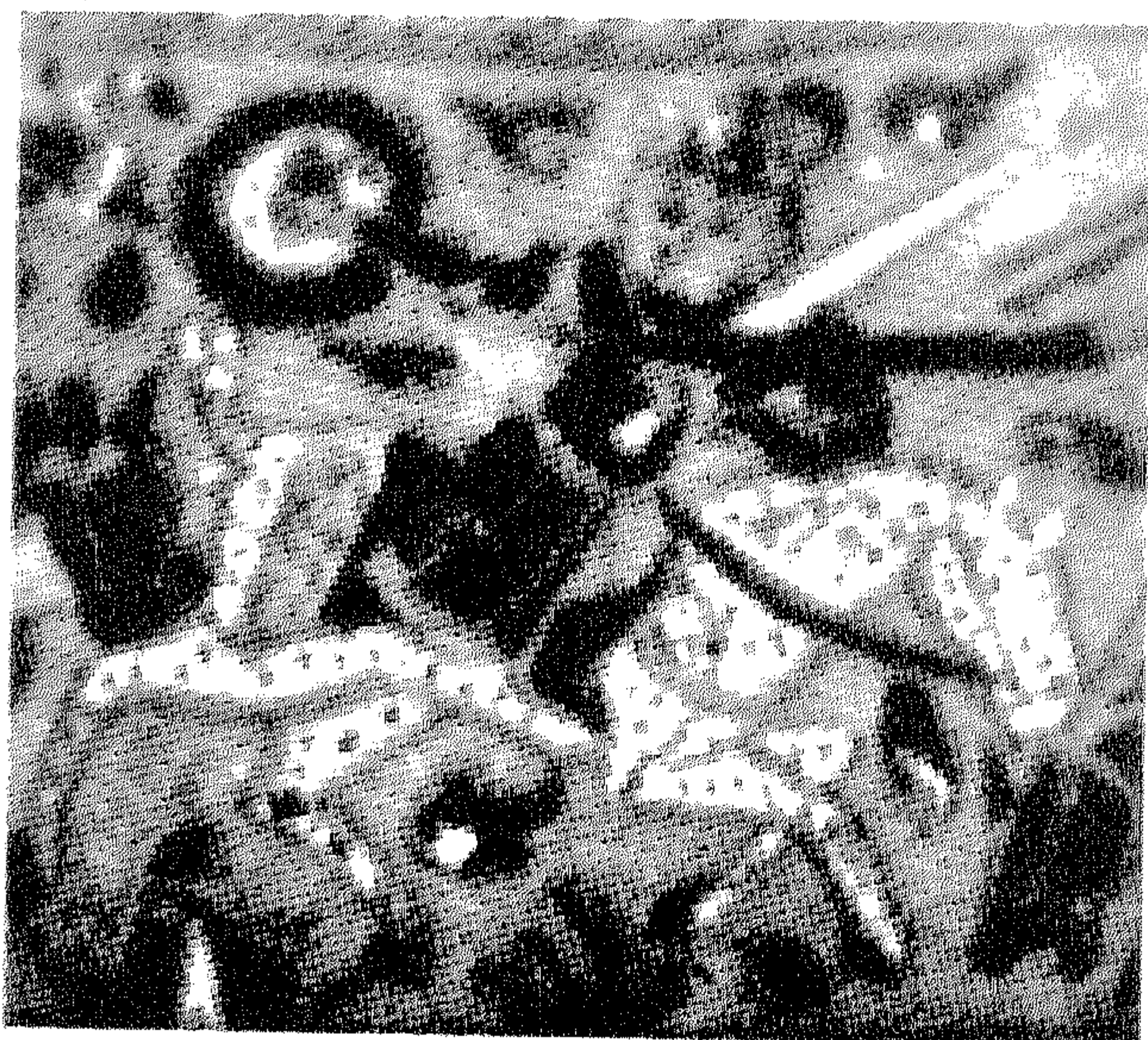
(لوحة ٢٣) سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني، العراق، ق ٤هـ،

بمجموعة كير، عن، Grub, E., no. 37



(لوحة ٢٤) تفصيل من إبريق من النحاس، العراق، ٦٢٩هـ، بالمتحف

البريطاني، عن، Blair, Sh., and Bloom, J., Islamic Art, pl. 145



(لوحة ٢٥) تفصيل من إناء زجاجي مموه بالمينا، سوريا، ق ٨هـ، عن،

ديماند، لوحة ١٥٩.



(لوحة ٢٦) تفصيل من طست من النحاس "معمدانة سان لوي"، سوريا، ٦٨٩هـ -

٧١٠هـ، بمتحف اللوفر، عن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77



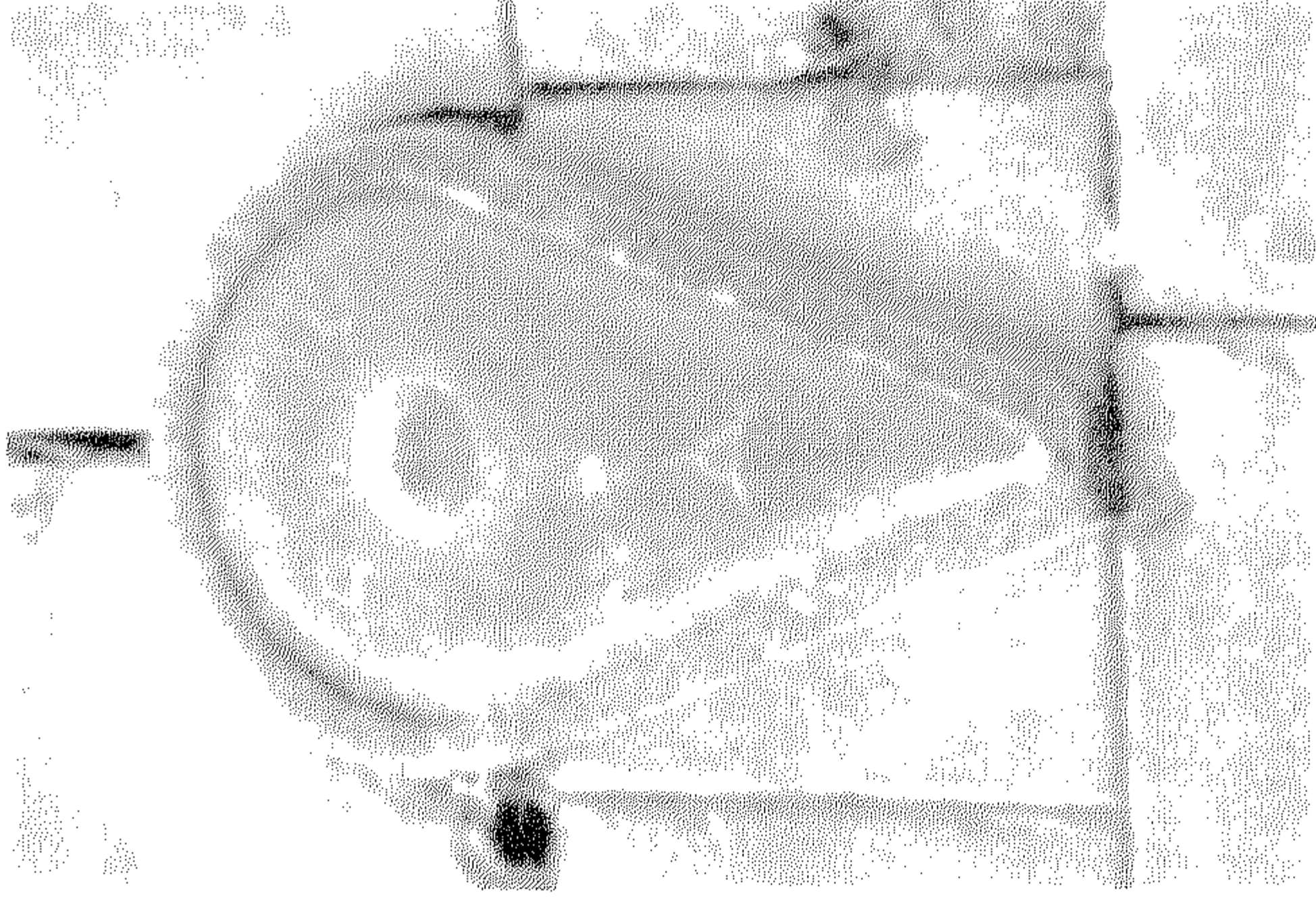
(لوحة ٢٧) تفصيل من الطست السابق، عن، Atil, E., Art of the

Mamluks, pl. p. 77



(لوحة ٢٨) كسرة من الخزف ذي البريق المعدني، مصر، ق ٤ - ٥هـ،

عن، Butler, A., IX, F



(لوحة ٢٩) نقش لترس "نورماندي" على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.



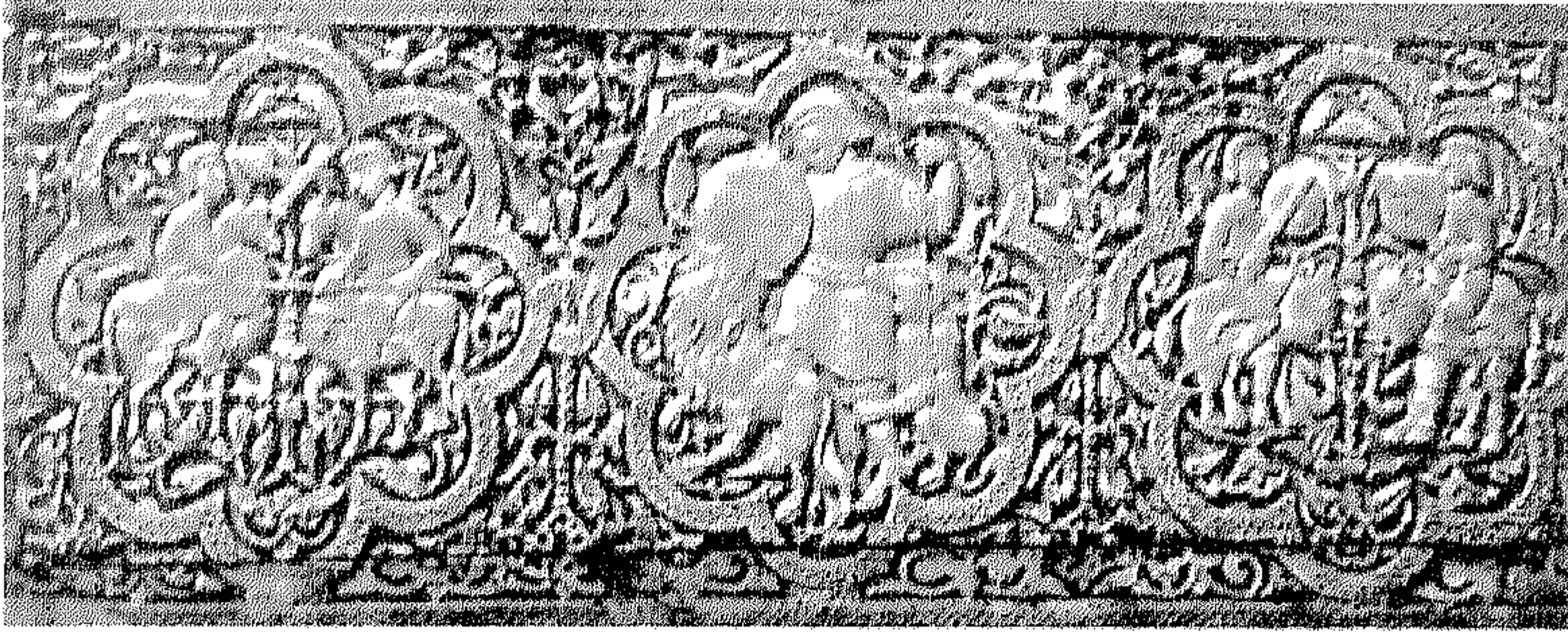
(لوحة ٣٠) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.



(لوحة ٣١) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.



(لوحة ٣٢) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.



(لوحة ٣٣ أ) تفصيل من نقش على صندوق من العاج، الأندلس، ٣٩٥هـ،
بكاتدرائية بنبلونة، عن، سالم، فن العاج واستخداماته، لوحة ص ٢٠٧.



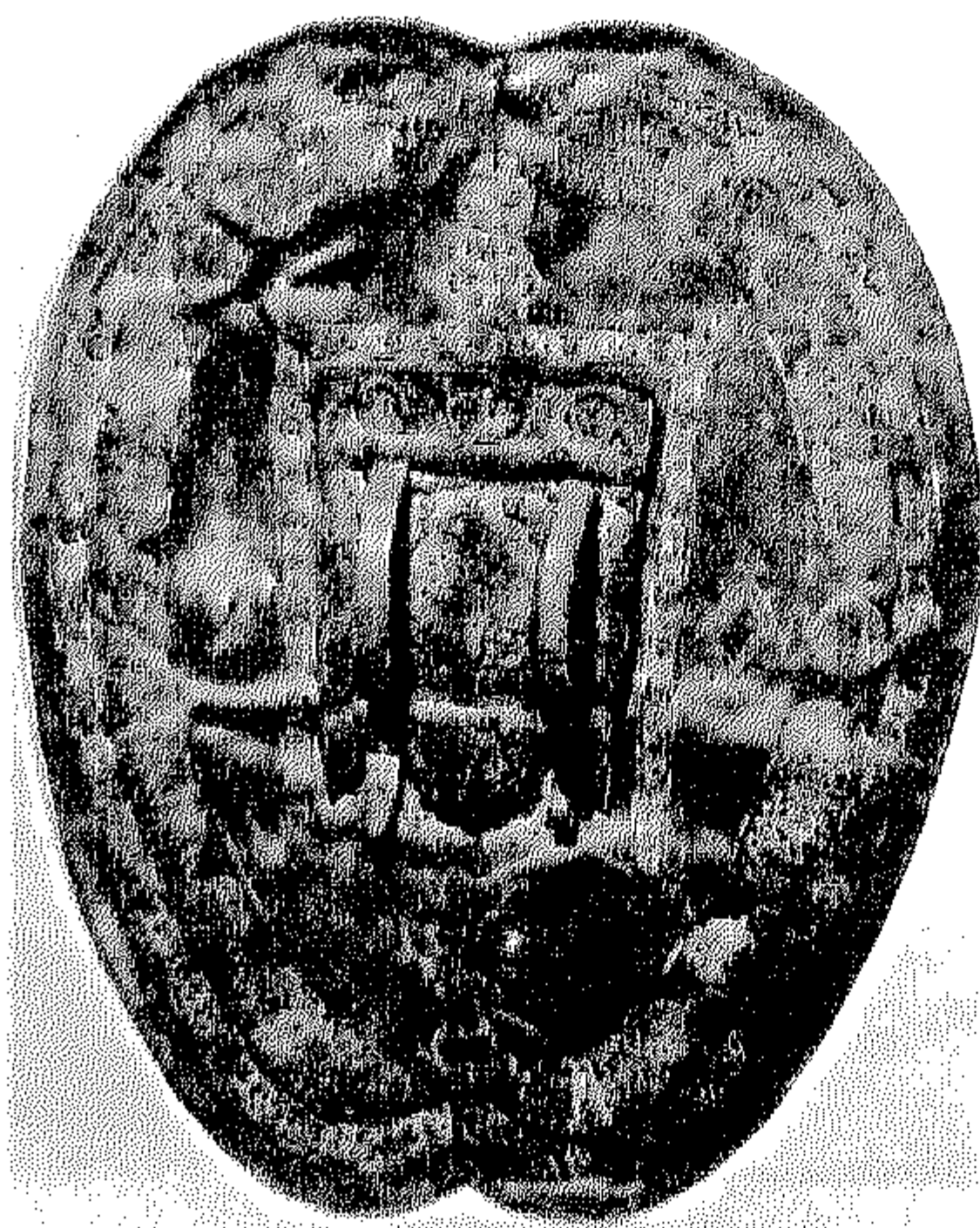
(لوحة ٣٣ ب) تفصيل من التحفة السابقة، عن المرجع نفسه.



(لوحة ٣٣ جـ) تفصيل من التحفة السابقة، عن المرجع نفسه.



(لوحة ٣٣ د) تفصيل من التحفة السابقة، عن Hillenbrand, R., pl. 135



(لوحة ٣٤) درقة من عصر بني نصر، غرناطة، بمتحف الأسلحة بالقصر

الملكي، عن Perez, Hejuari, T., pl. p. 124



(لوحة ٣٥) تفصيل من تصويرة جدارية بقاعة الملوك، بقصر الحمراء

بغرناطة، عصر بني نصر، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 62



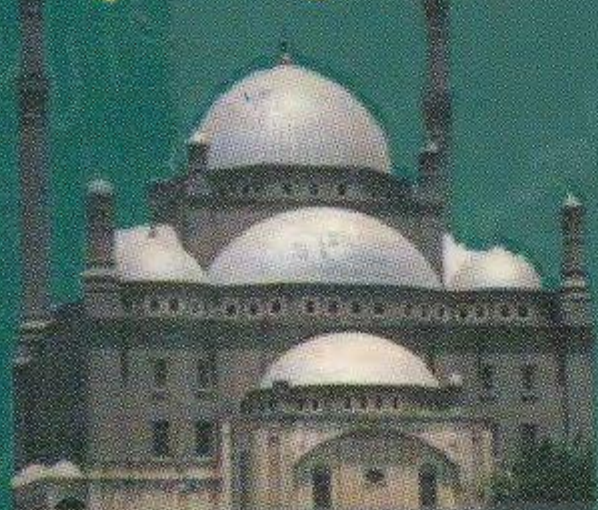
(لوحة ٣٦) تفصيل من تصويرة جدارية بقاعة الملوك، بقصر الحمراء

بغرناطة، عصر بني نصر، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 63



دار السلام

دار القاهرة



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
ت: ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤